DESARA

ديسارا

رواية

تأليف: أحمد شريف

ديسارا

ديسارا

رواية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين

في البداية أريد أن أشكر كل من ساعدني في إنهاء هذا الكتاب وكل من شجعني على أن أنشره وكل من سيقرأه وكل من سيعجبه وأشكر كل من ساعدني لأرتقي بمستوى القصة أكثر.

نحن نعيش في عالم مذهل بكل معنى الكلمة وكلما تعمقنا فيه أكثر ذهلنا أكثر، منذ ستة قرون تقريباً كان العلماء يظنون أن الأرض هي مركز الكون وأن كل الكواكب والنجوم تدور حولها وكانوا يسخرون ممن يقول عكس هذا، الآن وبعد الثورة العلمية التي نعيشها أصبحنا نعلم أننا أصغر من ذرات الغبار في فضاء مازلنا لا نعلم حدوده.

أفضل شيء تعلماه في السنوات الماضية هو مقدار جهلنا بهذا العالم، مع كل هذا الفهم والإدراك الذي وصلنا إليه لو سألت أحد العلماء سيقول لك أننا خدشنا السطح فقط ومازال ينتظرنا الكثير لنراه.

اللحظة التي نعترف فيها أننا لا نعلم هي أول خطوة في طريق التقدم، ربما

حجم أجسامنا في هذا الكون أقل من لا شيء ولكن عقولنا وإمكاناتنا تسع الكون بأكمله.

لطالما كنت معجباً بفكرة العوالم المتوازية ولمن لا يعرفها فهي نظرية تفترض أن هناك عوالم لا حصر لها تشبه العالم الذي نعيش فيه ولكن بقصص مختلفة، فمثلاً في أحد تلك العوالم ربما لم تنقرض الدينصورات ومازالت تعيش حتى هذه اللحظة وفي عالم آخر ربما نحن من انقرض.

بعض تلك العوالم يمكن أن تكون أفضل من عالمنا هذا، كعالم اكتشف فيه البشر طريقة للتعايش بسلام، وبعضها يمكن أن يكون أسوء كعالم بدون إنترنت أو شيء كهذا.

هناك الكثير من الجدل عن كون هذه النظرية حقيقة أم لا ولكن لنعتبرها حقيقة لبعض الوقت لأن أحداث هذه الرواية وقعت في أحد تلك العوالم.

وهذه الرواية تتحدث عن خاصية غريبة لكن مدهشة في نفس الوقت لهذا العالم الذي نعيش فيه، شيء يمكنك أن تراه في كل مكان في الكون، في الغابات التي تمتلئ بالحياة ثم تتحول إلى صحاري مع مرور الوقت، والنجوم التي تشع ضوءاً وتراها من مسافات بعيدة جداً ثم في نهاية حياتها تتحول إلى ثقوب سوداء تلتهم كل شيء حتى الضوء مما يجعل من المستحيل رؤيتها، والحضارات التي أذهلت العالم بتقدمها تتحول لأنقاض تروي قصة سقوطها.

كل شيء خلقه الله تبارك وتعالى حكم عليه بأن يتغير لكي يبقى هو وحده سبحانه الثابت الذي لا يتغير، وكل شيء آخر يتغير.

وهذا يشملنا، فأجسامنا مكونة من عدد لا يصدق من الذرات أكثر بكثير من عدد النجوم في المجرة، نفقد الكثير منها في عمليات الإخراج كالتنفس والعرق وغيرها، ونكتسب أخرى عندما نأكل، يقول العلماء أنه بعد عشر سنوات أغلب

ذرات جسدك تكون قد تبدلت بأخرى ما عدا الذرات التي تكون خلايا الدماغ بالطبع وبعض الخلايا الأخرى.

لهذا فأنت حرفياً بكل معنى الكلمة لست نفس الشخص الذي كنته قبل عشر سنوات من الآن، على المستوى الذري.

حتى جوهرك يتغير، التفكير، الأهداف، الوعي، المعرفة، القدرات، الخبرة، كل شيء تقريباً، رغبنا بذلك أم لا، للأفضل أو للأسوء، نحن دائماً ما نتغير وسنظل نفعل.

هذا يجعلنا نتساءل "من نحن؟".

إذا كان كل شيء فينا يتغير من نحن إذن؟ ما الذي يحدد هويتنا؟

"نحن العلم الذي نحويه"، فكر بهذا، ذلك الموقف الذي مررت به في الماضي وجعلك تندم أشد الندم على ما فعلت، دعني أسألك سؤالاً، إن تكرر هذا الأمر هل ستتصرف نفس التصرف؟

لا بالطبع، لماذا؟ لأنك تعلمت، لأن حالتك المعرفية قد تغيرت، الشخص الذي كنته وقتها ليس نفس الشخص الذي يقرأ هذا الآن، حتى أنت الذي فتح هذا الكتاب ليقرأه ليس نفس الشخص الذي يقرأ هذه الكلمة الآن.

نحن ما نعلم وجسدنا وعاء للعلم الذي نتعلمه وكلما تغير علمُنا تغيرت أفكارنا وعندما تتغير أفكارنا تتغير تصرفاتنا ومن ثم حياتنا ونكون شخصاً آخر، لهذا خلايا دماغنا لا تموت لأنها تحوي هويتنا.

لهذا فقد حرم الله تبارك وتعالى الخمر لأنه يذهب بهويتنا، عندما يشربه أحدهم فهو يتخلى عن نفسه حرفياً، لهذا حُرم علينا، لأن عقولنا غاية في التعقيد والإدهاش والجمال كيف يغيب أحدهم هذا الجمال بيديه.

عليك أن تأخذ هذه قاعدة في حياتك، لم يحرم الله تبارك وتعالى شيئاً علينا إلا وهذا الشيء يقلل من شأننا، شرب الخمر يذهب بهوية الانسان، الزنى يذهب بكرامته ويقربه من الحيوانات لأن شهوته تغلبت عليه، الأطعمة المحرمة تضرنا والكلمات المحرمة تذهب باحترام الناس لنا.

الله سبحانه يريد الخير بنا يريدنا أن نكون في أفضل مكانة، أفضل شيء، أفضل نسخة من أنفسنا، لهذا حرم علينا من يقلل ما شأننا.

ووعدنا أننا إن فعلنا ما أمرنا (الذي هو في صالحنا ويعلي شأننا) وانتهينا عما حرم علينا (الذي يخسف بكرامتنا) أنه سبحانه سيجعلنا نعيش في النعيم إلى الأبد.

إن لم يكن هذا هو الكرم المطلق فماذا يكون؟

لنعد إلى موضعنا "من نحن؟"، نحن العلم الذي نحويه، نعم ولكن هذه ليست الحقيقة بالكامل، رجل مشهور للغاية فقد ذاكرته بعد حادث أصابه وظل في المشفى يزوره أقاربه ولكنه لا يعرف أي منهم، هو حتى لا يعرف اسمه.

هذا الرجل فقد العلم الذي لديه فمن المفترض أن يكون قد فقد هويته ولكن هويته مازالت محفوظة، كيف؟ بالأشخاص الذين يعرفونه ويزورونه ويتحدثون عنه، هو لا يعرف حتى اسمه ولكن هويته محفوظة في أذهان من يعرفونه، لهذا فالجزء الآخر من الإجابة هو "نحن التغيير الذي نصنعه".

فكر بهذا أيضاً، عندما يموت أحدهم تبقى هويته بمدى التأثير الذي أحدثه فيمن حوله، بمدى التغيير الذي صنعه، كلما كان التغيير كبيراً كلما بقي هذا الشخص في أذهان الناس وبقيت هويته محفوظة.

إذن من هذا نستنج "أننا العلم الذي نحويه والتغيير الذي نصنعه".

هذه إجابة مقبولة على السؤال ولكن مازال هناك شيء ناقص، إذا كانت هويتنا تعتمد على العلم الذي تعلمناه لماذا تختلف آراء الأشخاص الذين يعلمون

نفس العلم؟ الجميع يعلمون أن التدخين ضار بالصحة، لماذا مع هذا العلم تختلف ردود الفعل؟ من الناس من يمتنع ومنهم من يُصر.

هناك شيء آخر يجعلنا نعالج ذلك العلم بطريقة مختلفة، شيء عميق، ليس العقل ولكن شيء أعمق، شيء لن أذكره الآن ولكنه مذكور في أحداث الرواية.

من هذا المنطلق يمكن لأي شخص أن يتغير وليس هناك زمن للتغيير أيضاً فكل شيء يمكن أن يتغير مادام الإنسان حياً، فشعلة التغيير يمكن أن تأتي في أي شكل من الأشكال وبأي وسيلة من الوسائل كرهناها أو أحببناها وعندما تأتي هذه الشعلة من أي مصدر وبأي طريقة فلا تتجاهلها فلعلها تكون سبباً لتضيء حياتك كلها.

التغيير هو سنة كونية في هذه الحياة، دائماً ما تعصف بنا رياح التغيير من حين لآخر ونحن نسير في بحر الحياة فإما أن نقودها نحن ونوجه أشرعتنا معها لنصل إلى مكان أفضل، وإما أن نستسلم لها ونتركها تتحكم بنا ونتعامل معها بطريقة خاطئة فتتحطم سفينتنا وتغرق بنا في الأعماق المظلمة التي ستجعلنا أسوء مما نتخيل.

"كيف تغير حياتك للأفضل؟" هو السؤال الذي أريد أن أطرحه من خلال هذه الرواية ولكن لا أريدك أن تجيب الآن.

سوف تجد الإجابة في نهاية الكتاب ولكن لا تسترق النظر لأن إجابتي يمكن أن تختلف عن إجابتك، وإن كانت لديك إجابة قبل أن تقرأ فأبقها في ذهنك إلى أن تنهي الرواية، وأنا لم أضع الكثير من التفاصيل في هذه الرواية لكي تستطيع أن تتخيل ذلك العالم بطريقتك الخاصة.

وفي النهاية لقد فعلت كل ما أستطيع لإخراج هذه الرواية بأفضل ما يمكنني واستمتعت جداً بتأليفها وأتمني أن تنال إعجابكم....

الفصل الأول

(البداية)

في زمن من الأزمنة كان هناك مملكتان حكمتا العالم كله.

مملكة الشمس "سيارا" في الشرق ومملكة القمر "نوشاي" في الغرب.

المملكتان لم تكونا مثلاً للصداقة ولكن كانتا تعيشان في سلام.

ولكن هناك مكان لم يصل حكم المملكتين إليه، جزيرة في أقصى الشمال قديمة بقدم الزمن تحمل حطام وأنقاض الماضي وهذا ما اشتهرت به "الأنقاض"، تقع في منتصف البحر المظلم الذي سمي هكذا لأن مياهه سوداء بسبب تسرب للنفط وهذا البحر محاط بصحراء الضياع، تخلت المملكتان عن تلك المنطقة وعن الناس الذين يعيشون فيها وصنفوها كمنطقة ميتة واستخدموها كمكب للنفايات ومكان لنفي المجرمين.

عندما تأسست المملكتان كانت الجزيرة شبه مهجورة ولكن مع مرور الوقت توافد عليها أعداد كبيرة من المجرمين الذين تم نفيهم من المملكتين وأنشؤا قرية هناك، في منتصفها توجد بحيرة مياهها ذات طعم سيء ورائحة نتنة ولكنها صالحة للشرب ومتفرع منها أربع جداول صغيرة كالعروق التي تبث الحياة في الجزيرة.

الطقس هناك يتراوح بين بارد وقارص البرودة أغلب أشهر السنة لأن ضوء الشمس لا يصل إلى الجزيرة إثر السحاب الداكن الذي يغطيها والذي يمطر أمطاراً حامضية تذيب ما تسقط عليه، وتقع الجزيرة أسفل سلسلة من البراكين النشطة والتصدعات الكبيرة في أعماق البحر التي تذكرهم بوجودها كل فترة، والاختلاف في درجات الحرارة وضغط الهواء ينتج عنه كثير من الأعاصير المخيفة، ومرة كل عدة سنوات يأتي فيضان ضخم يدمر الجزيرة بالكامل.

بيئة الجزيرة قاسية للغاية إلا أن الناس الذين يعيشون هناك أكثر قساوة.

لا يوجد قانون، لا توجد حدود، إن كنت قوياً تتكلم وإذا كنت ضعيفاً تسكت أو تموت، لا يوجد أمن أو سلام، كل فرد هناك يعيش جنباً إلى جنب مع الموت الذي ينتظره، رائحة الدماء، صراخ النساء، بكاء الأطفال، أصوات الصراعات والقتال، كلها أمور ألفها سكان الجزيرة.

مع عدم وجود قانون يحكم الجميع كان يجب لقانون واحد أن يسود وهو "البقاء للأقوى"، وهذا ما حدث، القوي يُخضع الضعيف، والضعيف يحتمي بالقوي، والتطور المنطقي لهذا أن يتكاتف الأقوياء ويستعبدوا الضعفاء وتشكل العصابات والتحالفات وتتزن القوى في الجزيرة.

هذا الاتزان يقف على حوافه أربع عصابات رئيسية تمتلك أغلب أجزاء الجزيرة وتخضع العصابات الأخرى لهم أقواهم تسمى "الدماء السوداء" وزعيمهم يسمونه "بنداس" وهذا الاسم يعطيه أهل "الأنقاض" لأقوى رجل فيهم، تلك العصابة تأخذ الجهة الشرقية لتكون هي منطقتهم التي لا يجرؤ أحد أن يقترب منها وأخذت كل من العصابات الثلاث الأخرى جزءاً من الأجزاء الباقية لتفرض سيادتها عليه.

"عصابة الثور" أخذت الجهة الجنوبية، و"عصابة الفأس" الجهة الغربية،

و"العصابة الحديدية" الجهة الشمالية، ودائماً ما تحدث حروب بينهم على أصغر الأشياء.

أسماء العصابات لم تكن مبتكرة فكل عصابة تسمي نفسها بما تجيد القيام به، فعصابة الثور لديها الكثير من الماشية خصوصاً الثيران التي يستخدمونها في المعارك حيث يطلقونها كافتتاحية للمعركة.

وعصابة الفأس تمتلك الكثير من العبيد الذين يقومون بالزراعة والنجارة وتقطيع الأشجار وأعمال البناء ومثل هذه الأشياء الحرفية لأن الجهة الغربية هي أشبه بغابة كبيرة فيها الكثير من الأشجار.

والعصابة الحديدية، إنهم حدادون، كل أنواع الأسلحة متواجدة هناك، وهم مقاتلون شرسون أيضاً وذلك ما جعلهم والدماء السوداء أكثر من يسببون المتاعب هناك.

عصابة الدماء السوداء عملها متعلق باسمها أيضاً، فهم قتلة مأجورون، وهم مشهورون للغاية في القرى التي تبعد عن الجزيرة ولهم اسمهم في المملكتين أيضاً وعندما يريدون شيئاً من العصابات الأخرى يأخذونه وعندها تحدث حرب بينهم وفي الغالب تنتصر الدماء السوداء لأن جميع أفرادها تربوا على فنون القتل منذ الصغر.

مع أن أهل الجزيرة كلهم مجرمين إلا أن تلك العصابة هي الأسوء بينهم مما جعل كل من في الجزيرة يخافونهم ويتجنبون أي تعامل معهم.

تلك الجزيرة هي مكان فاسد من الداخل ومن الخارج وكل من يسكنون فيها يئسوا من كل شيء وأصبحوا يعيشون بدون هدف، بدون قيم، وبدون أحلام، لم يعد هناك فرق بين حياتهم وموتهم، كانت كالمقبرة التي يسكنها الأحياء.

باختصار، تخيل أسوء مكان يمكن أن يعيش فيه إنسان، مع أسوء أنواع الناس يعيشون هناك، في أسوء موقع يمكن أن يوجد، وستكون قريباً من ذلك الجحيم.

إنه مكان تراه فقط في الكوابيس.

لنعد إلى المملكتين، تكونت هاتان المملكتان في نفس الوقت بعد حرب عظيمة، قبل تلك الحرب كان العالم بأكمله تحت قبضة ملك واحد وحد العالم كله، لكن تلك قصة أخرى، كان لدى هذا الملك خمسة عشر ابناً ولأَّهم المناصب العليا في المملكة.

مات الملك وكان قد أمر أبناءه باختيار خليفته عن طريق الانتخاب بمشاركة المملكة كلها ويمكن لأي شخص الترشح للمنصب لكن ذلك لم يحدث وانقسم أبناؤه إلى ثلاثة فرق، الأول يريد تنفيذ وصية والدهم، والثاني يريد الحكم ويرى أنه الأحق به، والثالث لا يهتم، تقاتل الفريقان وهرب الفريق الثالث إلى مكان آمن، وكان لكل ابن حلفاء في المملكة مما صعد القتال إلى أن شمل المملكة كلها.

عمت الفوضى وتبدل الأمن خوفاً والسعادة شقاءاً ودمر الأبناء ما بناه والدهم الذي كان يتوقع منهم أن يحفظوه وينموه ولم يخطر بباله أن يفعلوا شيئاً كهذا.

بعد قتال دام أربع سنوات وموت الكثير من الناس وبعد أن أدركوا عدم جدوى القتال، عقد الفريقان هدنة وتوقفوا عن القتال واتفقوا على تقسيم المملكة بينهما وكل فريق يبني مملكته الخاصة، أخذ الفريق الأول الجهة الشرقية والفريق الثاني الجهة الغربية وانتهت الحرب.

"ماذا الآن؟" هذا ما فكر فيه الأبناء، مازالت هناك مشكلة من هو الملك؟

اختار الأبناء طريقتين مختلفتين لحل تلك المشكلة.

الفريق الأول اختار الانتخاب تنفيذاً لوصية والدهم وكطريقة عقلانية لتحديد الملك، أما في الفريق الثاني فقد حدث شيء مختلف تماماً فكل الأبناء يريدون

الحكم ولن يتنازل أي منهم لذلك اقترح أحدهم طريقة أبسط لتحديد الملك، "لنتقاتل حتى الموت" هذا ما قاله وكان يتكلم بجدية فضحك البقية وظنوا أنه يمزح في الواقع هو لم يكن وكان يقول في نفسه "هذه المملكة لا تستحق أن يحكمها هؤلاء الجبناء، وأنا لم أقاتل كل تلك المدة ليتولى أحد غيري الحكم".

بعد انتهاء الاجتماع ذهب وأطلع أخوه الذي يعتبره أقرب صديق له على خطته لجعلهما يتوليان الحكم وكانت بقتل جميع إخوته الآخرين لكيلا ينافسهم أحد على السلطة فقال "لا بالطبع، أريد الحكم لكن لن أقتل إخوتي لهذا السبب".

في صباح اليوم التالي وجدوه مقتولاً في غرفة نومه وكان هو المسؤول الأول عن القوى العسكرية، تم التكتم على الأمر من قبل الأبناء لكيلا تعم الفوضى بين الجنود وبكل سذاجة أعطوا مسؤولية الجيش لذلك الأخ الذي يثقون فيه جميعاً ويحبونه، بعد أن تولى قيادة الجيش أرسل بعض القتلة المأجورين ليضعوا نهاية لإخوته ثم قام بتنصيب نفسه ملكاً للمملكة الجديدة، وبالطبع حدثت الكثير من الفوضى فور قيامه بهذا ولكنه استطاع أن يقمعها في فترة وجيزة.

ونشأت المملكتان الجديدتان اللتان اقتسمتا العالم.

الفريق الأول مملكة "سيارا". الفريق الثاني مملكة "نوشاي".

مر الوقت ..... ونمت المملكتان وأصبحتا أكبر وأقوى.

"سيارا" اتخذت الشمس شعاراً لها لضوئها وقوتها واستخدموها كمصدر أساسي لتوليد الطاقة، هم آمنوا أن العلم مثل الشمس هو ما يضيء حياة الإنسان، تقدموا في كل مجالات العلم واستخدموا علمهم لصنع أشياء عظيمة بل مستحيلة لم يكن أي شخص يستطيع أن يتخيلها حتى.

عندهم مقولة شهيرة كُتبت على أبواب الصروح التعليمية والمكتبات تقول "لا يوجد شيء مستحيل، هناك طريق مسدود فقط، ابحث عن طريق آخر".

الناس هناك كلهم متعلمين علوماً مختلفة بمستويات مختلفة، ومازالوا يتبعون نهج أجدادهم في اختيار الملك لهذا تكون هناك انتخابات كل عشر سنوات ويجب أن يكون الملك من أحفاد الملك العظيم وهذه ليست مشكلة فهناك الكثير منهم هناك.

ملك "سيارا" لا يمتلك السلطة المطلقة لأنه إلى جانب الملك هناك 30 وزيراً ورئيس وزراء وهم جميعاً يشكلون العائلة الملكية في "سيارا"، لا يشترط أن يكون الوزراء من أحفاد الملك العظيم، فالوزير هناك مرحلة أكثر منها منصباً.

عندما يصل أحدهم لدرجة مرتفعة في أحد العلوم ويُقدم شيئاً جديداً فيه ويُعترف به من العائلة الملكية، يلقب بـ "ماجا" وتعني في اللغة القديمة "النجم"، وهم يحتلون أرقى مكانة وأكثرها احتراماً في المملكة وتعطى لهم بطاقة تجعلهم يأخذون أي شيء بدون مقابل، كل ما يريدون عندما يريدونه، بدون حد، ثم عندما يتفوق في هذا العلم أكثر ويصل إلى مكان لم يصل إليه أحد قبله ويُظهر كماً هائلاً من العلم ويعترف به الجميع يُعين وزيراً وهي أعلى مكانة علمية في المملكة.

"سيارا" أدركت أن المعرفة هي أقوى أداة وسلاح موجود وأن العلم هو ما يجعل للإنسان قيمة ويحميه من ظلام الجهل ويوصله إلى ما يريد، لهذا السبب العلم في "سيارا" هو بمثابة الهواء الذي يتنفسون والماء الذي يشربون والدم الذي يجري في عروقهم.

مملكة "سيارا" وصلت في علمها لما لم يصل إليه أحد من قبل، وكلما خطوا خطوة في طريق العلم الذي لا ينتهي تقام الاحتفالات والمواكب وتعم الفرحة أرجاء المملكة، الناس هناك يعيشون ليتعلموا دون مبالغة، هذا كل ما يشغل تفكيرهم لأن في "سيارا" العلم هو كل شيء.

"نوشاي" أصبحت مملكة عظيمة أيضاً، الناس هناك عملوا بجد لاستخدام موارد أرضهم لصالحهم، زرعوا جزئاً كبيراً من أراضي المملكة الشاسعة، وعاشوا على خيرات الطبيعة، حياة بسيطة لكن في غاية الجمال، لم يهتموا للتعمق في العلوم، اكتفوا بأن يتعلموا ما يبقيهم على قيد الحياة ولم تكن لديهم رغبة في تعلم المزيد.

الناس في "نوشاي" آمنوا أن أفضل طريقة للعيش في هذه الحياة هي العمل بجد لاستخدام ما لديك دون أن تضيع وقتك في تعلم أشياء أخرى، لهذا ليس لديهم أماكن مخصصة للتعلم فهم يؤمنون أن العلم يكون بالعمل والناس هناك أقوياء من العمل الجاد كل يوم ويتحلون بأخلاق عالية، "نوشاي" مشهورة أيضاً بالفنون القتالية، كثير من السكان هناك هم مقاتلون محترفون فهم يحبون تلك الرياضة، بالنسبة لهم الاهتمام بأجسادهم أهم من الاهتمام بعقولهم.

"نوشاي" مملكة جميلة جداً والناس هناك سعداء جداً ومخلصون جداً ويفعلون كل ما يستطيعون ليجعلوا مملكتهم أقوى.

"نوشاي" اتخذت القمر شعاراً لها لأنه رمز للأمل "لا يهم مدى سواد الليل سيكون هناك دائماً ضوء لينير لنا الطريق"، هذا ما يقوله الناس هناك وما يعيشون ويعملون به.

ملك "نوشاي" يمتلك السلطة المطلقة في اتخاذ القرار ولديه بعض المستشارين لمساعدته في اتخاذ قراراته وليس لهم أي سلطة عليه.

لنتحدث عن هذا الأمر قليلاً، حدث هذا بعد أن أصبح ذلك الابن الذي قتل إخوته الملك وسمى المملكة "نوشاي"، تعلم شيئاً مما حدث مع إخوته لذلك قرر أنه سوف ينجب ابناً واحداً فقط ليكون الملك دون قتال وأمر ابنه بأن يفعل نفس الشيء.

بعد أن يحصل الملك على ابن ذكر تُعطى أمه تركيبة تجعلها غير قادرة على إنجاب طفل آخر وهذا كان شرطاً يجب أن توافق عليه قبل الزواج وهذه كانت الطريقة التي فكر بها ذلك الملك لحل المشكلة قبل حدوثها وهذه الطريقة مازالت سارية حتى الوقت الحاضر.

هكذا عاشت المملكتين، مختلفتين في طريقة التفكير لكن كلاهما مُحق بطريقة أو بأخرى.

بعد مرور بعض الوقت أصبحت هناك علاقة تجارية بين المملكتين فمثلاً مملكة "سيارا" احتاجت ما تزرعه "نوشاي" لأنه لم يكن لديهم مكان ولا وقت للزراعة، و"نوشاي" احتاجت آلات الزراعة التي تصنعها "سيارا" لفعل أشياء لا يمكن فعلها بالقوة الجسدية وحدها وسماد تطوره "سيارا" يعطي الأرض مميزات عجيبة.

وهذا ليس السبب الوحيد لتبادلهم البضائع، كان هذا أيضاً لتقوية العلاقة بينهما، لأنهم لم ينسوا الماضي ولكنهم تعايشوا معه وتطلعوا لمستقبل أفضل، ومع أنهم يعملون على تقوية العلاقة إلا أن سكان "سيارا" و "نوشاي" مختلفون في كل شيء تقريباً من طريقة التفكير إلى طريقة اللباس، الشيء الوحيد الذي يجمعهم هو الماضي الأليم الذي يتشاركونه لكن ذلك لم يمنعهم من البحث عن طريقة ليتعايشوا مع ذلك الاختلاف.

كانت الثقة ضعيفة بين المملكتين فكل منهما كان يتوقع أن تنقلب عليه المملكة الأخرى في أي لحظة وهذا كان مصدراً للكثير من المشاكل، ولحل هذه المشكلة اتفقت المملكتين في الذكرى 300 لتأسيسهما على تخصيص يوم واحد في السنة.

ذلك اليوم هو اليوم الذي أقيمت فيه الهدنة وانتهت فيه الحرب وتأسست المملكتين، سموه يوم "العهد"، في هذا اليوم تقوم المملكتان بفتح الحدود الفاصلة بينهما وإقامة مهرجان ضخم لإحياء ذكرى الناس الذين ماتوا في الحرب وتجديد العهد الذي تعاهد عليه الأبناء والتعهد بعدم تكرار ما حدث أبداً مهما كان السبب.

ذلك المهرجان يقام في "نوشاي" بتجهيز "سيارا" وبمشاركة كثير من سكان المملكتين ويدوم ليوم كامل وبعد أن ينتهي اليوم يعود كل مواطن إلى مملكته ويعود كل شيء كما كان.

ونجح هذا الأمر، ازدادت الثقة بين المملكتين بشكل كبير وانتهت المخاوف التي كانت تراودهم وأصبحوا يعيشون في سلام حقيقي وتهدمت كثير من الحواجز التي كانت بينهم واختفت المشاكل واستقر الوضع وعمت السعادة، واستمر هذا الحال إلى أن جاء اليوم الذي ستبدأ فيه قصتنا، يوم العهد الألف...

اشرقت الشمس وفتحت المملكتان الأبواب وكانتا في انتظار هذا اليوم لأن في هذا اليوم ستحتفل المملكتان بألف عام من السلام.

في ليلة هذا اليوم في الجانب الغربي من "الأنقاض" وراء أحد الأشجار هناك طفل على وشك أن يولد.

طفل لم تستطع والدته التخلص منه حتى وهي ما تزال في مراحل الحمل، كلما حاولت التخلص منه تُغير رأيها في آخر لحظة، لم تعرف لماذا، هي فقط أحبته كثيراً حتى قبل أن تراه.

ولأنها أحبته لم ترد له أن يولد في مكان بهذا البؤس لهذا استمرت في محاولة التخلص منه ولكنها لم تستطع.

لذلك قررت الاختباء في أحد الكهوف المهجورة طوال فترة الحمل لكيلا يعلم

أحد منهم أنها حامل فيؤذيها أو يؤذيه، خصوصاً بعد أن قُتل والده من زعيم الدماء السوداء الذي لو علم أن لديه ابناً سيقتله أيضاً وهذا ما زاد من خوفها أكثر.

جاءت اللحظة وبدأت آلام الولادة، كان الألم يزيد في كل ثانية، شعرت كأن الوقت توقف والألم أصبح لا يحتمل، شعرت كأنها تلد ألف طفل في نفس اللحظة من الألم الذي مرت به، لقد أحست بأنها تموت ثم تحيا عشرات المرات ولكنها كانت تكتم فمها الذي لو فتحته لهزت الجزيرة بصرخاتها لكيلا يعلم أحد مكانها فيؤذي الطفل.

بعد مرور بعض الوقت تمت الولادة أخيراً بعد أن اختبرت الأم ألماً لا يستطيع أن يتحمله أحد، استجمعت كل ما تملك من قوة وأمسكت طفلها وضمته لصدرها وهي تبكي والطفل يبكي ثم ماتت إثر كل ذلك الضغط.

جلب بكاء الطفل رجلاً يمر بالجوار فوقف أمام الأم الميتة التي يبكي طفلها في حضنها، حدق فيهما بصمت ودون أن يشعر بدأت الدموع تنهمر من عينيه ثم وقف قليلاً ثم أخذه في صمت وعاد به إلى منزله.

هذا الرجل هو أشهر رجل في الجزيرة وأشهر تاجر هناك وأغناهم وأكثرهم ممتلكات، اسمه "إلينار" وهو في الخمسين من العمر والوحيد في تاريخ "الأنقاض" الذي وصل إلى هذا السن والسر وراء هذا أنه في حين يستخدم سكان الجزيرة قوتهم للبقاء فهو يستخدم عقله لينجو.

بعد أن عاد "إلينار" إلى بيته أعطى الطفل لخادمته التي ولدت حديثاً لتقوم بإرضاعه وأمرها أن تهتم به ثم ذهب إلى غرفته واستلقى على سريره يفكر.

بعد فترة وجيزة نهض من على السرير وسار إلى الغرفة التي تُرضع خادمته فيها الطفل واختلس نظرة يملؤها الفضول وقال في نفسه "من هذا الفتى؟" ثم

وقف قليلاً ينظر إليه ثم هز رأسه منكراً وقال مستغرباً "ما الذي أفعله؟! يبدو أنني لست بخير اليوم" ثم عاد إلى غرفته.

بعد أيام أمر "إلينار" بأخذ الطفل إلى أهم موطن من مواطن ربحه، "مزرعة الأطفال" كما يسميها، في هذا المكان يتم تربية الأطفال حتى يكبروا ويصبحوا صالحين للاستخدام، يتم التقاطهم من الطرقات أو شراؤهم من أهلهم اللذين لا يريدونهم أو ينتجهم "إلينار" بنفسه.

كل الأطفال هناك لا يملكون اسماً ولا عائلة لأنه لا فائدة من تسميتهم كما يقول ويمكن لمن يشترونهم تسميتهم كما يشاؤون، أقصى سن يمكن أن يبلغه الطفل هناك هو 18 سنة وبعدها يتم بيعه وإذا لم يباع يأخذه "إلينار" ليعمل لديه.

في البداية يوضع الطفل في عنبر كبير فيه الكثير من الأطفال حتى ينهي مرحلة الرضاعة وبالطبع ليس كل الأطفال ينجون، هذه المرحلة تكون فيها أكبر نسبة لموت الأطفال، بعد أن يكمل الطفل أربع سنوات يتم نقله إلى عنبر آخر حتى يكمل عشر سنوات، وبعدها إلى العنبر الأخير الذي يسمى "الملجأ" إلى 18 سنة.

يعتقد "إلينار" أنه يفعل شيئاً جيداً لأن هذا أفضل من أن يموتوا في الطرقات فهو ينقذهم ويستفيد أيضاً.

بعد عدة أشهر خرج "إلينار" من الجزيرة في رحلة عمل وخلال رحلته قابل طبيباً من "سيارا" اسمه "لوشاس" ففرح بشدة بهذا إذ لم يكن في الجزيرة طبيب واتفق معه أن يعمل لديه وفي المقابل سيحميه ويوفر له ما يحتاج فوافق وعاد معه إلى الجزيرة.

عندما وصل "إلينار" دخل المزرعة واقترب من الطفل ثم حمله وقال "منذ ولدت وأنا أشعر أن العالم بأكمله أصبح حليفي ... من أنت؟" ثم وضعه في

فراشه وقال لإحدى الخادمات "إن مات تموتين"، فانحنت وقالت "نعم سيدي"، فاستدار ثم خرج من المزرعة.

اتجه لأحد المنازل ثم طرق الباب ففتح "لوشاس" فقال له "أعجبك المنزل؟"، قال بحزن "نعم، شكراً أيها التاجر"، قال "لا تبدو سعيداً"، قال "هربت دون أن أودع عائلتي"، قال "هربت؟! ظننت أنك نفيت؟"، قال "حكم علي بالإعدام ولكني هربت بمساعدة صديق لي".

قال "ماذا حدث؟"، قال "ارتكبت خطأ" ثم ضرب الحائط بقوة وقال "كيف حدث هذا؟!"، حدق فيه قليلاً ثم قال "كلنا نخطئ"، قال بغضب "أنت لا تعلم شيئاً، أنا لا أخطئ، لم أخطئ قط، قمت بألاف العمليات في القلب والدماغ وأخطر مناطق الجسم ولم أخطئ قط، كيف أخطئ في شيء سخيف كهذا؟!!! اللعنة".

قال "هل ستخبرني؟"، سكت لعدة ثوان ثم قال "استدعوني لعملية لفتاة صغيرة، كانت شيئاً سهلاً للغاية، أخبرت أهلها أنني يمكنني أن أفعلها ألاف المرات وأنا مغمض العينين ... لا أدري كيف حدث هذا ولكن يدي انحرفت بطريقة ما و" ثم بدأ يبكي وقال "سال الدم داخل جسدها وتجمد جسدي وفجأة توقف قلبها".

زاد بكاؤه وقال "انقلب الجميع ضدي وكاد والدها أن يقتلني ضرباً وأخذوني إلى السجن ثم حكموا عليَّ أن أعدم ولكني هربت".

سكت "إلينار" قليلاً ثم وضع يده على كتفه وقال "أنت هنا الآن، لا فائدة من هذا الكلام"، مسح دموعه وقال "تريد شيئاً أيها التاجر؟"، قال "أريدك أن تهتم بالمزرعة جيداً، لا أريد أن يموت أي طفل".

قال "حسناً، شيء آخر؟"، قال "نعم، عليك أن تستمع لما سأقوله جيداً لأن حياتك ستعتمد عليه، هذا المكان مختلف تماماً عما تعودت عليه، هنا لا يمكنك

أن تنظر لأحد كحليف أو صديق، عندما ترى أحداً تسأل نفسك هذا السؤال "هل بإمكاني قتله؟"، إن كانت الإجابة "نعم" فبإمكانك أن تتحاور معه كما تريد، إن كانت "لا" فافعل أي شيء لتبتعد عنه وأنا متأكد أن الإجابة معك ستكون "لا" لأغلب سكان الجزيرة لذا حاول ألا تغضب أحداً هل فهمت؟".

سكت وهو ينظر إلى الأرض ثم قال "نعم، شيء آخر؟"، فالتفت وقال مبتعداً "لا تمت بسرعة"، حدق فيه قليلاً ثم دخل وأقفل الباب وجلس خلفه يبكي.

بعد سنة ذهب "إلينار" في إحدى رحلاته خارج الجزيرة وجلس في ظل أحد الأشجار فاقترب رجل وجلس بجانبه وابتسم له وقال "مرحباً"، تعجب وقال "من أنت؟"، فابتسم وقال "أهكذا ترد التحية؟"، غضب "إلينار" ووضع يده على مقبض سيفه وقال "إن كنت هنا للمشاكل فأنت تعبث مع الشخص الخطأ؟"، ابتسم وقال "حقاً؟".

سحب "إلينار" سيفه باتجاه عنقه وقال "رد خاطئ"، بسرعة خاطفة وثبات مذهل أمال الرجل جسده إلى الخلف فمر السيف من أمام عينيه واصطدم بالشجرة التي خلفه وعلق بها.

نظر إليه "إلينار" متعجباً وقال الرجل متنهداً "أنتم يا سكان "الأنقاض" ألا تتحدثون إلا هذه اللغة؟"، قال "إلينار" "من أنت؟ كيف فعلت هذا؟"، قال "ضربتك كانت جيدة للغاية، قليلون فقط من يمتلكون هذه المهارة، لو لم أكن أتوقع أنك ستفعل شيئاً كهذا لكنت ميتاً الآن" ثم أخرج بعض الأحجار الكريمة من جيبه وقال "لقد سقطت منك هذه وأنت تسير".

سكت "إلينار" لبرهة ثم تفقد جيبه ثم نظر إليه وقال "لماذا لم تأخذها؟"، قال "لأنني لست سارقاً"، سكت وهو يحدق فيه مستغرباً فوقف الرجل وقال "هذا ما أتيت لأفعله، الوداع" ثم سار مبتعداً.

قال "إلينار" "إن كنت جئت لإعطائي هذه الأحجار فقط لماذا جلست؟"، فالتفت وقال "لا أدري، كنت أريد الحديث مع أحد فقط لكنني أفضل أن أغادر ورأسي في مكانها"، ابتسم وقال "اجلس لقد أثرت اهتمامي".

جلس بجانبه وقال "لمن أدين بهذا الشرف؟"، قال "ماذا؟!"، قال مبتسماً "ما هو اسمك؟"، قال " "إلينار"، وأنت؟"، قال " "جاس" "، حدق فيه لبرهة ثم قال "ماذا فعلت لتُنفى من "نوشاي"؟".

نظر إليه متعجباً وقال "كيف علمت أنني من "نوشاي"؟!"، قال "بالطبع أنت كذلك، وحدهما المملكتان من تملكان أناس يتحلون بهذه القيم التي لديك، أعرف هذا لأن طبيبي من "سيارا" ولكن لا يمكن أن تكون أنت من هناك لأن أهل "سيارا" ضعفاء، لهذا أنت من "نوشاي"".

ابتسم وقال "هكذا إذن" ثم قال "لقد أذنبت ذنباً كبيراً وهذا ما أخرجني من هناك"، سكت "إلينار" لبرهة ثم قال "لا تريد أن تتحدث عن الأمر"، قال بحزن "لا، لا أريد أن أعيش ذلك اليوم مجدداً"، قال "عليك ألا تحمل الماضي فوق ظهرك، ضعه تحت قدميك وأكمل طريقك".

ابتسم بحزن ثم قال "تحطم الطريق"، قال "ابحث عن طريق آخر إذن"، نظر إليه ولم يتكلم فأكمل "عندما كنت في الخامسة قَتل أبي أمي أمام عيناي وحاول قتلي ولكنني هربت، عندما أصبحت في السابعة قتلته بيدي، رآني عمي فعذبني لشهر لكنني استطعت أن أهرب ثم قتلته هو وزوجته، إن كنت تظن أنك ذقت معنى اليأس صدقني ... أنت لا تعلم معنى تلك الكلمة".

سكت قليلاً ثم قال بحزن "ذلك المكان الذي أتيت منه، تلك الجزيرة ... إنها مكان فاسد، أشفق عليكم حقاً يا أهل "الأنقاض" "، سكت "إلينار" لعدة ثوان ثم قال "هناك أمر يشغلني منذ فترة ولا أعلم تفسيره"، نظر إليه وابتسم وقال

"أنت تتكلم كثيراً يا صديقي، لم أتوقع أن تكون هكذا"، وضع "إلينار" يده على مقبض سيفه وابتسم وقال "لن أخطئ هذا المرة"، ابتسم وقال "أنا أمزح، ما الأمر؟"،

قال "إنه يخص أحد الأطفال الذين أربيهم، لا أدري كيف أشرح هذا ولكن هناك شيء غريب فيه، منذ لحظة ولادته وهو يجعلني أتعجب كلما أنظر إليه وتزيد دهشتي في كل يوم، هذا الفتى تحدث معه أشياء غريبة أيضاً، فمثلاً في إحدى الليالي نَسي أحد الخدم إغلاق باب المزرعة التي هو فيها وفي صباح اليوم التالي حدث شيء لم أكن لأصدقه إن لم أره بعيني، عندما دخلنا وجدنا ثلاثة ذئاب نائمة حول سريره ولم يتأذى أي طفل".

نظر إليه الرجل متعجباً وقال "كيف؟!"، قال "هذا ما أريدك أن تجيب عنه، منذ عشر سنوات حدث أمر مماثل وقُتل كل طفل كان هناك، وكان ذئباً واحداً فقط"، نظر إليه بصمت ثم أعاد النظر أمامه ولم يقل شيئاً.

قال "إلينار" "قبل أن يولد كنا نعاني من زلزال كل بضعة أشهر ولكن بعد أن ولد لم أرى أي منهم مطلقاً، وهناك المزيد، أنا لا أفهم، هل هذا كله مصادفة؟"، قال "لا، لا توجد مصادفات ... أحياناً تصلنا بعض الأشياء التي لا نفهمها ولكننا نكون متأكدين مما تعني".

سكت "إلينار" وهو يحدق فيه ثم وقف الرجل وقال "كل ما سأقوله لك هو أن تهتم به جيداً وتقف وتشاهد ما سيصبح" ثم قال "لقد تأخر الوقت سوف أغادر الآن"، وقف "إلينار" وقال "نعم هيا بنا".

سار الاثنان معاً إلى أن وصلا إلى نقطة فراقهما فقال الرجل "حسناً إنها لحظة الوداع، كان وقتاً ممتعاً"، قال "إلينار" "نعم، جيد أنني لم أقطع رأسك وقتها، أنت تستحق أن تعيش"، ابتسم وقال "أظن أن هذه مجاملة، شكراً، إلى اللقاء" ثم سار مبتعداً وعاد "إلينار" إلى رجاله.

نظر إلى القمر وهو يسير ويفكر ثم قال "بعد أكثر من ألف عام هل يعقل؟ ... لا ... لا يمكن إنها أسطورة فقط ... لكن أن يولد في هذا الوقت وذلك المكان يؤكد الأمر ... لا شك في هذا ... إنه هو" ثم ابتسم وقال "أريد أن أعيش لأرى هذا"...

الفصل الثاني
(منعطفات الحياة)

12 سنة لاحقاً...

في طريق من طرقات "الأنقاض"، ثلاثة أطفال يركضون حاملين معهم بعض الطعام وخلفهم عشرة رجال يلاحقونهم، يذهب الأطفال للاختباء وراء أحد المنازل القريبة ويتابع الرجال ركضهم دون أن يلاحظوهم.

قال أحدهم وهو يلتقط أنفاسه وينظر إليهم يرحلون "كان هذا وشيكاً"، قال الآخر بغضب "كم مرة عليَّ أن أخبرك ألا تركض بعد أن تسرق؟ هل أنت أحمق؟"، قال "لقد أخافني ذلك الرجل عندما نظر إليَّ"، فلكمه ثم قال منزعجاً "جبان" ثم التفت وقال " "آنا"، المرة القادمة سأذهب أنا وأنت بدونه"، قالت "توقف أيها القائد أنت تقسو عليه"، قال متنهداً "أنت دائماً بجانبه" ثم نظر إليها مستغرباً وقال "أين ما سرقتيه؟!"، ابتسمت وقالت "لقد سقط مني وأنا أركض".

حدق فيها لثانية ثم تنهد وقال "أنتما الاثنان ... حسناً" ثم اقتسم ما معه وأعطاه لهما.

قالا "وأنت؟"، قال "لا تقلقا بشأني، أكلت البارحة"، نظر الأخ إلى أخته فقالت "نعم هو يكذب"، قال "لست جائعاً، كلا فقط" ثم استدار وقال "هيا لنذهب إلى "لوشاس" ألم تكونا تريدان هذا؟" ثم سار وسار الاثنان خلفه.

قالت "آنا" وهي تأكل "أتى رجل بالأمس لشراء "دان" ولكن "إلينار" رفض مجدداً"، فنظر بجانبه وقال "حقاً؟! لم تخبرني بهذا".

قال مبتسماً "أنا و "آنا" لم نُشترى حتى الآن بفضلك أيها القائد"، قالت "نعم، أنت الوحيد في الملجأ الذي يهتم "إلينار" لأمره، هل أنت قريبه أم ماذا؟"، ابتسم وقال "كثير ممن معنا هم أولاد "إلينار" يا "آنا" هل نسيتي؟"، قالت "صحيح! ما هو السر إذن؟"، قال "لا أعلم"، قال "دان" "هذا الأمر يثير جنون الأطفال الآخرين وهذا هو السبب وراء مضايقتهم الدائمة لك".

قال منزعجاً "توقفا عن الحديث عن هذا، تذكرا ما علمتكما جيداً لكي نعيش في هذا المكان علينا ألا نثق بأحد ولا ننتظر شيئاً من أحد، حتى وإن كان "إلينار" بجانبي الآن فما الذي يضمن لي أنه لن ينقلب عليَّ في الغد؟ لهذا لا تأملا كثيراً فيه".

سكت الاثنان قليلاً ثم قالت "آنا" مبتسمة "عندما كان مريضاً الأسبوع الماضي كنت تقف أمام نافذة منزله عدة ساعات لتطمئن عليه، لقد كنا نشاهدك"، نظر إليها ثم احمر وجهه ثم أداره بسرعة وقال "كنت أريد أن أسأله عن شيء فقط"، نظر "دان" و "آنا" إلى بعضهما وابتسما ثم تابعوا السير إلى أن وصلوا لمنزل الطبيب.

دخلوا المنزل فاستقبلهم مبتسماً وقال متعجباً "سمح لكم "إلينار" بزيارتي؟"، قال "دان" "لا بالطبع لقد هربنا، لو علم أننا هنا سنكون في مشكلة"، فابتسم وقال "هكذا إذن" ثم قال "وأنت أيها القائد ألم تغير رأيك بعد؟"، قال منزعجاً "ها نحن مجدداً"، قالت "آنا" "توقف عن العناد واقبل أن يسميك الطبيب"،

وقال "دان" "نعم لماذا أنت عنيد هكذا؟".

قال "أنا لا أريد اسماً، لا أريد"، قال "لوشاس" مبتسماً "لقد قَبل أخواك أن أسميهما بسهولة، لماذا تُصعب الأمر إذن؟"، قال "كما قُلت سابقاً، لا أريد اسماً لأنني سأخرج من هذه الجزيرة في يوم من الأيام لأعرف من أنا أولاً ثم يأتي الاسم بعد ذلك"، قالت أخته "أراهن أنك ستقبل أن يسميك "إلينار" "، قال "ما الذي يجعلك تقولين هذا؟"، قالت "إنها الحقيقة"، قال "لوشاس" مبتسماً "هكذا هو الأمر إذن، أنا لست جيداً بما يكفي لتقبل أن أسميك".

قال متنهداً "يكفي حديثاً عن هذا أيها الطبيب، وحتى إن سميتني فلن يناديني أحد بهذا الاسم إلا أنت وهذان الاثنان فقط، فما الفائدة؟"

ثم جلس على كرسي بجانب الحائط وقال مبتسماً "حدثنا مزيداً عن الخارج"، جلس الأخوان بجانبه وقالا "أرجوك"، ابتسم "لوشاس" وجلس بجانبهم وبدأ بالحديث عن روعة "سيارا" وعن قصص عاشها هناك.

عندما انتهى لمعت عينا القائد وقال "سأفعل أي شيء لأغادر هذا السجن اللعين وأذهب لأرى باقي العالم"، قال "دان" "أريد أن آتي معك"، قالت "آنا" "توقفا كلاكما عن هذا، إن ذهبتما أنتما الاثنان ماذا سأفعل أنا؟".

قال "دان" "يمكنك القدوم معنا"، قالت "إنهم لا يسمحون للنساء بالركوب على السفن، أنت تعرف هذا"، قال "لوشاس" مبتسماً وهو يُخرج كتاباً من الخزانة "الحديث عن هذا الأمر مبكر للغاية وقد حان الوقت لتسمعوا درس اليوم".

وقف القائد فجأة وقال "تذكرت أن هناك شيء عليَّ أن أفعله"، قال "دان" "هذا الشيء تتذكره دائماً عندما يأتي موعد الدرس"، فابتسم ثم أسرع إلى الباب وقال "سأنتظركما في مكاننا" ثم فتح الباب واصطدم برجل أمامه.

نظر إليه ثم ابتسم وقال "أهلاً أيها التاجر"، قال "إلينار" "كنت أعلم أنني سأجدك هنا، هل هما معك؟"، فابتسم وقال "لا، لا، بالطبع لا، تعلم أنني أعمل بمفردي إنهما نائمان في الملجأ، لقد أتيت وحدي"، حدق فيه قليلاً ثم قال "هكذا إذن" ثم دخل من الباب.

قال "لوشاس" مبتسماً "مرحباً أيها التاجر"، قال "إلينار" وهو ينظر حوله "تحت السرير أم في الخزانة؟ ... سأختار السرير وإن كنت مخطئاً فلن أعاقبكم، هيا أخرجا أعلم أنكما هنا".

فتح الأخوان باب الخزانة وخرجا منها.

قال "إلينار" "الخزانة إذن؟ لقد كنت مخطئاً، نجوتم هذه المرة" ثم مشى داخل الغرفة وجلس على كرسي أمام "لوشاس" ثم نظر إلى الكتاب الذي يحمله وقال "هل مازلت تحدثهم بهذا الهراء؟"، قال مبتسماً "القيم ليست هراء، إنها الدليل الذي يرشدنا كيف نعيش في هذه الحياة بأفضل طريقة"، قال "لا إنها هراء" ثم نظر إليهم وقال "أنتم الثلاثة إن عُدت إلى الملجأ ولم أركم هناك، تعرفون ما سيحدث" ثم قال "غداً تعالوا إلى منزلي سنتناول الغداء سوياً"، قال القائد مبتسماً "شكراً لك أيها التاجر" ثم أشار إلى أخويه ثم خرج الثلاثة من المنزل.

قال "دان" "هل سنعود الآن؟"، قال القائد "بالطبع لا، لنذهب إلى القاعدة، مر الكثير من الوقت منذ آخر مرة كنا فيها هناك"، قالت "آنا" "لقد تأخر الوقت علينا أن نعود"، قال "ثقا بي فقط، هيا لنذهب"، اتجهوا إلى شاطئ الجزيرة إلى كوخ صغير فوق أحد الأشجار يسمونه "القاعدة السرية" التي بنوها بأنفسهم من أغصان الأشجار.

عندما وصلوا تسلقوا الشجرة واستلقوا ليشاهدوا النجوم، قالت "آنا" "هل سمعتما ما حدث بالأمس؟"، قال القائد "تقصدين تلك المرأة المجنونة"، قالت "نعم".

قال "دان" "ماذا حدث؟"، قال "شاهدت زوجها نائماً مع امرأة أخرى فقامت بقتله"، سكت قليلاً ثم قال "وما الغريب في هذا؟! هذا يحدث هنا كل يوم".

قالت "نعم ولكن اسمع ما حدث، في البداية وضعت سماً في شرابه وعندما بدأ يتألم من آثار السم أخذته إلى أحد الأشجار وربطته فيها وأوقدت ناراً تحته فبدأ جسده يحترق وهو يصرخ من الألم ثم اقتلعت عيناه بسيفها وتركته ليصرخ حتى جف حلقه ثم ربطت حبلاً حول رقبته لتشنقه وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة رمته بعشرة سهام حتى مات".

رفع حاجبيه ثم قال "يالها من طريقة للموت"، قال القائد "لهذا أقول لك دائماً أن تحذر من النساء، إنهن مثل الشمس ترها جميلة من بعيد ولكن إن اقتربت فستحترق"، قالت "آنا" مبتسمة "نعم، عليك أن تنتبه".

بعد عدة ثوان من الصمت قال القائد " "دان" "آنا" هل تعرفان ما هو اليوم؟"، نظرا إليه مستغربين فقال مبتسماً "نسيتما؟ في هذا اليوم منذ ثلاث سنوات قطعنا ذلك العهد"، قالا بدهشة "حقاً!!!"، قال "نعم ... مرت ثلاث سنوات ولكني مازلت أتذكره كأنه أمس" ثم جلس وقال "هل تذكران ما قلناه وقتها؟"، فجلسا ومدا يدهما وقالا "حتى بعد الموت" فابتسم ومد يده وقال "سنظل إخوة إلى الأبد".

بعد فترة غادر الثلاثة متجهين إلى الملجأ، قال القائد وهو يسير "لنسرع فقد تأخر الوقت"، قال "دان" "ماذا إن كان "إلينار" قد عاد ولم يجدنا؟ لا أريد أن أجلد من جديد"، قال "عندما يذهب إلى "لوشاس" يعود متأخراً ولكن لنسرع".

وهم يسيرون قابلتهم مجموعة رجال والتفوا حولهم، قال أحدهم "أنظروا من هناك، أخبرتكم أننا سنراهم مجدداً"، قال آخر وهو يخرج سيفه "سأقتلهم هذه المرة"، قال آخر "انتظر، ذلك الفتى هناك إنه طفل "إلينار" المدلل، إن فعلنا

شيئاً له سنكون في مشكلة"، قال وهو يبتسم "هل ترى "إلينار" هنا؟".

نزل القائد على الأرض ببطء والتقط حجراً وقال "عندما أتحرك عليكما أن تهربا بسرعة"، قال "دان" "كيف نهرب؟ إنهم يحاصروننا؟"، رمى الحجر بقوة في رأس أحدهم وركض نحو البقية وصاح "هيا، ماذا تنتظران؟!!!".

ركض الأخوان بسرعة وأمسك الرجال به وأوقعوه على الأرض وظلوا يضربونه ويركلونه بأرجلهم وهو عاجز عن أن يتحرك، اقترب الرجل الذي أصابه الحجر منه والسيف في يده وقال بغضب "ستندم على هذا أيها الوغد، سأقطع أطرافك كلها ثم أتركك لتموت من الألم".

أوقفه أحدهم وقال "انتظر" ثم أمسك يد القائد اليسرى وقام بكسرها فصاح من الألم فابتسم الرجل وقال "إن قطعت أطرافه سيموت بسرعة، دعنا نكسرها أولاً لنستمتع أكثر" ثم أمسك قدمه اليمنى وهو يحاول الإفلات منه ثم قام بكسرها وهو يضحك.

أمسك كتفه الأيمن والقائد يبكي ويقول بألم "يكفي ... هذا ... أرجوك"، فضحك وقال "تتوسل للرحمة الآن، لقد فات الأوان" ثم ثنى كتفه بقوة فصرخ من الألم وهو يبكي ثم وقف الرجل وقال "يمكنك أن تقتله الآن، لقد استمتعت بما يكفي".

"أنتم الخمسة على طفل صغير ... وتسمون أنفسكم رجالاً".

توقفوا ونظروا إلى مصدر الصوت ثم قال أحدهم متعجباً " "إلينار"؟!!"، وقال آخر "هو من بدأ أيها التاجر، هو من سرق منا أولاً"، قال "لا يهم، ابتعدوا عنه"، سكت لبرهة ثم ابتسم وقال "بالطبع" ثم أسقط سيفه على أحد أصابع القائد فانقطع وبدأ يصيح من الألم.

قال الرجل وهو يلتقط السيف "أوه، معذرة لقد سقط مني" وضحك

الآخرون، تغير وجه "إلينار" ثم اقترب منه وأخرج سيفه وقال "هل تظن أن هذا مضحك؟"، قال "نعم، قليلاً"، بحركة خاطفته قطع "إلينار" يده وقال "إذن هذا سيضحكك أكثر"، صرخ الرجل بقوة وحاول ضربه بالسيف فصده "إلينار" ثم ضرب عنقه فحلقت رأسه بعيداً وسقط جسده على الأرض تسيل منه الدماء.

نظر "إلينار" إلى البقية فاستداروا وغادروا بصمت، أدخل سيفه واقترب من القائد المستلقي على الأرض يئن من الألم ثم قال "هل أنت بخير؟"، فارتفع بكاؤه وقال "كنت خائفاً، ظننت أنني سأموت"، ابتسم وقال "ليس وأنا على قيد الحياة" ثم حمله وقال "هيا .. ستنام في منزلي الليلة"...

وهكذا مرت الأيام، يوم سعيد ومئة يوم ليست كذلك ومرت ست سنوات في لمح البصر.....

بقي القائد وحيداً في الملجأ بعد أن تم بيع أخويه مع أنه حاول منع هذا بكل الطرق لكنه لم يستطع، مازال يقابلهما من حين لآخر إلا أنهما أصبح لديهما عمل كثير ليقوما به فلم يعد لديهم الكثير من الوقت ليقضوه معاً، أصبح يشعر بالملل دائماً لأنه لم يعد هناك أحد ليتحدث معه فهو لا يتكلم مع الأطفال الآخرين إلا بيديه عندما يبدؤون في إزعاجه وهو قد اقترب من أن يكمل 18سنة ولا يمكن للتاجر أن يبقيه أكثر من هذا فقرر أخذه للعمل لديه وكان في خاطر هذا الشاب عمل محدد.

عمل "إلينار" لا يقتصر على الجزيرة فقط فهو يقوم بعمل رحلات إلى مكان آخر خارج الجزيرة وهناك رحلة قريبة وكان الشاب يضع عينه عليها فترجى "إلينار" أن يشركه فيها لكنه رفض فأصر على الذهاب ويئس "إلينار" من أن يغير رأيه فقال له أن يفعل ما يشاء، ابتسم وشكره كثيراً ثم ذهب ليخبر أخويه بهذا الخبر السعيد.

قرر أن أول من سيشاركه هذه الفرحة هي أخته التي هي أقرب الأشخاص إليه، قبل أن يذهب إليها ذهب إلى أحد المتاجر التي تبيع الفاكهة وسرق بعض "المولو" (وهي فاكهة تشبه الموز في شكلها واليقطين في طعمها ولا تتواجد إلا في تلك الجزيرة) لأن أخته تحبها وهو محترف في السرقة ثم ذهب مسرعاً إلى بيتها.

طرق عليها الباب ثم انتظر قليلاً ولكنها لم تفتح فطرق مجدداً وأخذ واحدة من "المولو" الذي معه وقشرها وبدأ يأكلها وهو ينتظر أن تفتح له، جاء صوت مرتفع من الداخل يقول "ألم تسمعي أيتها الحمقاء؟! هل تريدين أن أضربك مجدداً؟".

تفاجأ من الصوت وقال في نفسه "ذلك الوغد، من أين يُخرج هذا الصوت؟"، وهو يطرق الباب للمرة الثالثة فتحت أخته الباب فتفاجأت برؤيته وقالت بدهشة "أخي؟! ما الذي جاء بك إلى هنا؟! أعني في هذا الوقت المبكر"، فنظر إليها وابتسم ثم أعطاها "المولو" وقال مبتهجاً "أحضرت ما تحبين"، قالت بغضب "هل سرقت هذا؟".

قال منزعجاً "هل ستبدئين مجدداً؟ أنا لست وحدي من يسرق، الجميع يسرقون"، قالت "هذا ليس مبرراً، الفعل السيئ يظل سيئاً حتى لو فعله الجميع"، قال منزعجاً "أنت قلتيها، الجميع سيء، ما الذي سيتغير إن أصبح شخص واحد جيد؟" ثم قال بصوت ساخر "هل نسيتي أنك وأخي كنتما تسرقان معي قبل بضعة سنوات؟ والآن أنتما تريدانني ألا أسرق؟! ما الذي تغير؟ أنا أفضل أن أسرق على أن أموت من الجوع".

وضعت "آنا" يدها على جبهتها وهزت رأسها يائسة وقالت "كم مرة عليَّ أن أقول لك هذا؟ إن ظللت تسرق سوف تذهب إلى الجحيم وتعيش هناك إلى الأبد، ألم تكن تستمع عندما كان يُحدثنا "لوشاس"؟"، قال "وكم مرة عليَّ أن أقول لك هذا؟ لا تصدقي كلام ذلك الطبيب إنه مجنون، وإن ظللت تستمعين له أنت

وأخي ستصابان بنفس المرض" ثم قضم قضمة من "المولو" التي في يده وقال "حتى إن كان هناك جحيم فلن يكون أسوء من هذا المكان".

نظرت إليه بأسف ثم نظرت إلى السماء وقالت "يا إلهي سامحه وأره الحقيقة فهو مازال طفلاً أحمق" ثم نظرت إليه وقالت "لماذا أتيت؟"، قال "نعم صحيح! احزري ماذا؟"، جاء صوت مرتفع من داخل المنزل "ما الذي تفعلينه كل هذا الوقت؟ أعمال المنزل لن تنجز نفسها، إن لم تنجزي عملك فلا عشاء لك الليلة".

قالت بصوت مرتفع "أنا قادمة" ثم قالت "أسرع وقل لمَ أتيت؟".

قال مبتهجاً "وافق "إلينار" على أن يسمح لي بالذهاب خارج الجزيرة"، سكتت لثانية ثم حركت رأسها منكرة وقالت "لا لن يفعل، أنت تكذب، ألم أقل لك ألا تكذب أيضاً؟"، قال بجدية "أنا لا أكذب"، فنظرت في عينيه ومن معرفتها العميقة به أيقنت أنه يقول الحقيقة فسكتت وهي تحدق فيه ثم بدأت عيناها تدمع ثم أغلقت الباب بقوة، تفاجأ من هذا وظل واقفاً بصمت وقال في نفسه "لماذا فعلت هذا؟! هل قلت شيئاً خاطئاً؟" ثم أعاد طرق الباب ولكنها لم تفتح فوقف قليلاً ثم ذهب وهو حزين.

قرر أن يذهب إلى أخيه ليسأله ماذا بها، فذهب إلى المزرعة التي يعمل فيها وبحث عنه ولكنه لم يجده فتعجب لأنه دائماً ما يكون هناك في هذا الوقت فسأل عنه فأخبره أحد العمال أنه لم يأت منذ فترة، قال في نفسه "لم يأتي للعمل منذ فترة؟! وبالحديث عن هذا أنا لم أره منذ فترة أيضاً، أين هو ذلك الوغد؟"، ثم ذهب إلى مكان نومه وهو قريب المزرعة.

دخل السكن المليء بأوراق الأشجار التي ينام عليها العمال فلم يجد أحداً هناك فالكل يعمل فسأل نفسه "أين يمكن أن يكون؟"، ثم بحث في أرجاء القرية لكنه لم يستطع إيجاده فبدأ يشعر بالقلق فهذا لم يحدث من قبل.

ذهب إلى أخته مجدداً وبدأ يطرق على الباب بقوة.

بعد فترة قصيرة فتحت الباب وقالت له "أعتذر أنني أغلقت الباب يا أخي ولكنك فاجأتني"، قال "لا تهتمي لهذا، هل تعرفين أين هو "دان"؟ لا أستطع إيجاده في أي مكان"، تفاجأت وتغير وجهها وقالت بصوت متردد وعلى وجهها ابتسامة مزيفة "هل بحثت عنه في مكان نومه؟ أنت تعلم كم يحب أن ينام"، لاحظ أن هناك شيئاً غريباً بها ثم قال "نعم ذهبت إلى هناك، هل تعرفين أين هو؟".

بدأت عيناها تدمع وهي تنظر إليه فالتفتت إلى داخل المنزل بسرعة ومسحت دموعها، نظر إليها مستغرباً وقال "ما خطبك؟ أنت لست على طبيعتك اليوم"، حنت رأسها ولم ترد وبدأت الدموع تتساقط من عينيها، قال مستغرباً "هل أنت بخير؟! هل فعل ذلك الرجل شيئاً لك مجدداً؟".

قالت بصوت حزين "أنا آسفة"، سكت وهو يحدق فيها ثم قال "ماذا تقصدين؟"، استمرت في البكاء فأمسك بها بقوة وقال "أختي، ماذا تقصدين؟"، زاد بكاؤها وبدأت يداه ترتعش ثم تركها وركض والدموع تملأ عينيه، ذهب لكل مكان في القرية ليبحث عن أخيه وهو يقول "لا، لا، لا يمكن أن يحدث هذا"، بعد أن أرهقه التعب ولم يعد هناك مجال للشك ذهب ليبكي في مكان حيث لا يراه أحد.

بعد فترة من الزمن تمالكت "آنا" نفسها ثم استأذنت سيدها لتذهب إلى مكان ما، اتجهت إلى الجهة الغربية إلى بيت خشبي صغير فوق أحد الأشجار، صعدت السلم الذي صنع من الأغصان المهترئة ثم دخلت البيت فوجدت أخاها جالس واضع رأسه بين ساقيه يبكي بدون صوت.

قالت "علمت أنني سأجدك في هذا المكان، مرت فترة طويلة منذ أن أتيت

إلى هنا"، لم يرد عليها فجلست وأسندت رأسها إلى الحائط وهي تتذكر كيف كانوا يسرقون ألواح الخشب لبناء هذا المكان ثم نظرت إلى النافذة وبدا لها وكأنها تشاهد نفسها وبجانبها أخويها وهم يشاهدون النجوم في السماء المظلمة ثم ابتسمت والدموع في عينيها.

رفع الشاب رأسه وقال وهو يمسح دموعه "منذ متى؟"، قالت "أسبوع"، قال "لماذا لم تخبريني؟"، قالت "أنت تعلم لماذا"، سكت قليلاً ثم قال "كيف حدث هذا؟"، قالت "لا أدري، عامل من العمال أخبرني أنه وجده ميتاً في أحد الطرقات"، قال بغضب "اللعنة، كيف حدث هذا؟"، قالت "الحياة تستحق أن تعيشها بطريقة أفضل، هذا ما كان يقوله دائماً".

ضرب الأرض بقوة وأمسك رأسه وقال "كم أنا أحمق".

نظرت إليه مستغربة فقال بغضب "آخر مرة رأيته فيها أراد أن يخبرني بشيء ولكنني تجاهلته وتابعت السير ظناً مني" ثم سكت وظل يقول "اللعنة"، سكتت "آنا" قليلاً وهي تحدق فيه ثم قالت "ظناً منك أنه سيقول لك نفس الكلام الذي يقوله لنا "لوشاس" "، قال بحزن "نعم"، قالت "لا فائدة من هذا الآن، أنا متأكدة أنه في مكان أفضل".

عم الصمت لدقيقة ثم قال " "لوشاس" مخطئ، هذا العالم مكان قاس يجب أن تكون أقسى لكي تستطيع أن تعيش فيه" ثم قال بغضب "انظري ما حدث عندما أراد "دان" أن يكون شخصاً صالحاً، لقد قُتل، هذا هو العالم الذي نعيش فيه إما أن تَقتل وإما أن تُقتل، هذا هو الواقع".

سكتت قليلاً ثم قالت "ربما أنت محق وربما لست كذلك ... وحدها الأيام هي ما ستثبت ذلك"، سكت الاثنان لفترة ثم وقف ومسح دموعه وقال بصوت فارغ "سأسير على الشاطئ"، وقفت وأمسكته وقالت بجدية "أخي، أعلم فيما تفكر، أرجوك لا تفعل".

حدق فيها قليلاً ثم قال "أخبريني بالحقيقة إذن، من قام بقتله؟"، رفعت صوتها وقالت بغضب "ماذا ستفعل إن علمت؟! هل تريد الموت أيضاً؟" ثم بدأت تبكي "هل تظن أنني سأحتمل أن تموتا كلاكما؟" ثم تركته وقالت "حسناً، هيا اذهب واقتل نفسك، أقسم أنني سأقتل نفسي إن أصابك مكروه" ثم دفعته وصاحت "**هيا، ماذا تنتظر؟!!!**".

حدَّق فيها بصمت ثم اقترب منها وعانقها فانفجرت بالبكاء فقال "أعلم أنك تعانين أكثر مني ... آسف، حقاً آسف".

بعد فترة عاد إلى الملجأ وجلس على فراشه وهو غارق في الحزن لا يدري ما يفعل وكيف يمكنه الخروج من الجزيرة في هذا الوضع ثم قال في نفسه "في كل مرة ... كل مرة أشعر فيها أن الأمور تسير كما أريد يتحطم كل شيء، لماذا؟ أريد أن أسأل فقط لماذا؟".

اقترب منه خمسة فتية يتقدمهم فتى قصير قوي البنية فنظر إليهم ثم قال "ليس الآن ... صدقني ... أنت لا تريد العبث معي الآن"، أشار الفتى بيده فأمسك به الآخرون وهو يحاول الإفلات منهم وبدأ بضربه بقوة واحتشد باقي الفتية ليشاهدوا وعم الصغب ثم تدخل الخدم وأبعدوهم عنه.

في صباح اليوم التالي نهض من على فراشه وقرر أنه سيذهب إلى "إلينار" ليخبره أنه عدل عن فكرة الذهاب وأنه سيبقى في الجزيرة، عندما فتح الباب وجد أخته في نهاية الطريق وهي تسير باتجاه الملجأ، نظر إليها مستغرباً فهو لم يعتد أن تأتي هي إليه فهو من يذهب دائماً لزيارتها، عندما وصلت إليه حدقت في وجهه الذي تملؤه الكدمات ثم قالت "وعدتني بالأمس أنك لن تفعل شيئاً أحمقاً"، قال "لم أفعل شيئاً، إنه ذلك الفتى اللعين مجدداً"، سكتت قليلاً ثم قالت "أخبرت إلينار"، قال "لست فتاة صغيرة لأخبره ... وهو يعلم ما يحدث".

قالت "أين كنت ستذهب؟"، قال "قررت أنني سأبقى هنا ولن أغادر"، قالت "نعم، توقعت أنك ستفعل هذا لهذا لم أرد إخبارك، أنت دائماً ما تترك عواطفك تتحكم بتصرفاتك"، قال "أليس هذا ما أردتيه؟!".

قالت "لا، أريدك أن تكون سعيداً وهذا كل ما أريد، وبما أن هذا هو حلمك فمن أنا لأمنعك عن تحقيقه يا أخي"، نظر إليها مستغرباً ثم قال "هل تقولين إنك موافقة على أن أذهب؟"، قالت مبتسمة "نعم".

نظر إليها رافعاً حاجبيه وسأل متعجباً "من أنت؟ أين هي أختي؟ ماذا فعلت بها؟"، ابتسمت وقالت "اذهب وحقق حلمك يا أخي واعلم أنني سأدعمك في كل خطوة ... وهذا ما كان ليقوله أخونا لو كان حياً"، نظر إليها وهو يفكر ثم سأل متعجباً "هل أنت متأكدة؟".

قالت "نعم، ولا تنسى أن تُحضر لي تذكاراً عندما تعود" ثم قالت "نعم، كدت أنسى" ثم فتحت الحقيبة الصغيرة التي تحملها على كتفها وأخرجت منها طوقاً جميلاً من الأزهار وقالت "صنعت هذا لـ "دينا" هلا تعطيه لها عندما تذهب للمخبز، كنت أريد أن أعطيه لها بنفسي ولكنني مشغولة، وأنا لم أعد أراها في الآونة الأخيرة، لا أدري هل هي مريضة أم ماذا؟ أريدك أن تذهب وتطمئن عليها من أجلي".

قال "حسناً، سأفعل"، التفتت وقالت "هذا كل شيء، عليَّ أن أذهب الآن قبل أن يعود ذلك الرجل إلى المنزل وإلا ... تعلم ما سيحدث"، قال بحزن "نعم ... أختي تحملي قليلاً، سأمتلك المال وسأحررك، أقسم بهذا"، ابتسمت ثم قالت "حسناً، سأنتظر" ثم غادرت.

ظل واقفاً يفكر ثم نظر إلى السماء وقال "حسناً" ثم عاد إلى الداخل.

بعد خمسة أيام خرج من الملجأ وعلى وجهه ابتسامة كبيرة لأن غداً هو اليوم الذي كان ينتظره منذ زمن فغداً هو يوم الرحلة، كان اليوم دافئاً على غير العادة فأخذ نفساً عميقاً وقال "إنه يوم جميل، لن يفسد هذا اليوم شيء" ثم ذهب إلى منزل "إلينار" وهو أكبر منزل في "الأنقاض" فهو أغنى رجل هناك ولديه الكثير من الخدم وأغلبهم من النساء.

طرق الباب ففتح "إلينار" فرآه واقفاً مبتسماً فنظر إليه مستغرباً ثم قال "ماذا؟! لماذا تبتسم؟"، قال مصدوماً "هل نسيت؟! غداً هو يوم الرحلة"، قال "لهذا تبتسم، هل مازلت تريد الذهاب؟"، قال "نعم بالطبع! جئت لأسألك ماذا عليَّ أن آخذ معي؟"، قال بحزم "أنت لست ذاهباً في نزهة، أنت ذاهب لتعمل، لا تحضر معك شيئاً"، قال "هذا أفضل، أريد أن أذهب في تلك الرحلة بشدة"، قال "لا تتحمس كثيراً فهذا فأل سيء".

وهما يتحدثان شاهد "إلينار" مجموعة من الرجال الذين يرتدون أقنعة سوداء وملابس سوداء يسيرون باتجاه الجهة الغربية لـ "الأنقاض".

أمسك بالشاب وسحبه إلى داخل المنزل وأغلق الباب بسرعة فسأله مستغرباً "ماذا؟!"، فأشار إلى النافذة فنظر منها فوجد أفراد عصابة الدماء السوداء يسيرون في الطريق.

قال "هل خرج هؤلاء الوحوش؟! ستكون هناك الكثير من الدماء اليوم"، قال "نعم عندما يخرج هؤلاء الأوغاد ستكون هناك مشكلة"، ظل الشاب ينظر إليهم ويقول في نفسه "سيكون هذا المكان في حال أفضل إن لم يكن هؤلاء الوحوش يعيشون فيه، أتمنى أن يختفوا جميعاً" ثم نظر إلى التاجر وقال "سمعت أنهم أخذوا منك سفينة أخرى"، جلس "إلينار" على كرسي بجانب النافذة وقال بأسف "لقد فعلوا، هذه رابع سفينة يأخذونها ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟ إن لم أعطهم إياها سيدمرون باقي السفن".

قال بغضب "لماذا تتركهم يفعلون هذا؟ أنت لديك الكثير من الرجال الأقوياء هنا، لماذا لا تدافع عن ممتلكاتك؟"، قال "أنت تعلم لماذا، تعلم ما حدث عندما قررنا القتال ضدهم؟ لا يهم عدد الرجال الذين نملكهم، رجل واحد منهم بعشرة منا".

سكت لبرهة ثم قال بحزم "هل هذا عدل؟ أعني أن يفعلوا هذا"، نظر إليه وابتسم وقال "عدل؟! لا هذا ليس عدلاً ولكن من أين أتيت بهذه الكلمة؟ لست بحاجة لإخباري أنه "لوشاس" أليس كذلك؟"، قال "نعم، إنه يقول إن الناس يجب أن تعيش بالعدل وإلا فهم لا يختلفون عن الحيوانات في شيء".

ضحك بصوت مرتفع وقال "لا تستمع لهذا الكلام فستفسد عقلك"، ابتسم وقال "أعلم، إنه لا يعيش في الواقع ولكن أحياناً يكون مُحقاً"، قال "هل تعلم لماذا أخذوا سفينة جديدة؟"، قال "ربما لأنهم أوغاد".

ابتسم وقال "نعم ولكن هناك سبب آخر"، قاطع حديثهما صوت مرتفع صدر من معدة الشاب يدل على أنه لم يتناول إفطاره بعد، نظر إليه وابتسم وقال "لنتحدث عن هذا لاحقاً، الآن لنأكل فأنا لم أتناول إفطاري بعد"، قال مبتسماً "كنت لأموت منذ زمن لو لم تكن هنا أيها التاجر"، وقف "إلينار" وقال "لا تقل مثل هذه الأشياء فهذا كلام الضعفاء".

بعدما انتهوا من تناول الطعام خرج الشاب من بيت "إلينار" ليقوم بإحضار أشياء طلب منه أن يحضرها، ذهب إلى السوق الذي في الجهة الجنوبية وهو قريب من بيت "إلينار" وهو يملك كل المتاجر التي فيه وطريقة الشراء تكون بالمقايضة فليس لديهم نقود هناك وإن لم يكن لديهم شيء ليقايضوا به فالغالب يلجؤون للسرقة أو يأخذون ما يريدون بالقوة، لهذا أصحاب المتاجر لابد أن يكونوا رجالاً أقوياء ليستطيعوا حمايتها.

عندما وصل قرر أن يُحضر الخبز أولاً فدخل المخبز وقال مبتهجاً بصوت فيه لحن

"أريد بعض الخبز للتاجر"، فالتفت الرجل أسود البشرة الذي يخرج الخبز من الفرن ثم حدق فيه لعدة ثوان ثم عاد لما كان يفعل وقال "لا أدري كيف تكون سعيداً دائماً هكذا، هل أنت مريض؟"، قال مستغرباً "وما المشكلة؟"، قال بغضب رافعاً صوته "المشكلة؟!! هل أنت أعمى؟ أنظر حولك، لم أعد أحتمل هذا المكان".

سكت محدقاً فيه ثم قال "أنا لست أعمى، أنا أكره هذا المكان مثلك تماماً ولكن لقد تعلمت أن البكاء والتذمر لن يغير شيئاً بل سيزيد الأمر سوءاً، "الأمور السيئة ستحدث ولكن إن صبرت ما يكفي سترى الكثير من الأشياء الجيدة أيضاً" هذا ما يقوله الطبيب".

سكت وهو يحدق فيه ثم أمسك بعض الخبز ووضعه في حقيبة وأعطاها له وقال "هذا ما تريد، أبلغ سلامي للتاجر" ثم التفت وعاد لعمله، سكت الشاب لبرهة ثم قال "هناك شيء آخر، معي شيء من أختي لـ "دينا" " ثم أخرج طوق الأزهار من معطفه وقال "هل هي بخير؟ أختي لم تعد تراها"، نظر الرجل إليه ثم اقترب منه وأخذ طوق الأزهار ثم قال مبتسماً "إنها بخير، سوف أحرص على أن أسلمه لها".

نظر إليه مستغرباً وقال في نفسه "هذه أول مرة أراه يبتسم!" ثم قال "شكراً ستسعد أختي بهذا" ثم التفت وغادر المكان.

أكمل إحضار ما طُلب منه وهو يفكر كيف سيكون الغد، وهو غارق في أفكاره دخل أفراد الدماء السوداء الذين رآهم من قبل السوق وكانوا مجموعة مكونة من 17 رجلاً فأفراد تلك العصابة لا يسيرون إلا في جماعات وكلهم رجال، أفسح الآخرون لهم الطريق لأنهم إن لم يفعلوا فسيقتلونهم وكان الشاب داخل أحد المتاجر فلم ينتبه لهم.

سمع صرخة عالية فأيقظته من أحلامه، خرج من المتجر ونظر إلى مصدر

الصوت فإذا بفتاة صغيرة بشعر أبيض ملقاة على الأرض وهي تتألم وحولها أفراد العصابة، قال واحد منهم "تلك الغبية، لقد أفسدت يومي"، قال له آخر بجسم ضخم وصوت مخيف "ليس لدينا وقت فالزعيم ينتظر"، قال وهو يُخرج سيفه "سأقتلها أولاً"، فأخرج الرجل المخيف سيفاً ووضعه على رقبته وقال "ليس لدينا وقت"، نظر إليه بغضب وحدق فيه بغيظ ثم أدخل سيفه وقال "حسناً" ثم ذهبوا.

جلست الفتاة على الأرض وبدأت بجمع الحطب الذي كانت تحمله في السلة وهي تبكي بدون صوت، اقترب الشاب منها وانحنى ليجمعه معها وقال "كان هذا وشيكاً، ماذا فعلت لتثيري غضبهم؟".

رفعت رأسها وهي تبكي ثم قالت بصوت ضعيف "لم أرهم"، نظر إلى عينيها فوجدهما أبيض من الثلج فقال في نفسه "إنها عمياء!!" ثم قال بغضب "كيف يخرجك سيدك وأنت لا تستطيعين الرؤية؟"، جاء صوت من الخلف "كانت تستطيع ولكن ذلك الوحش كان يعذبها كثيراً حتى فقدت البصر وابيض شعرها من كثرة الصراخ".

نظر خلفه فوجد فتى بشعر أبيض يقترب منه ثم تخطاه وقال لها "أنت بخير؟"، فأومأت برأسها ثم وقفت ومسحت دموعها وأخذت السلة وذهبت معه.

نظر إليهما بحزن ثم إلى أفراد العصابة بغضب وقال في نفسه "حتى أشرس الوحوش يجب أن تمتلك قلباً في مكان ما، كل شيء يسير على نحو خاطئ هنا، أكره هذا المكان" ثم لاحظ أن رجلان منهم يمسكون بشخص يضع قناعاً على وجهه ليس كأقنعتهم ويرتدي ملابس رسمية ليست كالملابس التي يرتديها أفراد العصابة.

لم يبد اهتماماً للوهلة الأولى ثم أعاد النظر وقال في دهشة "هل هذا؟" ثم

ركض إلى بيت "لوشاس"، طرق عليه الباب بقوة ولكن لم يفتح أحد وسمع صوت بكاء من الداخل فطرق مجدداً بقوة أكبر فلم يجب أحد، فذهب إلى خلف المنزل وقام بانتزاع أحد الألواح الخشبية وقال في نفسه "جيد هو لم يصلح هذا بعد" ثم نظر إلى الداخل فوجد خادمته جالسة على الأرض تبكي ولم يجد أحداً غيرها في المنزل.

اقترب منها وسألها "أين الطبيب؟"، قالت وهي تبكي "لقد أخذوه!!!"، ارتعش جسده وقال في نفسه "إذن لقد كان هو حقاً!" ثم قبض يده بقوة وقال "أولئك الأوغاد" ثم دنى منها وقام بمواساتها وأعطاها كوباً من الماء لتهدأ ثم قال لها "ماذا حدث؟ لماذا أخذوا الطبيب؟".

شربت الماء ثم بدأت تهدأ وقالت "لقد دخلوا وقاموا بضربه وقيدوه وأخذوه بالقوة ولا أدري لماذا فهم لم يقولوا شيئاً".

سكت وهو يشعر بغضب شديد ثم قال "هل فعل شيئاً أغضبهم؟"، قالت "إن الطبيب لطيف مع الجميع، هو لم يؤذ أحداً أبداً" ثم عادت للبكاء، نظر إليها بحزن ثم قال في نفسه "بالطبع هو لن يؤذي أحداً، ذلك الرجل هو أفضل من في الأنقاض" ثم وقف وقال "انتظري لتري ما سيحدث عندما أخبر "إلينار" بهذا" ثم خرج من المنزل.

ركض باتجاه منزل "إلينار" ثم طرق الباب بقوة وهو ينادي عليه، فتحت إحدى خادماته الباب فدفعه بقوة ونظر إلى الداخل فلم يجده فنظر إليها وقال وهو يلتقط أنفاسه "أين هو "إلينار"؟"، قالت "ذهب إلى المزرعة"، قال "أي مزرعة؟"، قالت "مزرعة الأطفال"، فوضع الأشياء التي طلبها على الأرض وركض إلى هناك.

دخل العنبر الأول الذي فيه الأطفال الرضَّع فوجد "إلينار" واقفاً يكلم إحدى المرضعات فنادى عليه، نظر إليه "إلينار" ثم قال بضع كلمات للمرضعة ثم أنهى حديثه معها وذهب إليه.

اقترب منه وقال "ماذا هناك؟"، قال ممسك صدره "اختطف الطبيب"، سأل متعجباً "ماذا؟!"، فأخذ نفساً عميقاً ثم قال "رأيت الدماء السوداء ومعهم الطبيب ولكن كان هناك قناع على وجهه فلم أكن متأكداً أنه هو فذهبت إلى منزله لأتأكد فقالت خادمته أنهم أخذوه".

سكت قليلاً ثم قال "هل أنت متأكد؟"، قال "نعم، ذلك الرجل الذي رأيته معهم كان يرتدي نفس ملابس الطبيب ولا أدري لماذا فعلوا هذا"، نظر "إلينار" إلى أحد الأطفال الذين يبكون وأمسك لحيته وهو يفكر.

نظر إليه الشاب مستغرباً وقال "ماذا؟! ألن تفعل شيئاً؟"، نظر إليه وقال "هل سمعت ما حدث منذ يومين؟"، قال "منذ يومين؟!" ثم قال "تقصد الحرب التي حدثت بين الدماء السوداء والعصابة الحديدية".

قال "نعم، وبعد أن انتصروا قاموا بضم الجهة الشمالية إليهم"، قال "حقاً؟! هل فعلوا هذا؟"، قال "نعم، وبهذا نصف الجزيرة أصبح لهم" ثم تابع "سمعت أن "بنداس" أصيب في تلك المعركة"، قام بتنظيف أذنه ثم قال "كأنني سمعت أنك قلت إن ذلك الغول أصيب، أنا لا أسمع جيداً فصوت بكاء الأطفال مرتفع".

قال "لم أصدق هذا أيضاً ولكن إن كان هذا صحيحاً فهذا يفسر سبب أخذهم لـ "لوشاس" "، فكر قليلاً ثم قال "وماذا سنفعل؟ هل سنتركه؟"، نظر إليه بغضب وقال "لقد أهانوني بأخذ أحد رجالي، لن يمر هذا بسهولة" ثم خرج من العنبر وسار بخطوات غاضبة.

نظر إليه وهو يغادر ثم ضحك ضحكة ساخرة وقال في نفسه "لن يفسد هذا اليوم شيء... اللعنة" ثم لحق به.

ذهبا إلى أكبر رأس في عصابة الثور ثم أخبره "إلينار" بما حدث وقال له أن يعد الرجال للمعركة فهز رأسه موافقاً لأنه خسر لسانه في أحد المعارك وذهب ليجمع الرجال ليستعدوا للحرب ثم غادر "إلينار" والغضب مرسوم على وجهه وسار باتجاه الجهة الغربية.

سأل الشاب "أين نحن ذاهبون؟"، قال بحزم "إلى ذلك الرجل"، فسأل متعجباً "من ذلك الـ"، قال "ستعلم عندما نصل" فسكت وتابع مشيه.

بعد عدة خطوات سأل الشاب "هل فعلت شيئاً للخباز اليوم؟ بدى أكثر جنوناً من العادة"، ابتسم "إلينار" وقال "لا يمكنك أن تصمت أبداً، هناك دائماً شيء تقوله أليس كذلك؟"، فابتسم وقال "نعم".

سكت لبرهة ثم قال "لقد ماتت ابنته"، توقف عن السير ونظر إليه مستغرباً فنظر إليه وقال "ليس لدينا وقت لهذا، لدينا مشاكل أكبر"، قال بغضب "أخبرني هذا الصباح أنها بخير، ما الذي حدث؟!"، قال متعجباً "ما الذي جعله يقول هذا؟ لقد ماتت منذ أسبوع"، قال "ماذا؟! كيف؟"، قال "صدقني أنت لا تريد أن تعلم"، قال بغضب "بل أريد، ما الذي حدث؟! كيف ماتت "دينا" أيها التاجر؟".

قال "أخبرني أنها في إحدى الليالي عادت إلى المنزل تبكي بشدة وثيابها ممزقة وترتجف من الخوف فسألها عما حدث فأبت أن تخبره وصعدت إلى غرفتها وظلت تبكي هناك، في صباح اليوم التالي أعد لها الفطور وذهب ليتفقدها فوجد حبلا معلقاً في وسط غرفتها وهي تتدلى منه".

ارتعش جسده وقال "لا يمكن"، قال "أنت من أراد أن يعلم، الآن توقف عن الكلام وأسرع"، لم يتحرك فقال بصوت مرتفع "أعلم أنها صديقتك ولكن

هذه ليست أول مرة يحدث فيها شيء كهذا، الناس هنا تقتل نفسها كل يوم، إن توقفت مع كل واحد منهم لتحزن عليه فلن تنتهي، هذه هي الحياة التي نعيشها، هذا هو الواقع، ولن تستطيع تغيير هذا لذا اقبله".

بعد دقيقة من الصمت وضع الشاب نظره في الأرض وبدأ بالسير ثم قال "أتمنى أن يسقط علينا شيء من السماء يدمر هذا المكان بالكامل"، نظر إليه وقال "وقتها ستموت أنت أيضاً"، قال "الآن ... لم يعد هذا مهماً".

أمسك به "إلينار" بقوة وقال "اسمع هذا جيداً، هذه الحياة صُممت لتحطمك، إن أخبرتك كيف كانت طفولتي لن تستطيع قدماك أن تحملك ولكن لم أتحطم، عندما تضربك الحياة قف على قدميك واستعد لتلقي الضربة القادمة لأنها لن تتوقف أبداً" ثم تقدم عدة خطوات "أريدك أن تكون قوياً لأني لن أكون معك دائماً، لا تجعل شيئاً يحطمك، إن كنت تظن أنك رأيت الجانب المظلم للحياة بموت قليل ممن تعرفهم فليس لديك فكرة كيف كان هذا المكان عندما أنا ولدتُ، قاتل، قاتل هذا العالم هل تفهمني؟"، نظر إليه الشاب بحزن ثم تابع السير.

اتجه الاثنان إلى أحد المنازل في الجهة الغربية، طرق "إلينار" الباب ثم انتظر قليلاً والشاب واقف بعيداً عن الباب ينظر إلى المنزل ويقول في نفسه "ما الذي يفعله هذا الرجل؟ هل فقد عقله؟".

بعد دقيقة فتح الباب رجل يرتدي ثياباً مُمزقة ثم أشار إلى "إلينار" بسكين وقال بصوت منهك "من أنت؟ ماذا تريد؟" وهو يترنح ولا يستطيع أن يقف، دقق النظر فيه ثم أنزل السكين وقال "أوه، إنه أنت".

قال "إلينار" وهو يهز رأسه بيأس "هل مازلت تشرب؟! كم مرة عليَّ أن أقول لك أن تتوقف عن هذا؟ هذا المكان يحتاج أن تكون يقظاً لكيلا يغدر بك أحد"، قال مبتسماً "يا صديقي، لن يموت أحد قبل أوانه".

قال "إلينار" "جئت لأحدثك في شيء مهم" ثم دخل المنزل ثم نظر خلفه فوجد الشاب واقف كأنه جزع شجرة فقال له "ماذا بك؟ أنت لست بحاجة لدعوة لتدخل"، نظر إليه رافعاً حاجبيه ولم يرد فاستدار "إلينار" ودخل المنزل، نظر الرجل إلى الشاب فارتعش جسده ونظر إلى الأرض بسرعة ثم استدار ودخل المنزل وأقفل الباب.

ظل واقفاً في مكانه لا يتحرك وهو ينظر إلى المنزل الذي لطالما سمع عنه قصصاً مخيفة ثم هز رأسه ليستيقظ ومشي على أطراف أصابعه حتى وصل إلى الباب ثم وضع أذنه على الباب ليستمع.

"جئت أطلب منك هذا بنفسي، هذه فرصتنا للقضاء عليهم".

"لا ... لا يمكنني". "لماذا لا يمكنك؟ هذه فرصتنا، قائدهم مصاب". "... لا، لن أفعل". "... لم أكن أعلم أنك جبان هكذا، إلى متى ستظل تختبئ هنا وتهرب من الواقع؟". "لم يعد هناك شيء يستحق أن أخرج لأراه، آسف يا صديقي" ثم عم الصمت في المنزل.

تساءل الشاب في نفسه "ما الذي يتحدثان عنه؟"، فجأة فتح "إلينار" الباب بقوة فسقط على الأرض، نظر "إلينار" إليه مستغرباً فوقف وقال "إذن، ماذا حدث؟"، أقفل الباب ثم ذهب دون أن يقول شيئاً، لحق به وقال بلهفة "هل كان هذا هو الأسطورة "راي"؟!!! هل هذا هو حقاً؟!"، ابتسم وقال "الأسطورة"، قال "لا يُصدق، هذه أول مرة أراه فيها فهو لا يخرج من منزله، عندما كنت طفلاً كنت أسمع قصصاً مخيفة عنه ولكنه لا يبدو بتلك الروعة".

قال "تلك القصص كلها حقيقة ولكنه لم يخرج من منزله بعد تلك الحادثة ويبدو أنه لن يفعل"، قال "حقاً؟! ... إذن هو ولد في بركان من النار فعلاً وشرابه المفضل هو دماء الشياطين"، قال "لا، إنه إنسان مثلنا"، سأل بفضول "ويبدو أنك

تعرفه؟!"، قال "نعم، معرفة قديمة"، سكت قليلاً ثم قال "وهل صحيح أنه كان "بنداس" السابق؟"، قال "نعم".

رفع حاجبيه وقال في نفسه "هو لم يبدو بتلك القوة" ثم سأل "وهل صحـ" قال بغضب "كف عن الأسئلة، هل نسيت أننا نعد للحرب الآن؟ وذلك الجبان رفض مساعدتنا"، سكت ثم قال في نفسه "كنت مصدوماً فقط، هذا شيئاً لا أراه كل يوم".

ذهبا إلى السوق حيث اجتمع أفراد عصابة الثور استعداداً للحرب، سأل "إلينار" متعجباً "أين البقية؟!"، قال أحد الواقفين "لقد رفضوا أن يأتوا"، فنظر إليه بغضب ثم قال "رفضوا؟"، قال "نعم".

قال "عد أنت و"أغا" وخذ معك رجلين آخرين وأخبروهم بأن يأتوا ومن يرفض اكسر ساقه" ثم التفت وقال "سوف أذهب لأستعد" ثم سار متجهاً إلى منزله وسار الشاب بجانبه.

بعد فترة قصيرة نظر إليه "إلينار" وقال "لست مضطراً لتأتي"، قال "بل أنا كذلك، علمتني كيف أقاتل بالسيف لسبب أليس كذلك؟"، قال "تقاتل؟ أنت بالكاد تستطيع التلويح به، أنت أسوء شخص حمل سيفاً على الإطلاق"، قال "كف عن هذا أيها التاجر"، نظر إليه مستغرباً وقال "ماذا؟!"، قال "أعلم أنك تريد حمايتي، لطالما فعلت، وأنا أقدِّر هذا ولكن ليس هذه المرة، أعلم أنني لست بمستوى أي منكم ولكنني سأضيف شيئاً بقدومي لذا أرجوك دعني هذه المرة".

سكت "إلينار" لبرهة ثم ابتسم وقال "كما تشاء" ثم أسرع في المشي وقال "هيا لكيلا نتأخر على الطبيب، تعلم كم يكره هذا"، ابتسم وقال "نعم"، دخلا المنزل ولبس "إلينار" درعه وأعطى الشاب سيفاً ودرعاً ثم خرجا واتجها إلى السوق.

عندما وصلا وجدا السوق مليئاً بالمقاتلين فصعد "إلينار" فوق أحد المتاجر والشاب برفقته ونادى "هل الجميع هنا؟"، قال "أغا" "أربعون غائبون"، قال "وما عذرهم؟"، قال "أحدهم لا نعرف مكانه"، قال "والآخرون"، قال "فضلوا كسر أرجلهم على المجيء".

سكت لبرهة ثم قال "من الذي لا تعرفون مكانه؟"، قال "الخباز، بحثنا عنه في المخبز وفي غرفته وفي الغابة ولكن لم نجده في أي مكان"، قال "هذا غريب، هو ليس من النوع الذي يتخلف عن المعارك".

فجأة ارتعش جسد الشاب كأن صاعقة ضربته وبدأ قلبه ينبض بقوة ثم نظر إلى "إلينار" وقال "أخبرني أنه سيسلم لها طوق الأزهار".

نظر إليه "إلينار" وقال "ماذا؟!"، فصاح "أخبرني أنه سيسلم لـ "دينا" طوق الأزهار"، اتسعت عينا "إلينار" وقبض يديه بقوة وقال بغضب "ذلك الوغد" ثم نزل وركض باتجاه المخبز وركض الشاب وراءه.

دخلا من الباب وصعدا السلم الذي يؤدي إلى غرفتين، غرفته وغرفة ابنته، حاول "إلينار" فتح الباب ولكنه كان موصداً فدفعه بقوة عدة مرات حتى انكسر وسقط على الأرض ونظرا إلى الداخل.

في نفس المكان وبنفس الحبل أنهى الخباز حياته في مشهد في غاية الألم، ضرب "إلينار" الجدار بقوة وقال "سحقاً"، وشد الشاب شعر رأسه بقوة وقال "كيف لم أنتبه وقتها؟ اللعنة" ثم وقفا هناك قليلاً.

أمر "إلينار" بعض رجاله بالاهتمام بالجثة وعاد هو والشاب إلى السوق ثم نادى "سنذهب للقتال الآن، أريدكم أن تعلموا أننا لن نجد فرصة أفضل من هذه للتغلب عليهم، لا يهم مدى قوتهم، لقد خرجوا لتوهم من حرب كبيرة وأنتم تعلمون مدى قوة العصابة الحديدية، مؤكد أنهم الحقوا بهم الكثير من الخسائر،

لهذا نحن لسنا ذاهبين لاستعادة "لوشاس" فقط ولكن للانتقام لكل ما فعلوه لنا وللقضاء عليهم هذه المرة".

صاح المقاتلون صيحة المعركة ثم أطلقوا الثيران من محبسها ليستخدموها كقرع لطبول المعركة وركب "إلينار" أحدها واتجهوا إلى الجهة الشرقية حيث مقر الدماء السوداء.

في طريقهم لاحظوا رجلاً قادماً نحوهم من بعيد وهو يجر قدميه ويرتجف من البرد، عندما اقتربوا منه أكثر صار واضحاً رغم الكدمات التي على وجهه وثيابه الممزقة أنه "لوشاس" فتوقفوا ونزل "إلينار" من على الثور وذهب إليه وركض الشاب إلى مقدمة الجيش عندما رآه.

وقف "إلينار" أمامه وهو ينظر إلى حاله المثيرة للشفقة وقال "لوشاس!! ماذا حدث؟"، كان يرتجف من شدة البرد فحاول أن يرسم ابتسامة على وجهه وقال "لا شيء".

حدق فيه "إلينار" دون أن يقول شيئاً ثم احمر وجهه من الغضب وأمر رجلين أن يأخذاه ويعيداه إلى منزله ثم صعد على الثور وقال "لنتابع السير"، أبعد "لوشاس" الرجلين وقال بصوت مرتفع "ماذا تفعل أيها التاجر؟!! ألم تأتي لاستعادتي؟ أنا هنا، ليس هناك داع للعنف".

عم الصمت وقال الشاب في نفسه وهو ينظر إلى هيئته "كيف يوجد شخص كهذا في هذا العالم؟".

قال "إلينار" بحزم "هذا لا يتعلق بك بعد الآن، لقد تم إيذائي في أغلى ما أملك ... كبريائي، والرجل بدون كبرياء ليس رجلاً".

قال "لوشاس" بصوت مرتفع "ليس لديكم فرصة للفوز ضدهم، ما تفعله هو انتحار"، قال "**ابتعد**"، قال "لا، لن أفعل" ثم أخذ السيف من الرجل الذي

بجانبه بغته وأخذ عدة خطوات للوراء ورسم خطاً على الأرض بالسيف وقال "إن تعدَّى أحد هذا الخط سيموت".

نظروا جميعاً إليه بوجوه عابسة لأنهم جاءوا لإنقاذه وهو لا يريدهم أن ينتقموا له، لماذا يفعل هذا؟ لماذا يهتم إن متنا أو عشنا؟ كلها تساؤلات دارت في ذهنهم فكلهم كانوا يسخرون منه ويعاملونه معاملة سيئة فلماذا يهتم لأمرهم بعد كل ما فعلوه؟ كانوا منكرين فعلته بشدة لأنهم لا يهتمون إلا بأنفسهم ولا يهمهم مصير الآخرين.

نزل "إلينار" من على الثور ومشى حتى وقف أمام الخط الذي رسمه فوضع "لوشاس" حد السيف أمام عينيه وقال محذراً "لا تتقدم أكثر، لا تجعلني أفعل هذا".

نظر إليه نظرة باردة وقال "يداك ترتعش لا يمكنك حمل السيف حتى، كيف تريد أن تقتل به؟"، لم يرد "لوشاس" ثم حرك السيف ووضعه على عنقه ثم قال وهو يرتجف "معك حق، لا يمكنني أن أقتل أحداً لكن إن اقتربت أكثر أقسم أنني سأقتل نفسي".

كل من كان واقفاً هناك شعر بالألم، مع أن قلوبهم كالصخور إلا أنهم بشر في النهاية، وأكثر من كان يتألم هو الشاب الذي بدأت يداه تنزف من قبضهما بشدة والدموع تملأ عينيه "لماذا يفعل هذا؟! لماذا لا يريدنا أن ننتقم له؟ ... هل يعقل أنه لا يشعر بالغضب بعد كل ما مر به؟ كيف هذا؟ أم هل هو يهتم لأمرنا بعد كل ما فعلناه له؟ ... ما هذا الرجل؟".

خلع "إلينار" درعه ورماه على الأرض ثم عانقه بقوة وهو يحاول أن يتمالك نفسه لكيلا يبكي أمام الرجال، انفجر "لوشاس" بالبكاء الذي كان يكتمه كل تلك الفترة وأطلق الشاب صيحة غاضبة "اللعنة على هذا المكان" ثم استدار الرجال وعادوا أدراجهم.

اقترب الشاب منه وقال "هل أنت بخير أيها الطبيب؟"، نظر إليه وابتسم وقال "بخير ليست الكلمة التي تصف حالي الآن ولكن أنا شاكر أن هذا قد انتهى"، سكت قليلاً ثم قال "لماذا منعتنا من أن نذهب؟ لماذا تهتم إن قُتلنا أم لا؟ لماذا تهتم؟"، قال "لا أدري ... رغم كل ما تفعلونه معي إلا أنني أصبحت أفكر فيكم كعائلتي، لم أستطع أن أترككم تقتلون أنفسكم، إن تركتكم لتذهبوا وتموتوا سأكون كأنني أنا من قام بقتلتكم" ثم ابتسم وقال "لم أستطع أن أفعل هذا".

سكت قليلاً ثم قال "كيف تستطيع أن تبتسم هكذا؟ ألا تشعر بالغضب؟"، قال "أنا أغلي من الغضب، أنا أشعر بالألم والخوف والعجز وأنا أكره هذا"، قال "إذن كيف تبتسم؟!".

قال "دربت نفسي على أن أبقى هادئاً في أي موقف، لا أظهر أي علامة للضعف، أنت حر أن تفكر بما تشاء وتشعر بما تشاء ولكن لا تجعل هذا يؤثر بأي طريقة على أفعالك" ثم رسم ابتسامة على وجهه وقال "لهذا ابتسم"، حدق فيه قليلاً ثم نظر إلى الأرض وقال "أنت رجل عظيم أيها الطبيب ليتني أصبح مثلك في يوم من الأيام".

نظر إليه متعجباً وقال "أعد ما قلت"، قال "أعلم أنني كنت أقول عكس هذا سابقاً ... لقد كنت غبياً"، ابتسم "لوشاس" وتابعوا السير.

في اليوم التالي جاء يوم الرحلة أخيراً، استيقظ الشاب متأخراً عن الموعد الذي أعتاد أن يستيقظ فيه ولديه صداع مزعج فيوم أمس كان يوماً حافلاً، عندما أدرك أنه تأخر نهض مسرعاً من على الفراش وقال وهو يرتدي ثيابه "تباً لقد تأخرت، عليَّ أن أسرع".

ذهب إلى بيت أخته ليودعها ولكنه لم يجدها هناك فذهب إلى بيت "لوشاس"

وطرق الباب ففتحت أخته فابتسم وقال "توقعت أنك هنا"، قالت "كنت أنتظرك في المنزل ولكنك تأخرت، ظننت أنك لن تأتي لتودعني"، قال "تعلمين أنني ما كنت لأفعل هذا، استيقظت متأخراً"، دخل المنزل ودخل غرفة الطبيب فوجده مستلقياً على سريره والضمادات تغطيه بالكامل.

فضحك وقال "ما هذا؟! ظننت أن المومياء أسطورة"، ضحك الطبيب والخادمة وضربته أخته على رأسه وقالت "هذا ليس مضحكاً"، قال "هل أنت بخير الآن؟"، فابتسم وقال "أفضل"، سكت لبرهة ثم قال "أريد أن أسألك شيئاً أيها الطبيب"، قال "أي شيء"، قال "لماذا لم ترد أن ننتقم لك بالأمس؟"، فابتسم وقال "هذا مجدداً، ألم تسألني بالأمس؟"، قال "أنا لا أسألك لأني أنتقد هذا فيك، أريد أن أتعلم".

تعجبت أخته وقالت "منذ متى؟!!"، قال "غير تفكيري ما حدث بالأمس"، ابتسم "لوشاس" وقال "إذن ما أصابني لم يكن بلا فائدة، هذا جيد"، قال "أجبني أيها الطبيب"، سكت "لوشاس" قليلاً ثم قال "وماذا سأستفيد؟"، سأل "ماذا؟"، قال "ما حدث لي قد حدث وانتهى ماذا سأستفيد عندما أنتقم، هذا لن يغير شيئاً مما أنا فيه الآن أليس كذلك؟".

سكت لبرهة ثم قال "كيف لن يغير شيئاً؟ عندما تنتقم أنت ترد كبرياءك وتستعيد كرامتك وهذا أغلى شيء".

قال "لا إنه مجرد سم، عندما تعتاد عليه سيمزقك من الداخل"، سكت الشاب فابتسم الطبيب وقال "سأقول لك شيئاً كنت أسمعه من والدي كثيراً وعليك أن تبقيه في ذهنك دائماً "الحياة فيها الكثير من المعارك وأنت بين أن تفوز فيها أو أن تخسر ولكن هناك معركة وحيدة لا يمكنك أن تخسرها أبداً لأنها أهم معركة في حياتك، المعركة التي ضد نفسك".

ثم قال "معي هدية لك" وأشار إلى خادمته ففتحت صندوقاً وأخرجت منه قلادة بشكل شمس زرقاء صغيرة وأعطتها له، قال متعجباً "ما هذا؟"، قال "إنه شيء ثمين جداً بالنسبة لي من شخص عزيز جداً عليَّ، إنها أغلى من حياتي فحافظ عليها".

سكت لبرهة ثم قال "هل أنت متأكد؟"، قال "نعم بالطبع، هذه القلادة كنت أبقيها معي دائماً لتذكرني بشيء انقلبت حياتي بأكملها لأتعلمه"، قال مستغرباً "وما ذلك؟!"، سكت لبرهة ثم قال "اللحظة التي تظن فيها أنك بلغت القمة وأنك أصبحت فوق الجميع وقتها ستتعثر وتسقط سقطة تحطمك بالكامل، لقد أعماني الغرور وارتكبت خطأ لا يغتفر".

سكت الشاب محدقاً فيه ثم قال "قصة لم تخبرني بها"، قال بحزن "نعم ... قصة سقوطي".

سكت لبرهة ثم ارتداها حول عنقه وقال "أريد أن أسمعها عندما أعود"، ابتسم وقال "حسناً إذن، اعتني بنفسك".

ابتسم وقال "شكراً أيها الطبيب" ثم قال "عليَّ أن أذهب الآن فقد تأخرت ومازال هناك شيء عليَّ أن أفعله"، مدت "آنا" قبضتها وقالت "أخي قبل أن تغادر عدني بشي"، قال "ماذا؟"، قالت "أنك ستعود مهما حدث"، فابتسم ومد قبضته وقال "أعدك".

ملأت عيناها الدموع وقالت "لا تفعل شيئاً غبياً، هل تسمع؟"، ابتسم وقال "تعرفين أن هذا لن يحدث"، فعانقته وهي تبكي فعانقها وقال "أعلم أنك قلقة ولكن لن أموت يا أختي، سأعود وأخبرك عن روعة العالم في الخارج"، فتركته وقالت وهي تمسح دموعها "اذهب الآن فقد تأخرت"، فابتسم ثم ودعهما وخرج من المنزل.

تأخرت السفينة عن موعد رحلتها لأنهم انتظروه إلى أن أتى أخيراً، كان "إلينار" واقف هناك فسأله "لما تأخرت؟ كانت السفينة على وشك المغادرة"، قال معتذراً "كان هناك شيء مهم عليَّ أن أفعله، آسف"، فطلب منه أن يصعد على السفينة بسرعة، ذهب إلى السفينة ثم تذكر أنه نسي شيئاً فعاد إليه فقال "لماذا عد" احتضنه بقوة وقال "شكراً على كل شيء"، فابتسم وقال "اذهب الآن واعتني بنفسك".

عندما صعد على السفينة نظر إليه الجميع بغضب لأنه أخرهم كثيراً لكنه تجاهلهم ثم أعتذر إلى القبطان فلم يرد عليه وأمر الطاقم بأن يستعدوا للإبحار، هذا القبطان هو ابن "إلينار" من إحدى خادماته، اسمه "وان" وهو رجل في العشرين من العمر ولكن لديه خبرة تفوق عمره بكثير وهذا ما جعل "إلينار" يضع ثقته فيه ليكون الشخص الذي ينقل البضائع من الجزيرة وإليها.

انطلقت السفينة عابرة البحر المظلم الذي هو كابوس كل السفن، ما جعل هذا البحر بتلك الخطورة أن في أعماقه الكثير من البراكين النشطة التي تثور يومياً في قاع البحر وهذا ما شكل تلك الجزيرة في الماضي، ثوران تلك البراكين ليس مؤذياً لأنها في قاع البحر ولا تصل الصهارة إلى السطح إلا على هيئة صخور ولكن مع ذلك النفط الذي يغطي السطح فتلك قصة أخرى.

بدأ كل فرد من الطاقم بفعل مهمته على السفينة ولم يجد الشاب عملاً فأمره القبطان بتنظيف السفينة، وكان أفراد الطاقم يضايقونه كلما مروا عليه ولكنه لم يرد عليهم وتابع عمله.

حل المساء واستعد الطاقم للنوم، سأل الشاب إذا كان هناك عشاء فهو لم يتناول شيئاً منذ أن صعد على السفينة فلم يرد عليه أحد ومن قام بالرد قال كلاماً بذيئاً لا يجب أن يقال ولا يجيب على السؤال.

ذهب إلى القبطان ليسأله فقال له "لا يوجد عشاء" والطعام في يده، نظر إليه متهكماً ثم قال "شكراً، لست جائعاً على كل حال" ثم ذهب إلى غرفة النوم الكبيرة التي ينام فيها أفراد الطاقم وبحث عن فراش لينام عليه فوجد واحداً في نهاية الغرفة فاستلقى عليه ومعدته تُصدر أصواتاً من الجوع ثم نظر حوله فوجد أفراد الطاقم ينظرون إليه ويتهامسون ويضحكون فنظر إليهم مستغرباً ثم قال "ماذا هناك؟!" فلم يرد عليه أحد.

دخل رجل ضخم برأس أصلع وندبة كبيرة تغطي صدره إلى الغرفة وسار بالتجاه الشاب، عندما وصل إليه وقف أمامه ونظر إليه بغضب فنظر إليه متعجباً وقال "ماذا؟"، فأمسكه من عنقه ورفعه عالياً وقال "من سمح لك بأن تنام مكاني"، ارتفعت ضحكات الطاقم والشاب يحاول تخليص نفسه ولكن بدون جدوى.

سار الرجل الضخم إلى النافذة وأخرج يده التي تُمسك بالشاب منها وقال "يمكنك أن تنام في قعر البحر الآن" والشاب ينظر للمياه السوداء التي أسفله "لا أستطيع السباحة إن سقطت سأموت، تباً، ليساعدني أحد".

فجأة اصطدم سيف بالجدار الذي بجانب الرجل وأصدر صوتاً عالياً فنظروا إليه ثم نظروا إلى الباب فوجدوا "وان" واقف مُمسك سيفاً آخر ويقول "اتركه".

عم الصمت لبرهة ثم ابتسم الرجل وقال "بالطبع" ثم أفلته فسقط في البحر، ركض "وان" بسرعة ثم ضرب الرجل بمقبض السيف ضربة أفقدته الوعي وقفز من النافذة.

أسرع الرجال إلى النافذة وهم ينادون عليه ثم قال أحدهم متعجباً "هل فقد عقله؟!!!" وأحضر واحد منهم أحد المصابيح التي تضيء السفينة وظلوا ينظرون إلى البحر المظلم.

قال أحدهم "أين هو؟ أنا لا أراه"، قال آخر "لماذا فعل هذا؟ يستحيل أن ينقذه في هذا الظلام"، قال آخر "لماذا يريد إنقاذه من الأساس؟! ما الذي يحدث؟!!"، فجأة خرجت رأس القبطان وأشار لهم فأحضر أحدهم حبلاً بسرعة وألقوه إليه فأمسك به وبدأ الطاقم بسحبه.

عندما وصل إلى النافذة أمسكوا به ورمى الشاب على الأرض وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة ثم قال بصوت مرتفع "أحضروا الدواء"، فركض أحدهم وأحضر زجاجة فيها شراب لونه أبيض فأمسكه "وان" وجعله يشرب منه بالقوة ثم شرب هو أيضاً وجلس أسفل النافذة ليلتقط أنفاسه.

قال أحدهم "لماذا أيها القبطان؟ لماذا أنقذته؟!"، سكت قليلاً ثم وقف وقال "افعلوا ما تشاؤون به لكن لا تقتلوه" ثم سار بالتجاه الباب ثم التفت وقال مشيراً إلى الرجل الضخم "أخبروه بهذا الكلام" ثم غادر الغرفة.

جلس الشاب على الأرض يسعل ويتألم ألماً شديداً ويقول "ما هذا الشراب؟! إنه يمزق أمعائي"، قال أحدهم "سقطت في المياه السوداء إن لم تأخذ هذا الدواء كنت ستموت"، قال وهو يتلوى من الألم "لا يمكنني أن أحتمل، هذا لا يحتمل، اللعنة" ثم سكت وظل يتألم في صمت.

بعد فترة بدأ يهدأ واستطاع أن يقف ثم ذهب إلى سطح السفينة وأسند رأسه إلى عمود السارية ثم نظر إلى النجوم وقال محاولاً رسم ابتسامة على وجهه "تذكر كلام الطبيب، تذكر ... كلام الطبيب" جرت الدموع على خديه ثم قال "هذا صعب للغاية، كيف يفعل هذا؟" ثم أخذ نفساً عميقاً ومسح دموعه ثم أغمض عينيه.

بعد فترة أحس بضوء غريب كأنه ضوء النهار ففتح عينيه ولم يصدق ما رآه، ظن أنه يحلم فحاول إغلاقهما مجدداً لكن الضوء قوي وهو مستيقظ "هذا ليس

حلماً"

صاح بصوت مرتفع ليوقظ أفراد الطاقم وركض إلى غرفة القبطان بسرعة وهو ينادي عليه، فتح "وان" الباب وقال بغضب "ماذا تفعل؟! هل تريد أن تموت؟"، قال له "البحر يحترق!!!".

صُعق "وان" وركض إلى سطح السفينة وأفراد الطاقم سبقوه إلى هناك كلهم واقفين في ذهول فصاح فيهم "ماذا تفعلون؟! غيروا اتجاه السفينة وإلا سنحترق"، بدؤوا بالتحرك وغيروا اتجاه السفينة والشاب واقف في الطابق العلوي ممسك بالسور الذي يطل على السطح ينظر إلى ذلك المشهد ويقول مندهشاً "لا أصدق أنني أرى هذا".

اقترب القبطان منه وقال "كنا لنحترق جميعاً"، نظر إليه متعجباً وسأل "ماذا؟"، قال "لو كنا انطلقنا في الموعد ولم نتأخر بسببك لكنا وسط تلك النيران ... كنا لنحترق جميعاً" ثم ابتعد وهو يقول "شكراً يا فتى، لقد أنقذتنا جميعاً".

المشهد الذي رآه لم يكن من هذا العالم، نار عظيمة ترتفع للسماء كأنها ستأكل النجوم، البحر المظلم لم يعد مظلماً وأصبح الليل كأنه نهار، كأن الشمس نزلت من السماء وسقطت في البحر، لقد كان مشهداً مهيباً.

تلك الظاهرة لا تتكرر إلا في ظروف خاصة وأماكن محددة من البحر المظلم ولكن عندما تحدث لن يكون محظوظاً من يشهدها.

أخذت السفينة مساراً أخر بعيداً عن النيران.

بعد ذلك أصبح القبطان وطاقم السفينة يعاملون الشاب معاملة مختلفة، أصبح له مكان للنوم ولم يعد يضايقه أحد وعندما يدخل قاعة الطعام يدعونه للجلوس بجانبهم ويعطونه ما يريد، أصبح بطل السفينة.

بعد فترة وصلوا إلى اليابسة، ركض الشاب إلى السطح عندما سمع أحدهم

ينادي "وصلنا" ونظر إلى الصحراء لأول مرة وقال "إذن هذه هي الصحراء!!! إنها هائلة!!"، بعد أن رسوا على الشاطئ قاموا بإنزال البضاعة واستعدوا لدخول الصحراء، سأل الشاب القبطان "هل القرية بعيدة عن هنا؟"، قال "نصف يوم فقط".

تلك الصحراء سميت "صحراء الضياع" لأنه لا توجد الكثير من المعالم هناك فلا يمكنك تحديد طريقك بسهولة، وهناك الكثير من الرمال المتحركة التي دفن كثير من الناس أحياء فيها، لهذا فكر "وان" في وسيلة تجعلهم لا يضلون الطريق ويتجنبون تلك الرمال وهي إنشاء طريق من الأحجار ذات اللون الأحمر المتواجدة بكثرة على الجزيرة وهم يتبعون هذا الطريق كل مرة يأتون فيها.

سار الشاب قاطعاً الصحراء شديدة الحرارة وهو ينظر في كل اتجاه متعجباً مما يرى، مشوا ومشوا ومشوا، وبدأ يشعر بالتعب فهو لم يعتد على هذه الحرارة ونفذ الماء الذي يملكه وكان لكل فرد منهم نصيبه من الماء، سأل متذمراً "ألم نصل بعد؟"، قال "وان" "للمرة العاشرة، لا، لم نقطع إلا نصف المسافة"، قال وهو يمسح عرقه "هل يمكن أن نستريح قليلاً؟"، قال "لا، إن فعلنا هذا ستفسد الشمس البضاعة".

تنهد وقال في نفسه "لو كنا انتظرنا إلى أن تغيب الشمس لكان أفضل" ولكنه تابع السير وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة من شدة الحر ويقول "لم يكن هذا هو المكان الذي كنت أحلم أن أزوره" ثم قال "صحيح! لم أشكرك على إنقاذي بعد يا لي من أحمق"، نظر إليه "وان" ثم قال "ولماذا تشكرني؟!"، قال متعجباً "لأنك أنقذت حياتي يا رجل؟!"، قال "أنا لا أهتم لحياتك يا فتى، إن سقطت إحدى الصناديق التي معي سأفعل نفس الشيء".

سكت وهو يحدق فيه ثم قال "إلينار هو من أمرك بحمايتي أليس كذلك؟"،

قال "نعم" ثم قال مشيراً إلى صدره "من أين أتيت بهذه القلادة؟"، قال "هذه؟! أعطها لي الطبيب قبل أن أغادر، لماذا تسأل؟"، قال "عندما سقط في البحر ونزلتُ وراءك لم أكن أرى شيئاً من شدة الظلام ولم أعلم أين أنت إلى أن أضاءت هذه القلادة".

قال ممسكاً بها "حقاً؟! لم يخبرني أنها تضيء في الظلام"، قال "لولاها لما استطعت إنقاذك"، ابتسم وقال "حسناً سأشكر "لوشاس" عليها عندما أعود"، سأل "وان" "علاقتك جيدة مع "إلينار" أليس كذلك؟"، نظر إليه مستغرباً ثم قال "نعم، أدين لذلك الرجل بالكثير"، قال "عندما أكون معه هو دائماً ما يحدثني عنك، لا أعرف لماذا يهتم لأمرك لهذا الحد؟".

قال "سألته عن هذا في يوم من الأيام فابتسم وقال أنا تاجر جيد فقط، لا تسألني ماذا يعني هذا لأنني لا أعلم"، سكت وهو يحدق فيه ثم نظر أمامه وقال "هكذا إذن ... هذا ... مثير للاهتمام حقاً".

بعد عدة ساعات.....

بلغ الشاب حدوده وأصبح يجر رجليه ومعه عصى يستند عليها وهو يصعد جبلاً من الرمال وكان قد سبقه أفراد الطاقم إلى القمة.

سقط على ركبتيه وقال بيأس "لم أعد أستطيع المواصلة، يبدو أنني سأموت هنا" فسمع صوتاً ينادي عليه "ماذا تفعل يا فتى؟ لقد وصلنا".

رفع رأسه وقال منهكاً "ماذا؟ وصلنا؟" ثم استجمع قواه وصعد لقمة الجبل، عندما وصل اتسعت عيناه من الدهشة وقال "هل هذا ما يسمونه سراب؟ لابد أنني أحلم"، قال "نعم، هذا المكان كالحلم، من كان ليصدق أن يوجد مكان كهذا في وسط هذه الصحراء ... جوهرة الصحراء".

اشتهرت هذه الواحة في الصحراء كلها وخارجها أيضاً بكونها جوهرةً جميلة

تلمع في تلك البيئة القاسية، في منتصف الواحة هناك بحيرة مياها نقية لدرجة لا تصدق، يمكنك رؤية الأسماك تسبح فيها كأنها تسبح في الهواء، محاطة بالنخيل وحولها منازل شكلها غريب وبساتين مليئة بالأشجار المثمرة على أطراف الواحة، إنه مكان جميل.

دخلوا الواحة واتجهوا إلى السوق الضخم الذي تشتهر به الواحة لتسليم البضاعة في ظل دهشة الشاب "هل أنا أحلم؟"، هذا السوق مليء بالمتاجر التي تبيع مختلف الأشياء والكثير من المشترين أيضاً لأن جوهرة الصحراء تعتبر منارة التجارة ومقصد التجار.

دخلوا أحد المتاجر فاستقبلهم صاحب المتجر وكان رجلاً عجوزاً ثم قال مبتسماً "مرحباً بكم، مرت فترة منذ أن أتيتم إلى هنا، ما الذي أخركم؟"، قال "وان" منهياً الحديث "نحن هنا الآن"، ثم وضعوا البضاعة ودفع صاحب المتجر ثمنها ثم خرجوا من المتجر.

العملة الرسمية في الواحة هي عبارة عن ثلاثة جواهر مختلفة من حيث اللون والندرة وبالتالي القيمة، الجوهرة الزرقاء هي أكثرهم قيمة وهي تعادل مئة من الجوهرة الصفراء، والجوهرة السوداء هي أقلهم قيمة، والجوهرة الصفراء الواحدة تعادل عشرة من الجوهرة السوداء.

ذهب كل فرد من الطاقم في طريقه، سأل الشاب القبطان في حيرة "ماذا أفعل الآن؟"، قال "افعل ما تريد إلى أن نرحل"، قال "ومتى سنرحل؟"، قال "غداً"، قال مصدوماً "غدا؟! يوم واحد فقط بعد كل تلك الرحلة؟ هذا ليس عدلاً"، قال "نحن لسنا في عطلة، جئنا لتسليم البضاعة وقد فعلنا"، قال متذمراً "لكن هذا المكان رائع، لماذا علينا أن نرحل بهذه السرعة؟".

قال وهو يبتعد "هذه هي الحياة يا فتى، توقف عن التذمر واستمتع".

وقف الشاب وفي يده بعض الجواهر السوداء التي أعطاها القبطان لكل فرد من أفراد الطاقم قبل أن يذهبوا وقال "ماذا أفعل الآن؟" ثم انطلق إلى البحيرة التي تجذب كل من ينظر إليها بجمالها ونقائها.

عموماً أهل الصحراء يعرفون قيمة الماء لأنه قليل عندهم (ولا يعرف الإنسان قيمة الشيء إلا إذا قل أو انتهى) لكن بالنسبة لتلك البحيرة فقد اعتبروها كنزاً لا يعوض ونعمة عظيمة يحب المحافظة عليها فهي لسبب من الأسباب لم تجف منذ أكثر من ألف عام ولا يعلم أحد سر هذا، وللمحافظة عليها بنوا حولها سوراً من الذهب وغطوها بقبة زجاجية غير قابلة للكسر ووضعوا تحتها نظاما لنقل المياه دون تلويث البحيرة مما جعلهم قادرين على استخدام الماء للشرب والزراعة.

كان الجو لطيفاً والرياح منعشة، اشترى مشروباً وأسند رأسه إلى شجرة بجانب البحيرة "هذه هي الحياة، هذا المكان رائع حقاً لا أريد المغادرة"، نظر إلى الشمس التي أوشكت على الغروب "هذا المشهد في غاية الجمال أتمنى لو كان باستطاعتهم رؤيته ... أخي، أختي" ثم سكت قليلاً ثم قال "صحيح! يجب أن أشتري هدية لأختي وإلا ستغضب مني".

أخذ نفساً عميقاً ثم قال "كم سيكون رائعاً لو كانت الجزيرة مثل هذا المكان ... مهلاً ماذا أقول؟! هذا أكثر شيء مستحيل في العالم".

غربت الشمس وبدأ يشعر بالنعاس فأغلق عينيه وقال "سأنام قليلاً وبعدها أشتري الهدية" وغط في نوم عميق.

أشرقت الشمس وملأ ضوؤها المكان، استيقظ الشاب وقال "يا إلهي، لقد نمت بعمق، يجب أن أذهب وأستعد لكيلا يذهبوا ويتركوني"، وكانت الرياح قوية هذا اليوم.

ذهب إلى المتجر الذي وضعوا فيه البضاعة وسأل صاحب المتجر "ألم يصل

أحد بعد؟"، فنظر إليه وقال "لا أنت الأول، بالمناسبة أنا لم أرك من قبل، هل أنت جديد هنا؟"، قال "نعم إنها أول رحلة لي"، قال مبتسماً "هكذا إذن، وما رأيك في هذا المكان؟"، قال بيأس "أتمنى لو يمكنني البقاء أكثر"، قال مبتسماً "إن كنت تريد البقاء يمكنك أن تبقى معي وتعمل هنا"، قال بلهفة "حقاً؟!!"، قال "نعم، لقد كبرت في السن وليس لدي أحد ليساعدني سأكون سعيداً إن بقيت معي".

فكر قليلاً ثم قال "أريد البقاء لكني وعدت أختي أنني سأعود"، ابتسم وقال "كما تشاء يا بُني وأنا أرحب بك في أي وقت إن غيرت رأيك"، قال "شكراً يا عم، لم أعتد أن يعاملني أحد بهذا اللطف"، قال بحزن "نعم فأنت تعيش في مكان قاس لكن هل تعلم؟ تلك "الأنقاض" كانت مكاناً أقل ما يقال عنه أنه جنة ولكن كان هذا منذ زمن بعيد".

قال ساخراً "هل تقول لي أن تلك الجحيم كانت جنة؟! هل تمزح؟!"، ابتسم وقال "نعم، كان اسمها "ديسارا" ... أرض الأحلام".

جاء صوت مرتفع ينادي من الخارج "إنهم قادمون"، تغير وجه صاحب المتجر وقال "كيف يأتون بهذه السرعة؟!! لم تمض المدة بعد"، قال الشاب "من القادم؟!"، قال "اذهب واختبئ يا بني إنهم أناس خطرون".

هدأ السوق واختفى المشترون وظهرت مجموعة من الأشخاص على رأسهم رجل ضخم هو قائدهم اسمه "أسباد" يعلق فأساً كبيرة على ظهره ويمشي وكأنه يملك المكان والبائعون كلهم صامتون ينظرون إلى الأرض ينتظرون أن يصلوا إليهم.

"أسباد" ذاك هو أكبر مثال عن كيف يولد الخطأ أخطاء أخرى، فقد ولد في قرية قريبة من الواحة تمت سرقتها وإحراقها بواسطة الدماء السوداء في الماضي و"أسباد" هو الناجي الوحيد.

كان شاباً مفعماً بالحياة ولديه طفلان يجعلانه يبتسم كلما نظر إليهما وكان

ينتظر طفله الثالث من زوجته التي كانت فتاة أحلامه منذ أن كان طفلاً ثم جاءت تلك الليلة التي لن ينساها أبداً حيث قُتل أطفاله أمام عينيه وأحرق المنزل الذي كانت فيه زوجته الحامل ولم يستطع إنقاذ أي منهم، تظاهر بالموت بعد أن ضربه أحد أفراد العصابة وهو يصرخ من الداخل وظل ملقى على الأرض حتى غادروا، بعدها قام بجمع جثثهم وظل يصرخ بلا توقف إلى أن أشرقت الشمس.

بعد فترة قرر أنه يجب أن يصبح أقوى لكيلا يحدث هذا مجدداً وجمع حوله بعض الرجال الذين يريدون المال وحياة الجريمة وأصبح يذهب إلى كل قرية قريبة من الواحة وبما فيهم جوهرة الصحراء ليجعل الناس هناك تعاني مثلما عانى ولجني بعض المال.

عندما وصلوا إلى منتصف السوق وقف "أسباد" وخلفه عشرات الرجال والنساء حاملين الأسلحة ثم قال بصوت مسيطر "مرحباً يا أهل جوهرة الصحراء لقد اشتقت إليكم"، لم يرد أحد والشاب واقف خلف أحد المتاجر يشاهد ما يحدث، قال "أسباد" "أخبرني أحد أتباعي أن واحداً منكم يقول إنه يريد قتلي، فليتقدم رجاءاً".

لم يرد أو يتحرك أحد، قال "هذا ما ظننته لكن إن لم يتقدم من قال هذا سأضاعف المبلغ".

اضطرب المكان قليلاً وتهامس البائعون بينهم وقال أحدهم "هذا ليس عدلاً، نحن لم نفعل شيئاً"، نظر إليه "أسباد" بغضب ثم قال "إن فتحت فمك مجدداً فسأقتلك"، سكت الرجل وتراجع إلى الخلف.

قال "أنا انتظر"، تقدم واحد منهم وقال "أنا من قال هذا"، اقترب منه وقال "سأسألك سؤالاً إن أجبت بطريقة خاطئة سأقتلك، هل تظن أن بإمكانك قتلي؟"، قال ناظراً إلى الأرض "لا"، قال "لما قلت هذا إذن؟"، قال وهو يرتجف "أنا أريد

ولكن لا أستطيع"، قال "هكذا إذن ... لأني في مزاج جيد اليوم سأسامحك هذه المرة ولكن عليك أن تعتذر".

سكت الرجل لبرهة ثم قال حانياً رأسه "أعتذر عما قلت يا سيدي، أرجوك سامحني"، سكت قليلاً ثم قال "لا أشعر أنك صادق، هل تحاول خداعي؟"، قال "لا يا سيدي أرجوك سامحني"، مد "أسباد" قدمه وقال "أثبت هذا"، سكت وهو يحدق فيها ثم نزل على ركبتيه وقبلها.

وضع "أسباد" يده على رأسه وقال "يمكنك أن تعود لمكانك"، فوقف وسار وهو يئن من الألم، قال "أسباد" بصوت مرتفع "ماذا تنتظرون؟! تعلمون لمَ نحن هنا"، تقدم البائعون وكل منهم يحمل نقوداً ووقفوا في صف أمامه وبدأوا بإعطائه نقودهم.

جاء دور الرجل العجوز صاحب المتجر فأعطى "أسباد" المال ويداه ترتعشان ثم انصرف بسرعة، قال "توقف، هل تظن أنني أحمق؟ هذا ليس المبلغ الذي اتفقنا عليه"، ارتعش جسده وقال "أعلم يا سيدي لكن هذا هو كل ما أملك الآن".

قال "ألا تفهمون أيها الناس؟ الأمر بغاية البساطة، أنتم تعطونني المال وهذا هو حقي وأنا أحميكم في المقابل وهذا هو واجبي، إن لم آخذ حقي فلا يمكنني أن أقوم بواجبي"، قال العجوز وهو يرتجف "أعتذر سيدي، أعدك أنني سأدفع المبلغ كاملاً المرة القادمة"، أمسك رقبته ورفعه عالياً وقال بغضب "ليس هناك مرة قادمة، أنت تعلم ما يحدث لمن لا يدفع، صحيح؟" وهو يضغط على رقبته بقوة والعجوز يختنق والبائعون ينظرون إلى الأرض ولا أحد يفعل شيئاً، والرياح تزداد قوة.

"ضعه على الأرض أيها الوغد"

تعجب الواقفون ونظروا إلى مصدر الصوت فإذا به الشاب يقترب ويقول بغضب "ألم تسمعني أيها الحيوان الكبير؟ دع الرجل يذهب".

ترك "أسباد" العجوز فسقط على الأرض يتنفس بصعوبة ثم اقترب منه وقال بغضب "من أنت أيها الفتى؟ هل فقدت عقلك؟"، قال بثقة "لا يهم من أنا، إن كنت تريد القتال فأنا مستعد".

ضحك الرجال الذين مع "أسباد" وضحك هو أيضاً وقال أحدهم وهو يضحك "إنه يريد قتالك أيها الزعيم" واستمروا في الضحك، قال "هل قلتُ شيئاً مضحكاً؟"، قال "أسباد" "لم أضحك هكذا منذ فترة، حسناً يا فتى سألعب معك قليلاً، لدي بعض الوقت" ثم جلس على الأرض وقال "إن استطعت تحريكي من مكاني ولو قليلاً ستكون الفائز وسأتركك والرجل العجوز تذهب لكن إن لم تستطع سأقتل كليكما هنا والآن، سأعطيك نصف ساعة" ثم قال لأحد أتباعه "ابدأ بحساب الوقت".

قال بثقة "نصف ساعة؟ سأرسلك لنهاية الطريق بلكمة واحدة".

ابتسم "أسباد" وقال "لنرى هل شجاعتك نابعة عن قوة؟ أم عن جهل؟".

انطلق الشاب نحوه بسرعة ولكمه في وجهه ولم يتحرك "أسباد" أو يرمش، رفع يده وهو يتألم وقال "ما هذا؟ كأني ألكم جداراً حديدياً"، ضحك "أسباد" وقال "كنت سأصدها لكني لم أعتقد أنها تستحق"، غضب الشاب وظل يلكم ويركل و"أسباد" لا يتحرك.

بعد قليل توقف ليلتقط أنفاسه وقال في نفسه "هل هذا الرجل إنسان حقاً؟! أشعر أنني كسرت أحد أصابعي وهو لم يتأثر"، قال "هل استسلمت؟ لم يمض نصف الوقت بعد، يمكنك استخدام سلاح إن أردت"، قال "يبدو أنك تستخف بي كثيراً، حسناً إذن" ثم ذهب إلى أحد المتاجر وأخذ سيفاً من هناك وقال "لا تندم عندما أقتلك".

ابتسم "أسباد" وركض الشاب بسرعة رافعاً السيف و"أسباد" لا يتحرك، لوح به بقوة مستهدفاً عنقه فرفع يده وأمسك بنصل السيف وأوقفه.

"ماذا؟!!! أوقفه بيده" فسحبه بسرعة وتراجع عدة خطوات إلى الوراء.

قال "أسباد" "ما هذا؟ يداك ترتعش، ألم تكن سترسلني لنهاية الطريق؟"، لم يرد الشاب وأتباع "أسباد" يضحكون والبائعون يشاهدون بصمت، وخلف أحد المتاجر "ماذا يفعل ذلك الأحمق؟ لماذا يجب أن يكون هكذا؟ ماذا نفعل الآن أيها القبطان؟"، قال "وماذا يمكننا أن نفعل؟ هذه حرب لا يمكننا الفوز بها، لنشاهد حتى النهاية هو من فعل هذا بنفسه".

قال "أسباد" ساخراً "هيا أيها الفتى لم يتبقى الكثير من الوقت".

"جسدي لا يريد أن يتحرك ورجلاي ويداي يرتعشان، لماذا؟ لماذا أنا بهذا الضعف؟" ثم سقط على الأرض وجسده كله يرتعش من الخوف.

قال "أسباد" "يا فتي هناك فرق بين أن تتكلم بقوة وأن تكون قوياً بحق، في هذا العالم القوة هي ما تجعل الرجل يفعل ما يريد، أنا قوي لهذا يمكنني أن آخذ أموال هؤلاء البائعين وأنت ضعيف لهذا لا يمكنك حماية هذا العجوز ولا أي أحد آخر هنا، القوة هي ما تحدد أماكن الناس في هذا العالم والأقوى هو من يضع القوانين".

"يا زعيم، لقد انتهى الوقت".

وقف "أسباد" وسحب الفأس الذي على ظهره وقال "لقد خسرت، الآن تموت أنت والعجوز"، والشاب ملقى على الأرض جسده مازال يرتعش "ماذا أفعل الآن؟ لا أستطيع الهرب حتى، جسدي لا يتحرك، هل سأموت هنا حقاً؟ لا أريد أن أموت".

في تلك اللحظة جاء رجل يركض باتجاه السوق "أيها الزعيم" "أيها الزعيم"، فالتفت إليه الزعيم وقال "ماذا هناك؟"، التقط أنفاسه ثم قال "عاصفة رملية

ضخمة تقترب من هنا يجب أن نغادر بسرعة"، نظر إليه بصمت ثم نظر إلى الشاب وحدق فيه قليلاً ثم وضع فأسه على ظهره وقال "يبدو أن لديك بعض الحظ يا فتى" ثم نادى "هيا يا رجال لقد أنهينا عملنا هنا" ثم غادروا المكان.

أسرع البائعون لإغلاق متاجرهم خوفاً من العاصفة وأسرع القبطان والطاقم إلى الشاب وقالوا له "أيها الأحمق، ظننا جميعاً أنك انتهيت".

قال "وان" في نفسه "ما هو احتمال أن ينجو الشخص ثلاث مرات من الموت المؤكد في أقل من أسبوع؟ هذا الفتي ليس عادياً" ثم قال "على كل حال علينا أن نغادر أيضاً لأن العاصفة ستغطي الأحجار التي ترشدنا للسفينة وإن حدث هذا فلن نستطيع مغادرة الواحة لأسابيع".

لم يرد الشاب وجسده مازال يرتعش، قال القبطان "لا وقت لدينا لهذا" وأمر رجلين من الطاقم بمساعدته على السير ثم خرجوا من الواحة مسرعين وانطلقوا في اتجاه السفينة والعاصفة تقترب أكثر.

بعد أن ابتعدوا قليلاً قال "وان" وهو ينظر خلفه "هذه أول مرة أرى عاصفة بهذا الحجم!! يبدو أنه كان قراراً خاطئاً أن نغادر الواحة ولكن ليس هناك مجال لأن نعود يجب أن نسرع".

لكن العاصفة كانت أسرع منهم، أصبحت الرؤية مستحيلة مع كل هذا الغبار ونادى القبطان "لا يمكننا رؤية بعضنا بهذه الطريقة ليجد كل فرد طريقه إلى السفينة ولنتقابل هناك"، تفرقوا وسار كل في طريقه فكلهم يعرفون طريق السفينة إلا شخصاً واحداً.

بعد أن هدأ الشاب واستطاع أن يسير تركه الرجلان وطلبا منه أن يتبعهما لكن هذا مستحيل في هذا الموقف فأنت بالكاد تستطيع أن تفتح عينيك، ظل ينادي عليهم ولكن لا أحد يجيب وهو لا يعرف أين يذهب.

بعد أن مشي لفترة تأكد أنه ضل الطريق ولكنه تابع السير.

"لماذا يحدث كل هذا؟". "كان كل شيء رائعاً قبل قليل؟".

"لماذا يجب أن أعاني هكذا؟". "لماذا يحصل هذا لي؟".

"ما الذي فعلته في حياتي لأستحق هذا؟"

"لماذا حياتي هكذا؟".

"هل يحدث كل هذا معي لأنني بدأت أشعر بالسعادة قليلاً؟".

"هل محرم عليَّ أن أكون سعيداً؟".

"**لماذا؟**".

بعد قليل خطى خطوة فلم يجد أرضاً تحت قدميه فسقط في وادي يتخبط في الصخور إلى أن استقر في القاع.

كسرت بعض عظامه وجُرح في عدة أماكن وفقد الوعي.

والعاصفة مازالت مستمرة.....

الفصل الثالث

(دخول "إزيل")

شهر لاحقاً.

يوم "العهد" الـ 1018

فتحت المملكتان الأبواب وبدأ الاحتفال لكننا سنبتعد عن المهرجان قليلاً.

في أحد الحقول الشمالية في "نوشاي" يسير وزيران من "سيارا" مع بعض الحرس، قال أحدهما "سنقابله أخيراً"، قال الآخر "يقولون إنه لو كان الشيطان بصورة إنسان لعمل تحت إمرته"، قال "لا تبالغ، لا يمكن لأحد أن يكون سيئاً لهذا الحد"، قال "بل يمكن، ذلك الرجل باع قلبه للظلام، كل التجار في السوق السوداء يخافونه، إنه مجنون بكل معنى الكلمة، هل تذكر تلك الحادثة؟".

قال "أي حادثة؟"، قال "صحيح! أنت لا تعلم فقد حدثت قبل تعيينك"، قال "ماذا حدث؟"، قال "أراد مالك السوق قتله فأرسل إليه هدية متفجرة، في يوم العهد تم عقد السوق وحضر جميع التجار فأخرج "إزيل" الهدية ووقف بجانبه وقال "أرسل لي صديقي العزيز هذه الهدية منذ فترة وكنت أنتظر هذا اليوم

لأفتحها معه" ثم ابتسم وقال "لنفتحها معاً"، تغير وجه المالك ووقف دون حراك فقال "إزيل" "سأفتحها أنا"، ركض المالك مسرعاً فور أن فتح الهدية ظناً منه أنها ستنفجر ولكنها لم تفعل فقال متعجباً "كيف؟!!"، أمسك "إزيل" بشيء وبدأ يخرجه ببطيء وهو يقول "لقد تذكرت، هديتك انفجرت عندما فتحها أحدهم لذا أبدلتها بهذه، تعجبك؟" وهو يمسك برأس امرأة من شعرها ... كانت الرأس تعود لزوجة المالك، انفجر من الغضب وحاول هو ورجاله قتله ولكنه هرب".

حدق فيه الوزير بصمت فقال "هذه ليست النهاية".

"في نهاية اليوم عاد المالك إلى منزله وجلس مع أطفاله فوجد أحدهم يلعب بلعبة غريبة، اقترب منه وقال من أين؟، قال له رجل بعين واحدة أعطاها لي، دون أن يجد فرصة للرد انفجر المنزل بأكمله".

سكت الوزير لبرهة ثم قال "كيف علمت بما حدث في منزله؟"، سكت قليلاً ثم قال "هذه معلومة في غاية السرية، إن أخبرت بها أحداً ستتهم بالخيانة، هل مازلت تريد سماعها؟"، سكت لبرهة ثم قال "لن أخبر أحداً"، قال "كل ما تبثه كاميرات المراقبة التي في المملكة يسجل في مكان سري ويمكن لقليل من الناس الاطلاع عليه".

قال "ماذا؟!!! حتى منزلي؟"، قال "المملكة بأكملها"، قال بغضب "هذا غير أخلاقي بالمرة، كيف تفعلون هذا؟"، قال ساخراً "غير أخلاقي؟! وذلك العقار الذي تصنعه ماذا تسميه؟"، قال "أنا لا أجبر أحداً على شرائه"، قال "ما أردت أن أوصله من هذه القصة أن تنتبه وأنت تتعامل معه فأخطر شخص يمكن أن تتعامل معه من لا يمتلك حدوداً يقف عندها، هذا النوع من الأشخاص لا يمكن أن تتوقع ما سيفعل".

استمروا بالسير إلى أن وصلوا لأحد الكهوف، قال "هل هذا هو المكان؟"، قال "نعم، يجب أن يكون بالداخل، هيا بنا"، عندما دخلوا وجدوا رجلاً برقعة على عينه جالساً على صخرة وبجانبه رجل آخر يحمل كؤوساً من الشراب، قال "إزيل" مبتسماً "مرحباً بأهل "سيارا" الأعزاء، أريد أن أخبركم أن الدقائق القليلة القادمة ستكون الخطوات الأولى في طريق سيغير هذا العالم بأكمله"...

ولد "إزيل" في عاصفة رعدية شديدة لم يُرى مثلها في تاريخ "نوشاي" مما جعل مولدته تقول لوالدته "هذا الطفل سيكون غارقاً في الظلمات"، فابتسمت وهي تنظر إليه ثم قالت "لا ... سيكون مفعماً بالأنوار".

عندما بلغ السابعة مات والده الذي كان يحبه كثيراً في حادث وبعدها بفترة ماتت والدته بمرض لم يكن له علاج ولم يرد أي من أقاربه أن يكفله فهو كان من أسرة فقيرة ولم يترك والده أملاكاً كثيرة فتم إرساله إلى ملجأ للأطفال الذين ليس لهم أهل، كان "إزيل" هادئاً جداً لا يُصدر أي صوت ولكن هذا لم يمنع الأطفال هناك من مضايقته.

كان يذهب ليشتكي للمسؤول فيقول له بغضب "ألا يكفيك أنني أطعمك دون مقابل؟ هل تريد أن أحميك أيضاً؟! أنا لست والدك يا فتى"، كان يبكي طوال الوقت حتى ملَّ الأطفال من مضايقته وتركوه وحيداً، أصبح لا ينام ولا يأكل، يبكي فقط، مما جعل ذلك المسؤول يرسله لمصحة للأمراض النفسية.

ساءت حالته هناك أكثر فأصبح يصرخ بصوت مرتفع كل ليلة وإن وجد شيئاً حاداً يأخذه ويجرح به نفسه ويشاهد الدم وهو يضحك مما جعل العاملين في المصحة يضعونه في غرفة خاصة حيث لا يستطيع أن يؤذي نفسه وألبسوه ملابس خاصة أيضاً لتقييده لأنه كان إن لم يجد شيئاً حاداً يجرح نفسه بأظافره.

أصبح يتكلم مع الجُدران ويكلم والديه الراحلين ويخترع شخصيات أخرى

ويصرخ كل ليلة لطلب المساعدة وعندما يذهب عامل لتفقده يسكت ثم ينظر إليه ويبتسم، أصبحوا يخافون منه، يضعون له الطعام ثم يرحلون مسرعين واستمر الوضع على هذا الحال لفترة....

في إحدى الليالي لم يسمع أحد أي صراخ فذهبوا لتفقده فوجدوه جالساً في ضوء القمر ينظر إليه من النافذة، فتعجبوا لأنهم لم يروه يفعل هذا من قبل، أصبح يفعل هذا كل ليلة لم يعد يصرخ ولا يتكلم، يجلس بصمت فقط وينتظر المساء لينظر من النافذة.

أصبح المكان هادئاً، تلك الصرخات المرعبة لم تعد تُسمع واعتقد العاملون أن حالته تحسنت.

بعد أيام تم إخراجه من تلك الغرفة وأعادوه لغرفته العادية، في اليوم الذي بعده سرق مفاتيح الغرف من أحد العاملين دون أن ينتبه وخرج من غرفته ليلاً ثم وضع سائل التنظيف في الحساء الذي من المفترض أن يكون الغداء في الغد ثم عاد إلى غرفته، في اليوم التالي أكل الجميع وتسمم الجميع ومات الجميع، بعدها أحرق "إزيل" المكان ثم ذهب.

مر الوقت وكبر "إزيل" حاملاً معه حقداً وكرهاً كبيراً لهذا العالم، لتأخذ فكرة عما أصبح سأقول واحدة من أفعاله التي هزت أرجاء المملكتين.

قبل عدة سنوات في مساء أحد الأيام وفي نفس اللحظة احترقت جميع مخازن المحصول التي في عاصمة "نوشاي"، استيقظ الأهالي على رائحة الدخان وهم فزعين وفعلوا كل ما يستطيعون لإطفاء النيران لكن المحصول كان قد احترق، في صباح اليوم التالي انتشرت الأخبار في أرجاء المملكتين عن هذه الحادثة التي لم تحدث من قبل وتساءل الجميع عن كيفية حدوث شيء كهذا وذهب "قاي" ملك "نوشاي" بنفسه ليحقق في هذا الحادث ولكنه لم يجد أي أدلة على الفاعل.

اعتذر "قاي" اعتذاراً رسمياً لـ "سيارا" لعدم استطاعتهم تزويدهم بالغذاء لفترة، حزنت "نورا" ملكة "سيارا" لما حدث وأمرت باستعمال مخزون الطوارئ لسد احتياجات المملكتين.

وقف "قاي" أمام شعب "نوشاي" واعتذر إليهم حانياً رأسه وعيناه مليئتان بالدموع وهو يقول "أنا أطلب عفوكم، هذا كله خطئي، كنت مهملاً، كيف سمحت لشيء كهذا أن يحدث".

بكي الناس وقالوا "لا تقل هذا جلالتك، نرجوك أن ترفع رأسك، لا يليق بملك أن يفعل هذا، ما فعلناه سنفعله مجدداً، لا تنسى شعار مملكتنا مهما اشتد الظلام سيكون هناك دائماً ضوء، نريدك أن تكون هذا الضوء جلالتك"، ابتسم ابتسامة حزينة ثم وقف ومسح دموعه وقال "ماذا فعلت في حياتي لأستحق أناس مثلكم؟ شكراً لكم جميعاً"، "لنكف عن البكاء فهذا لن يغير شيئاً ولنبدأ العمل".

مسحوا دموعهم وانطلقوا إلى عملهم وتخطت المملكة تلك الأزمة، إن قلت إن هذا المشهد مثالي أكثر من اللازم فأنت محق، في الحقيقة هو كذلك ولكن هذا ليس غريباً في "نوشاي".

"نوشاي" هي مكان يمكنك أن ترى فيه أقصى درجات الرقي في المعاملة فهم تربوا على هذا منذ نعومة أظافرهم، وهي أكبر مثال على تعاون السلطة مع الشعب فالناس هناك يحبون الملك حباً شديداً ويفعلون أي شيء يطلبه وفي المقابل يعاملهم الملك بكل صدق وإخلاص ويعمل ليل نهار من أجل مصلحتهم، لا يوجد تكلف بينهم، هم كالأسرة الواحدة، تلك هي ميزة الحياة هناك، مع أن علمهم محدود إلا أنهم امتلكوا شيئاً أكبر ... الحب، "نوشاي" هي مملكة الحب.

ولكن لا يوجد شيء كامل، دائماً هناك ثمار فاسدة مهما كان المحصول جيداً و "إزيل" هو حقل فاسد بأكمله.

والد "قاي" لم يجعله مستشاراً لأنه كان ساذجاً بل لأنه كان يعلم أنه خطير لهذا جعله بجانبه ليقوم بمراقبته لكنه لم يستطع أبداً أن يثبت عليه أي شيء وحذر "قاي" منه قبل أن يموت وكان لـ "إزيل" يد في موته لكن لا أحد يعلم.

"إزيل" يسمي جرائمه "فن" ويستمتع عندما يرى الناس تتألم وتعاني من أفعاله، هذا النوع من الأشخاص لا يمكن إصلاحه هو كالنبتة السامة إن تركتها ستدمر باقي المحصول.

جاء اليوم الذي كان ينتظره ويخطط له "إزيل" منذ زمن، اليوم الذي سيبدأ فيه أكبر عمل فني قام به حتى الآن في أحد الكهوف السرية بـ "نوشاي"...

وقف "إزيل" على صخرة مرتفعة ثم قال "في مثل هذا اليوم منذ قرون قام جدي الأكبر بتوحيد العالم ثم تقاتل أبناؤه الحمقى وقسموه لكن هذا سوف يتغير فأنا ولدت بإرادة جدي الأكبر لتوحيد العالم واليوم سيكون أول خطوة لفعل هذا"، قال الوزير "أنت أحد أحفاد الملك العظيم؟! هذا مستحيل، الملك "قاي" هو الوحيد الذي من نسله في "نوشاي"".

قال "إزيل" "هذا غير صحيح، أعتقد أنكم جميعاً تعرفون القصة "تقاتل الفريقان وهرب الفريق الثالث" لكن ما لا تعرفونه هو ما حدث للفريق الثالث، بعد أن هدأت الأوضاع وانتهى القتال ذهب بعضهم إلى "سيارا" وآخرون إلى "نوشاي" وآخرون لم يذهبوا لأي من المملكتين واختاروا الابتعاد عن كل شيء، جدي كان واحداً من الذين ذهبوا إلى "نوشاي" لكن الملك اشترط عليهم أنه لكي يبقوا يجب أن يتنازلوا عن نسبهم كأبناء للملك العظيم أو يذهبوا لمكان آخر، لم يعجبهم هذا وذهبوا إلى "سيارا" إلا طفلاً واحداً كان يُحبه لدرجة جعلته يقبل بهذا الشرط وغيَّر اسمه وعاش في "نوشاي" كمواطن عادي".

عم الصمت قليلاً ثم قال الوزير "وكيف تخطط لتوحيد العالم؟".

قال مشيراً إليه "هذا هو السؤال، هذا هو، لدي خطة كنت أعدُ لها منذ سنوات ستجعلنا نحقق هذا لكنني أحتاج مساعدتكم لتنفيذها، ما هو قولكم؟ هل ستساعدونني؟".

عم الصمت قليلاً ثم قال وزير "سيارا" "وماذا إن رفضنا؟"، قال "حسناً ... سيكون هذا مؤسفاً لكنكم أحرار بالطبع"، وقف الوزير واتجه إلى المخرج وهو يقول "لا أريد توحيد العالم، يعجبني الوضع بهذه الطريقة" ثم التفت وقال "ألن تأتي؟"، قال الوزير الآخر "أتينا كل هذه المسافة، دعنا نستمع على الأقل".

استدار ورفع يده ملوحاً ثم غادر ومعه بعض الحراس.

سأل "إزيل" "هل من أحد آخر؟" فلم يرد أحد، قال "حسناً، شكراً لكم، يمكننا مناقشة الخطة الآن وإن لم تُعجب أحدكم فبإمكانه ببساطة أن ينسحب"، قال المستشار الذي برفقته في نفسه "ينسحب ... لا يمكن أن ينسحب أحد، دخلنا وكر الثعلب بأرجلنا ... ولا يوجد طريقة لنخرج".

بعد أن انتهى من شرح خطته عم الصمت قليلاً ثم قال الوزير "لم أتوقع هذا ... سامحني ولكن ظننت خطتك أكثر جنوناً"، ابتسم "إزيل" وقال "لا تستهن بقوة الكلمات يا صديقي إنها كالسحر".

سكت قليلاً ثم وقف وقال "سؤال فقط، لماذا تريد توحيد المملكتين؟ أنتم سعداء ونحن سعداء، إذن لماذا؟"، قال مبتسماً "ألن نكون أسعد معاً؟"، سكت الوزير وهو يحدق فيه ثم قال "لا تفهمني بطريقة خاطئة ولكن لا أعتقد أنني سأشارك في هذا، أعتذر".

ابتسم "إزيل" وقال "حُر تماماً كما قُلت ولكن لا تتسرع في الإجابة لديك ليوم العهد القادم لتفكر"، ابتسم وقال "حسناً، سأفكر في الأمر".

نزل "إزيل" على الأرض ثم قال "بما أننا انتهينا من هذا لنحتفل" ثم أشار إلى

المستشار فأزال الستار عن طاولة عليها الكثير من الأطعمة والمشروبات، اقترب "إزيل" من أحد الحراس وهو يأكل ثم قال له "هل يمكننا أن نتحدث على انفراد"، نظر إليه مستغرباً ثم قال "حسناً"، خرج الاثنان من الكهف وابتعدا قليلاً، قال الحارس "ماذا تريد؟"، أخرج "إزيل" صورة من جيبه وقال "هل تعرفها؟".

ارتعش جسده وهو يحدق فيها ثم نظر إليه بغضب ووضع يده على السلاح الذي بحوزته، قال "إزيل" "إن قتلتني الآن ستموت هي أيضاً"، توقف الرجل وقال وهو يلكمه "كان أنت أيها اللعين، أيها الشيطان اللعين"، تفادي وقال "ظننتها ماتت وهي مازالت حية، ظننتك ستكون سعيداً"، قال وهو يبكي "هل تعلم ما مررت به؟ ماذا فعلت لك؟ ماذا فعلت؟".

قال "يمكنك استعادتها، ابنتك لم تمت في ذاك الحادث قبل عام أنا أخذتها، أنا أنقذتها"، حدق فيه الحارس وهو يبكي فقال "إزيل" "إنها بخير في منزلي مع شخص أثق به، إن كنت تريد استعادتها عليك أن تُسدي لي خدمة صغيرة".

بعد قليل عاد الاثنان إلى الكهف، سأل الوزير الحارس "ماذا هناك؟! وجهك يبدو شاحباً ما الأمر؟"، رسم ابتسامة على وجهه وقال "كل شي بخير، سيدي شكراً"، حدق فيه الوزير بصمت ثم اختلس نظرة إلى "إزيل" ثم أعاد النظر إليه وقال "حسناً، أبلغ البقية أننا سنغادر"، قال "أمرك" ثم سار مبتعداً.

اقترب الوزير من "إزيل" وقال "ماذا فعلت له؟"، قال مستغرباً "من؟"، سكت قليلاً ثم قال "إن كنت تريد اللعب معي فأحذرك، ستؤذي نفسك"، ابتسم وقال "تأخرت، فعلياً ... بدأت اللعبة".

حدق فيه الوزير قليلاً ثم استدار وقال "ليكن إذن" ثم اجتمع مع الحرس وغادروا المكان، قال المستشار لـ "إزيل" "تمت أول خطوة"، قال "نعم".

قال "إن أخبر أحداً سينتهي كل شيء"، قال "لن يفعل"، قال "لماذا أنت متأكد؟ إنه واحد من الحرس وأنت تطلب منه أن يخون موطنه، إنهم يفضلون الموت على أن يفعل أحدهم هذا"، قال "هناك أشياء أكثر رعباً من الموت، عندما أخبرته أنني سأعذب ابنته إن لم يفعل ما أقول انصاع تماماً"، حدق فيه فنظر إليه وقال "ماذا؟"، ابعد ناظريه وقال "لا شيء ... لنبدأ التحضير للخطوة التالية".

في اليوم التالي بدأ "إزيل" بتنفيذ ثاني خطوة في خطته فقام بتسميم شحنة من المواد الغذائية المتجهة إلى "سيارا" بنوعين من السم، أحدهما اكتشفه وهو صغير وليس له علاج وبآخر يمكن علاجه.

عادةً عندما تصل أي شحنة من "نوشاي" إلى "سيارا" يتم فحصها للتأكد من جودتها ولكن عندما وصلت هذه الشحنة لم يكن هناك أحد لتفتيشها فمرت دون تفتيش.

بعد أيام مرض عدد كبير من مواطني "سيارا" ومات البعض ومن ضمنهم وزيرين وعندما فحصوهم وتحروا عن الأمر وجدوا أن السبب هو التسمم الغذائي فمنع الوزراء فوراً استيراد أي غذاء من "نوشاي".

عندما علمت "نورا" ملكة "سيارا" بالأمر غضبت كثيراً خصوصاً أن أحد الوزيرين هو خالها ثم قالت بغضب "كيف حدث هذا؟! أليست كل الشحنات يتم فحصها قبل دخولها؟"، قال أحد الحراس "كان العمال في راحة ذلك اليوم بأمر من نائب الوزير الراحل ونحن لم نعتقد أن تفعل بنا "نوشاي" شيئاً كهذا"، قالت بغضب "أعلموا ملك "نوشاي" بما حدث وليتوقف استيراد الغذاء من "نوشاي" ولنستخدم ما لدينا".

بعد حادثة حرق المخازن تعلمت "سيارا" ألا تعتمد اعتماداً كلياً على محصول "نوشاي" فاستخدموا العلم لتصنيع الغذاء، مع أنه لم يكن له طعم وكان له بعض الآثار الجانبية لكنه كان يحتوي على كل ما يحتاجه الجسم من عناصر غذائية.

عندما علم "قاي" بما حدث قال إن ذلك مستحيل لأنهم يأكلون من نفس المحصول الذي يذهب إليهم ولم يتسمم أحد فأرسل رسالة إلى "نورا" تقول "يؤسفني ما حدث بشدة ومستعد لتقديم أي مساعدة لكن ليس الغذاء الذي يأتي إليكم من "نوشاي" هو السبب، لابد أن هناك سبباً آخر".

لم ترد "نورا" على تلك الرسالة وقامت بتقطيعها وأمرت بإيقاف التوريد لـ "نوشاي" إلى إشعار آخر، وبهذا توقفت "سيارا" عن الاستيراد من "نوشاي" وأوقفت التوريد لها وتوتر الوضع بين المملكتين.

لنترك المملكتان ونبتعد قليلاً، في هذا الوقت استيقظ الشاب ونظر حوله فوجد نفسه على سرير في منزل غريب وهو لا يستطيع تحريك أي جزء من جسده ثم قال مرتبكاً "ما هذا المكان؟ كيف وصلت إلى هنا؟ أووه، رأسي يؤلمني بشدة".

حاول تحريك جسده لكنه لا يتحرك فظل ينظر إلى السقف إلى أن دخل رجل بيد واحدة من الباب فنظر إليه واقترب الرجل منه وقال بدهشة "استيقظت أخيراً!!! ظننت أنك لن تستيقظ أبداً"، سأل "من أنت يا عم؟ هل أعرفك؟"، قال "أنا الرجل الذي أنقذ حياتك، في الحقيقة عندما وجدتك في الوادي مغطى بالرمال لا يظهر منك إلا يدك ظننت أنك ميت ولكنني تفاجأت حقاً عندما وجدت قلبك ينبض وبعدما أخرجتك من الرمال لم أصدق أنك ما تزال حياً مع كل تلك الإصابات، أنت محظوظ حقاً يا فتى".

"بالحكم على مظهرك يبدو أنك سقطت من الوادي خلال العاصفة، إنها معجزة أنك نجوت".

لم يرد الشاب ثم أعاد النظر إلى السقف ثم قال بحزن "يا عم، لا يمكنني أن أتذكر أي شيء"، سكت وهو يحدق فيه ثم جلس على السرير وقال "هذه مشكلة، في البداية تنام لأكثر من شهر ثم أخيراً وبعد أن استيقظت تفقد الذاكرة، أنت تضعني في موقف سيئ يا فتى".

قال "نمتُ لشهر؟!!! ... أعتذر عن كوني عبئاً، وشكراً لأنك أنقذت حياتي واهتممت بي كل تلك الفترة"، نظر إليه بشفقة ثم قال "لا تهتم لهذا كان هذا واجبي، أنت لا تتذكر أي شيء؟ ولا حتى اسمك؟".

قال "لا، لكنني فقط"، قال "لكنك ماذا؟"، قال "كل ما يمكنني تذكره هو أنني يجب أن أصبح أقوى، لا أعلم لماذا لكن هذا هو كل ما يمكنني التفكير فيه"، سكت وهو يحدق فيه ثم وقف وقال "حسناً، سنتحدث في هذا لاحقاً، أرح جسدك بينما أعد الغداء".

بعدما أعد الغداء وضعه أمامه فقال "لا أستطيع تحريك جسدي"، قال "يجب ألا يتحرك فهو لم يتحرك منذ أكثر من شهر" ثم ساعده على الجلوس وقال "انظر كم أصبح جسدك نحيفاً، يجب أن تأكل جيداً ليتعافى جسدك" ثم أمسك الملعقة وقال "حسناً، سأطعمك أنا، افتح فمك"، تعجب الشاب منه لكنه فتح فمه وبدأ يأكل.

بدأت الدموع تنهمر من عينيه وهو يأكل فقال مستغرباً "لماذا تبكي؟! هل الطعام سيء؟"، قال وهو يبكي "لا أدري لماذا لكن لم يعاملني أحد بهذا اللطف من قبل"، ابتسم وقال "يبدو أنك عشت طفولة قاسية، لعله في صالحك أنك فقدت الذاكرة"، فلم يقل شيئاً وتابع الأكل في صمت.

بعدما انتهوا من الطعام ذهب لغسل الأطباق فسأله بفضول "ما الذي حدث ليدك يا عم؟"، سكت قليلاً ثم قال "كان هذا منذ زمن ولا أريد التكلم عنه"، سكت لبرهة ثم قال "أين هذا المكان يا عم؟"، قال "هذا المكان هو بيتي، بيتي الذي في الصحراء، صحراء الضياع"، قال مندهشاً "صحراء الضياع؟!"، قال "نعم، هل تعرفها؟".

قال "لم أكن أتذكرها لكن عندما قلت الاسم شعرت كأنني سمعته من قبل"،

قال "هكذا إذن، أهنئك يا فتى يبدو أنك تعاني فقداناً مؤقتاً للذاكرة وليس دائم"، سأل "ماذا تعني؟"، قال "أعني أنه يمكنك أن تستعيد ذاكرتك لكنك تحتاج لبعض الوقت"، فقال بلهفة "حقاً؟!"، قال "نعم لكنني لست متأكداً، هذا احتمال فقط... هل تريد استعادة ذاكرتك يا فتى؟".

قال بدون تفكير "نعم بالطبع"، قال بحزن "حتى لو كانت مؤلمة؟"، سكت لبرهة ثم قال "مهما كانت، سعيدة أو حزينة، تلك هي حياتي وعليَّ تقبلها"، نظر إليه وابتسم وقال "لم أتوقع هذا الرد، أحسنت قولاً أيها الشاب" ثم قال "لا تقلق سوف تستعيدها وإلى ذلك الحين ستبقى معي هنا إلى أن تتعافى بالكامل"، سكت لعدة ثوان ثم بدأ بالبكاء.

قال "ستبكي مجدداً؟ توقف عن هذا، كم عمرك؟"، قال "شكراً يا عم، أنا مدين لك حقاً، بالمناسبة ما هو اسمك يا عم؟"، قال "اسمي؟! ... لم يسألني أحد عن اسمي منذ زمن، لقد تخليت عن اسمي أيها الشاب، تركته ورائي مع كل شيء آخر، يمكنك الاستمرار في مناداتي "يا عم"، أعجبني هذا الاسم".

قال مبتسماً "حسناً "يا عم" شكراً لك على كل شيء"، فابتسم وقال "كف عن شكري أيها الشاب فأنا لا أحب هذا".

بعد أيام دخل الرجل المنزل فوجده في المطبخ يعد الإفطار فقال "يبدو أنك تتحسن بشكل جيد لكن لا تُرهق نفسك فجسدك مازال لم يتعاف بالكامل"، قال "لا تقلق أنا بخير، الآن أستطيع تحريك جسدي بشكل جيد، لنأكل" ثم وضع الطعام على الطاولة.

قال مندهشاً "ما هذا؟!! لم أكن أعلم أنك تجيد الطبخ"، قال مبتسماً "ولا أنا"، فابتسم الرجل ثم جلسا وبدأ بتناول الطعام، سأل الشاب "هل يمكنني الخروج الآن؟"، قال "كما تشاء"، عندما انتهيا خرج من المنزل مسرعاً ثم نظر حوله وقال بدهشة "واااه، هل نحن في الصحراء حقاً؟!".

قال بفخر "ما رأيك؟"، قال "هذا المكان مذهل، ما الذي تزرعه هنا؟"، قال "عدة أشياء، مثلاً هذه حقول الجزر، وتلك للبطاطس، وهناك الليمون وعدة أشياء أخرى"، قال "لابد أن هذا كان صعباً، أعني زراعة كل هذا وحدك".

قال "نعم، تطلب مني عشرين عاماً لأجعل هذا المكان بهذا الشكل"، قال بدهشة "أنت هنا منذ عشرين سنة؟! ألم تشعر بالوحدة؟"، قال "أحب أن أكون وحيداً لكنك جئت وأفسدت هذا".

نظر إلى الأرض بحزن ثم قال "آسف"، قال وهو يضحك "لا تكن جدياً هكذاً، أمزح فقط" ثم قال مغيراً الموضوع "إن كنت ستبقى معي هنا فيجب أن تساعدني في العمل"، قال مبتهجاً "نعم بالطبع سأكون سعيداً بهذا"، قال "وأيضاً هل مازلت تريد أن تصبح أقوى؟"، قال "نعم أريد، لهذا أريد أن أعمل فالعمل الشاق سيجعلني أقوى".

قال "نعم، أنت تعجبني حقاً أيها الشاب فأنت تعرف ما تريد، العمل الشاق سيجعل جسدك أقوى وأسرع لكن إن كنت تمتلك جسداً قوياً ولا تعلم كيفية استخدامه فلن ينفعك".

"لكي تكون قوياً بحق يجب أن تعزز قوتك الجسدية بقوة عقلية لأنه إذا كان جسدك سريعاً وعقلك بطيء فلن تستفيد شيئاً من تلك السرعة".

سأل بفضول "وكيف أفعل هذا؟"، قال "لم أكن أعتقد أنني سأقول هذا لأحد لكنني سأدربك"، قال "حقاً يا عم؟ هل أنت قوي؟"، فابتسم له ثم قال "هل ترى تلك الصخرة هناك؟"، قال "نعم بالكاد إنها بعيدة، ماذا بها؟"، التقط حجراً من الأرض ثم قال "راقبها جيداً" ثم رمى الحجر بقوة فانطلق كأنه رصاصة وعندما ارتطم بالصخرة تحطمت لأجزاء.

قال مندهشاً "مااااذا؟!!! تحطمت الصخرة، هذا لا يصدق".

قال "ما رأيك؟ هل تقبلني كمدرب؟"، قال "نعم أرجوك كن مدربي وسأفعل ما تقول"، قال "حسناً تقرر الأمر، من الآن فصاعداً ستناديني "مدرب" ولكن ماذا أناديك أنا؟ ... عرفت، سوف أناديك "ياو"".

قال "ما هذا الاسم؟"، قال "ألم يعجبك؟ كان اسم كلبي الراحل"، قال "أنت لئيم حقاً يا مدرب"، فضحك وقال "هيا لاتكن هكذا، أمزح فقط" ثم قال "كما أقول دائماً الرجال ليسوا بأسمائهم بل بأفعالهم، من الغد سيبدأ تدريبك لكنني أحذرك سيكون صعباً للغاية، أعدك أنك سوف تكره كل ثانية منه، هل أنت مستعد لذلك؟"، قال بعزم "نعم، أنا مستعد"، فابتسم وقال "هذا ما توقعته، حسناً لنفعل هذا"...

في هذه الأثناء في المملكتين، استمرت مملكة "سيارا" في مقاطعتها لـ"نوشاي" ولم ترد "نورا" على أي من رسائل "قاي" وبدأ هو وشعبه ينزعجون من تصرفهم ذاك الذي ليس له مبرر فتوقفوا عن إرسال الرسائل وانتظروا الرد ولكن الأمر ازاد سوءاً.

بعد حادثة التسمم في "سيارا" قامت بمنع التوريد لـ "نوشاي" لكن قبل تنفيذ هذا القرار كانت هناك شحنة أسمدة في طريقها إلى "نوشاي".

تلك الشحنة هي طلبية من "إزيل" تمت تحت إشراف نائب الوزير قبل أن يموت، السماد مسموم بالطبع، بعد أن استخدمه مزارعو "نوشاي" لم تعد الأرض قابلة للزراعة وتم استخدامه في كثير من الأراضي هناك.

غضب شعب "نوشاي" وأخبروا الملك "قاي" فقال بغضب "قبل أيام جاءتني رسالة من "سيارا" تقول إن الطعام الذي جاء إليهم كان مسموماً واتهمونا أننا السبب، إذن هكذا يردون" ثم قال "من الآن فصاعداً يُمنع استيراد أو توريد أي شحنة لـ "سيارا" إلى إشعار آخر".

اجتمع "قاي" بمستشاريه الذين من ضمنهم "إزيل" وشرح لهم الموقف وسألهم عما يجب فعله فقال أحدهم "هذا كله ليس إلا سوء تفاهم جلالتك، رأيي أن نحل هذه المشكلة بأسرع وقت ممكن".

قال آخر "أنا أتفق معك"، وآخر "أرى هذا أيضاً جلالتك"، قال "قاي" بغضب "لقد تمادوا كثيراً، نحن لم نفعل لهم شيئاً كيف يفعلون بنا هذا؟"، قال أحدهم "نحن خسرنا بضعة أراض فقط وهي لا تشكل شيئاً في مساحة أراضينا الواسعة ولكنهم خسروا أرواحاً جلالتك، الناس تخطئ، لنكن أفضل منهم ونسامح"، سكت "قاي" وهو يفكر فقاطع تفكيره صوت يقول "هل يمكنني أن أقول رأيي؟".

نظر "قاي" إلى مصدر الصوت وقال "لست بحاجة لتستأذن يا "إزيل""، قال مبتسماً "شكراً" ثم قال "أن تكون متسامحاً هو شيء جميل للغاية ولكن دعني أروي لك قصة صغيرة"

"منذ فترة كنت أتمشى في الظهيرة فشاهدت كلباً أبيض اللون يلعق عظمة كبيرة ويرتدي طوقاً يدل على أن أحدهم يملكه، جاءت مجموعة كلاب شاردة وأحاطت به وبدأت بالنباح فترك العظمة لهم ثم ذهب وتبعته بعيني إلى أن رأيته يدخل بيتاً صغيراً بجانب أحد المنازل، في اليوم الذي بعده كنت ماراً من نفس الطريق فوجدت مجموعة الكلاب تلك نائمة في ذلك البيت الصغير فأكملت طريقي فوجدت الكلب الأبيض نائماً تحت شجرة فتوقفت قليلاً لأنظر إليه ثم تابعت طريقي، بعدها بيومين مررت من نفس الطريق فوجدته ميتاً وحوله مجموعة الكلاب تلك"، عم الصمت قليلاً ثم قال "قاي" "والذي تريد إيصاله هو".

قال "لا تكن الكلب الأبيض".

قال "قاي" "وماذا تقترح؟"، قال "لا شيء"، فسأل مستغرباً "ماذا؟!"، قال "دعنا لا نفعل شيئاً وننتظر لنرى ما سيحدث، نحن يمكننا أن نعيش بدونهم

ولكنهم من لا يستطيعون أن يعيشوا بدوننا وأريدهم أن يعلموا هذا"، سكت "قاي" لبرهة ثم وقف وقال "سأفكر في هذا بمفردي".

بعد 3 أشهر...

ظلت المنافذ مغلقة ولم تتعامل أي مملكة مع الأخرى.

لم يعد شعب "سيارا" يتحمل ذلك الطعام الذي بدون طعم وبدأت آثاره الجانبية تظهر بصور خطيرة، أكبر مشكلة في ذلك الطعام أن الجسم لم يكن يتخلص منه بسهولة فكانوا يعانون بشدة عندما يحين ذلك الوقت.

وشعب "نوشاي" لم يعد يحصل على محصول بنفس جودة ولا سرعة نضوج المحصول الذي كان يُزرع بسماد "سيارا" ونفذ وقود آلات الزراعة خاصتهم فأصبح عملهم أصعب مئة مرة من قبل.

آلات الزراعة تلك لم تدخل "نوشاي" إلا حديثاً (قبل 200سنة تقريباً) لأنهم لم يكونوا يؤمنون أن العمل يجب أن يتم باستخدام تلك الأشياء "فهي تضيع روح العمل" كما كانوا يقولون وحدثت الكثير من الفوضى والاعتراضات فور قيام ملكهم وقتها باستيراد تلك الآلات.

كانت وجهة نظره مقنعة لأن أرض "نوشاي" شاسعة وحصادها كلها يتطلب وقتاً وجهداً كبيراً و"سيارا" تقوم باستيراد كمية كبيرة من محصولهم ومن لحوم الحيوانات التي يربونها ومع عدم وجود عملة مشتركة بين المملكتين فلا يمكنهم أن يأخذوا مقابلاً لما يعطونه نقداً وإنما عن طريق المقايضة، فشحنة من "سيارا" تقابلها شحنة من "نوشاي"، فكانت شحنة "نوشاي" أكبر بكثير من شحنة "سيارا".

لسد تلك الثغرة قرر ذلك الملك أن يطلب منهم آلات ووقوداً لها ويعلموهم كيفية استخدامها، بعد أن أدخل الملك الآلات خضع شعب "نوشاي" لرغبته وبدأوا يستخدمونها بغض النظر عن مشاعرهم تجاهها ولم تمض فترة طويلة حتى

اعتادوا عليها بل وأحبوها، لأنها سهلت عملهم والإنسان يحب ما يسهل حياته، لكن ظل هناك هؤلاء القلة الذين فضلوا طريقتهم السابقة للعمل وكرهوا تلويث تلك الآلات لجو "نوشاي" النقي ولكن لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً.

آلات الزراعة تلك متعددة الأشكال فمنها السريع والخفيف الذي يستخدم لري المحاصيل ومنها الثقيل والقوي الذي يستخدم لجرف الأرض وغرس الأشجار الضخمة وأصبحت جزءاً مهماً من مجتمع "نوشاي" وأصبحوا يعتمدون عليها في كثير من الأعمال ولهذا كانت هذه الثلاثة أشهر من أصعب الأوقات التي مرت عليهم.

في تلك الفترة التي قاطعت فيها المملكتان بعضهما أدركتا شيئاً مهماً لم يكونا في دراية عنه، كم هما بحاجة لبعضهما، رغم هذا لم تعترف أي من المملكتين بحاجتها للأخرى.

وعندما يأتي الأمر للعناد فـ "قاي" و "نورا" عنيدان لأقصى حد فكل منهما ينتظر اعتذار الآخر لأن المسألة لم تعد مسألة من منا محق، أصبحت مسألة كرامة، من سيتنازل أولاً.

خصوصاً "نورا" ملكة "سيارا" فهي امرأة في أواخر العشرين من العمر وهي ذكية لدرجة لم تشهد "سيارا" مثلها من قبل ولهذا تولت الحكم في هذه السن المبكرة وهي أصغر حاكمة في تاريخ "سيارا".

أنهت المرحلة الأولى من التعليم في سنتين فقط وهي في العادة تستغرق عشر سنوات، ثم أنهت المرحلة الثانية في أربع سنوات فقط وهي في العادة تتطلب 15 سنة للتمكن منها، ثم وصلت لدرجة "ماجا" في سنة واحدة، وبعد أن أظهرت كماً هائلاً من العلم الذي جعل العلماء الآخرين يقفون لها احتراماً عندما تمر أمامهم ارتقت لمنصب "وزير" وهو أعلى منصب علمي في "سيارا".

وقبل خمس سنوات فازت في انتخابات الرئاسة لتصبح الملكة131 لـ "سيارا".

هي امرأة لم تُبد اهتماماً لأي شيء إلا للعلم وهي لم تفعل هذا لتنال إعجاب أحد، هي كانت تستمتع وتنفصل عن العالم تماماً عندما تقرأ كتاباً أو تحل معادلة مستحيلة أو تخترع آلة عبقرية.

"العلم هو نهر كلما شربت منه ازددت عطشاً" هذا ما كانت تقوله دائماً في محاضراتها.

"نورا" هي عبقرية بكل المقاييس ولكن من يستحق الثناء حقاً هو نظام التعليم في "سيارا" الذي يضع كل شخص في مكانه وعندما يرى الموهبة يقوم بأخذها وفصلها عن البقية وتنميتها بأفضل طريقة يمكن أن تنمى بها لأنهم يؤمنون أن العبقرية تصنع ولا يهم كم هي البذرة جيدة، إن لم توضع في التربة المناسبة لها لن تزهر.

"سيارا" فهمت أن البشر غير متساوين في القدرات، وهذا ليس عيباً، بالعكس إنه شيء رائع، هذا ما يجعلنا نكون مجتمعاً فلو كنا جميعاً بنفس الإمكانيات لن نحقق شيئاً.

"اختلافنا هو ما يجعلنا أقوى" "سيارا" فهمت هذا لهذا نظامهم مبني على وضع كل في مكانه وكل حسب مقدرته وموهبته، لقد فهموا أن العلم يستحيل أن يفرض على الإنسان، "العلم ليس معلومات تحفظها أو أقولاً تقتبسها، العلم كيان خاص فريد تكتسبه ونور يُريك العالم كما لم تره من قبل"، كلها أقوال دائماً ما تُقال في "سيارا".

إنهم يعتبرون كل شيء علماً، كل شيء، وليس من سياستهم أن يجعلوا اهتمام الطلاب الأول هو تحصيل الدرجات والشهادات وترك العلم وهو الشيء الذي وضِع هذان الاثنان ليدلا عليه من الأساس.

وأن يحتكر شخص العلم هذه جريمة هناك، تلك هي ثاني أكبر جريمة عندهم بعد القتل، لأنهم يرون أن المعرفة هي حرية يجب أن يُعطاها كل إنسان وأن العلم لا يمكن أن يحتكره أحد ولا أن يكتمه أحد ونظام التعليم هناك مجاني للجميع "كل من يريد العلم فليأتي إلينا" تلك لافتة مُعلقة في جميع صروح التعليم هناك، وهم لديهم مكتبة عظيمة مفتوحة للجميع بملايين الكتب التي تحتويها.

ولتلك القلة القليلة التي لا تريد أن تتعلم ولا تريد أن تفعل شيئاً ليس عن عجز ولكن عن كسل فـ "سيارا" لا ترحمهم، لأنه لا فائدة منهم، وكل هذا ما جعلهم يبنون حضارة عظيمة لم يشهد العالم مثلها من قبل.

في هذا الوقت كان "إزيل" جالساً مع ذلك المستشار الذي يتبعه، كان هذا المستشار عديم الثقة في نفسه منذ أن كان طفلاً فهو دائماً ما كان يعيش في ظل شخص قوي لأنه يرى أن هذه أفضل طريقة لتجنب المشاكل، وهو الآن يسكن ظل "إزيل" لأن فيه الكثير من الغرف الشاغرة.

قال "إزيل" مفتتحاً الحديث "جيد جداً، كل شيء يسير كما خططت"، قال "لا أفهم! كيف لإفساد العلاقة بين المملكتين أن يساعد في توحيدهما"، قال بثقة "الصبر، تلك هي البداية فقط، كل شيء سيتضح في النهاية، أعدك أنه عندما تنتهي هذه الخطة ستتوحد المملكتان وتصبحان مملكة واحدة تحكم العالم كله"، قال "حسناً، ماهي الخطوة التالية؟"، قال "الخطوة التالية هم سيفعلونها" وضحك ضحكة شريرة.

بعد ثلاثة أشهر أخرى من العناد جاءت رسالة من "سيارا" لـ "نوشاي" تقول "حسناً أنا أستسلم، أنت عنيد كالعادة يا "قاي"، لم يعد شعبي يتحمل هذا الطعام، أنا أعتذر لقد كنت مخطئة، آسفة أنني شككت بك، أعلم أنه لم يكن لك

علاقة بتلك الشحنة المسمومة ولكني كنت غاضبة فقط، لكن ما حدث قد حدث، لذا هل يمكننا إعادة العلاقة؟ ولنبدأ من جديد".

جاء الرد سريعاً من "نوشاي" "تأخرت هذه الرسالة كثيراً لكن أن تتأخر أفضل من ألا تأتي، بالطبع سأعيد العلاقة يا "نورا" فنحن أصدقاء قبل كل شيء، أتفهم أنك كنت غاضبة لكن تسميم الأرض، لم أتوقع منك هذا، لكن كما قلت ما حدث قد حدث، أرسلي حاملة لنقل البضائع لأن الوقود نفذ من التي لدينا وبعض السماد الصالح لأن الأرض تحتاجه".

قرأت "نورا" الرسالة ثم قالت "تسميم الأرض؟!! السماد الصالح؟!! ماذا يقصد؟" ثم فكرت قليلاً ثم قالت "ما الذي يحدث هنا؟!" ثم وقفت وغادرت الغرفة، عادت العلاقة بين المملكتين أخيراً بعد ستة أشهر ولكن أصبحتا أكثر حذراً وانتباهاً لما يأتي من الأخرى.

لكن هذه ليست نهاية سعيدة فبعد عدة أيام دعا رئيس وزراء "سيارا" إلى اجتماع بحضور الملكة وجميع وزراء المملكة.

رئيس الوزراء ذاك هو العم الأكبر لـ "نورا" وهي تحترمه كثيراً وتعامله كأنه والدها وجميع الوزراء يحترمونه أيضاً فهو أكبرهم وأكثرهم علماً، هذا الرجل كان في شبابه من أفضل العلماء في المملكة وله إنجازات كثيرة جعلته من المعالم الرئيسية في تاريخ "سيارا".

بدأ الاجتماع، فحيا الملكة ثم الوزراء وهنأهم بانتهاء الأزمة وبعودة الأمور لطبيعتها ثم قال "لكن ليس هذا ما جمعتكم لمناقشته، قبل بضعة أعوام احترقت مخازن "نوشاي"، نعم كان ذلك حادثاً وأثر عليهم بشدة ولكننا عانينا أيضاً من قلة الغذاء لسنة كاملة، وقبل ستة أشهر جاءتنا منهم شحنة مسمومة بسم لم نعرف له علاجاً تسببت في مقتل ابني ووزير آخر وكثير من المواطنين وبعدها

عانينا مجدداً من قلة الغذاء لكن كان هذا أسوء من المرة الأولى مما اضطرنا لأن نأكل طعاماً بدون طعم لعدة أشهر ... ما أريد قوله هو ماذا لو حدث هذا مجدداً؟ هل سنعاني مجدداً؟ ماذا لو قررت "نوشاي" عدم إعطائنا الغذاء لمدة أطول؟ هل سنموت من الجوع؟ إننا نجعل أنفسنا لعبة في أيديهم لأننا نحتاجهم وهم يعلمون أننا نحتاجهم أكثر مما يحتاجوننا، إلى متى سيستمر هذا؟ إلى متى سنكون تحت رحمة "نوشاي"؟ نحن نمتلك مملكة عظيمة لا يمكن أن نكون تحت رحمة مملكة أخرى، مع كل العلم الذي نملكه يتم التحكم بنا من قبل مزارعين؟ هل يعقل هذا؟ لابد لهذا أن يتغير".

عم الصمت قليلاً ثم قالت "نورا" "تتم الآن أبحاث لحل هذه المشكلة"، قال رافعاً صوته قليلاً "أعلم أنه تتم أبحاث لحل المشكلة لأنني أنا من يشرف عليها، هل تعرفين ماذا كانت النتيجة؟ مهما فعلنا في "سيارا" لن نستطيع سد احتياجات جميع السكان من الغذاء، كلكم تعلمون عدد سكان "سيارا"، أراضي "نوشاي" فقط هي ما تستطيع سد احتياجاتنا".

قالت "نورا" بحزم "لا، لا يا عمي هذا لن يحدث"، قال "كما هو متوقع من ملكة "سيارا" لكن هذا هو الحل الوحيد، نحن نمتلك أسلحة يمكنها تدمير هذا العالم عشرات المرات ألن نستخدمها؟! إذن لم صنعناها؟"، قالت "تلك الأسلحة للدفاع وليست للهجوم".

صاح " "**نورا**"، **أنا لن أقف وأرى الناس تموت من الجوع**".

قالت "عمي، تعلم كم أحترمك ولكن كيف تُفكر في شيء كهذا؟ ألم يتعاهد أجدادنا على ألا يعيدوا تلك الحرب أبداً ونحن نجتمع كل عام لتجديد ذلك العهد"، قال "كان هذا في الماضي لقد تغير الوضع، تخيلي فقط كم سيكون عظيماً لو تمكنا من ضم "نوشاي" إلينا، سيكون هناك مملكة واحدة تحكم العالم كله كما كان عندما وحَّده جدنا الأكبر".

قالت "نعم سيكون رائعاً، لكن كم من الناس سيموتون قبل حدوث هذا؟". قال بحزم "لابد من تضحيات لتتقدم الأمم"، قالت منهية الحديث "لا يا عمي لن يحث هذا وأنا الملكة"، قال "تعلمين أنك لست وحدك من يأخذ القرار، سنقرر هذا بالتصويت" ثم قال بصوت مرتفع "من يصوت على الحرب لرد كرامتنا وإحياء إرادة جدنا الأكبر في توحيد هذا العالم".

كان في القاعة 28 وزيراً فرفع عشرة منهم أيديهم.

غضب الرئيس وقال "ستندمون على هذا" ثم انصرف من القاعة وذهب وراءه الوزراء الذين رفعوا أيديهم وعم الصمت في القاعة، قالت "نورا" بحزن "يمكنكم الانصراف الآن"، ذهبوا جميعاً وبقي وزير واحد.

قالت "نورا" بحزن "يبدو أنه لم يتخط الأمر بعد"، قال بنظرة حزينة تعلو وجهه "ولا أعتقد أنه سيفعل ... كيف ألومه وأنا أعلم كيف يشعر، عندما توفت أختك الصغيرة بسبب ذلك الطبيب الفاشل اقتربت من أن أفقد عقلي، أنت لا تعلمين مدى صعوبة أن تخسري شخصاً تحبينه".

قالت "نعم لقد تركت السلطة لهذا السبب"، قال "تركتها لكيلا أفعل شيئاً أندم عليه فبعد أن هرب ذلك الوغد كنت سأفرغ غضبي على أسرته"، قالت "نعم ... على كل حال لا تتركه بمفرده من فضلك فهو يحتاجك الآن أكثر من أي وقت"، قال بغضب "هل تطلبين مني أن أراقبه؟!"، قالت "تأكد فقط أنه لن يفعل شيئاً يندم عليه".

سكت قليلاً ثم قال " "نورا" هناك حدود لأن يكون الشخص حذراً، ما تفعلينه ليس ما ربيتك عليه، لا تنسي ما قدمه أخي لهذه المملكة أيتها الملكة، إنه يمر بأزمة فقط، هو لن يخوننا بالطبع".

قالت بغضب "أنا أكثر من يعلم ما قدمه عمي للمملكة، كل ما قلته هو أن

تقف بجانبه في هذه الأزمة التي يمر بها يا أبي، عمي هو أكثرنا حباً لـ"سيارا" بالطبع هو لن يخوناً فمن فضلك لا تقل مثل هذه الأشياء"، سكت لبرهة ثم قال "نعم، أعتذر"، قالت "لست بحاجة لهذا، هذا يوم سعيد يا أبي، حللنا المشكلة مع "نوشاي"، نحن لم نأكل طعاماً جيداً منذ أشهر لنذهب ونستمتع بهذه النعمة"، ابتسم وقال "أعلم أن هذا كان صعباً عليك، أعني أن تطلبي أنت الصلح"، قالت "لا، ليس مع "قاي" "، فابتسم وقال "هكذا إذن" ثم وقف وانصرف.

ظلت "نورا" في القاعة بمفردها واضعة يدها على خدها تفكر لماذا يحدث كل هذا؟ "نورا" لم تكن على علاقة جيدة مع والدها، في الحقيقة هي لم تكن على علاقة جيدة مع أي شخص عدى "قاي" فذكاؤها جعلها قادرة على كشف نفاق الناس وتعاملهم المبني على المصالح وهي كانت تكره هذا لكن "قاي" لم يكن كذلك فما في قلبه على لسانه، مع أنه بالكاد يقرأ وهي ملكة بلاد العلم العظيمة إلا أنهما يتوافقان بشكل غريب.

هناك شيء يجب توضيحه قبل أن نكمل، حب "إزيل" لاستخدام السموم له سبب يعود إلى ماضيه المؤلم أو بالأحرى قصة حزينة.

بعد أن مات والده في ذاك الحادث حزن بشدة فهو كان يحبه كثيراً ووالده كان يهتم به ويريده أن يصبح أفضل إنسان في العالم فعلمه القراءة والكتابة وكان يحكي له قصص الأبطال كل ليلة قبل أن ينام ليشجعه وكان أقرب صديق له لهذا كان موته صدمة كبيرة له ولكن وجود والدته بجانبه خفف حزنه قليلاً وأصبح هو ووالدته يعيشان وحدهما في المنزل.

كانت شابة جميلة ولطيفة في العقد الثالث من عمرها و"إزيل" كان يحبها بشدة فعندما يراها تبتسم ينسى هموم العالم كلها.

كان لديهما حقل صغير أمام منزلهما وبعض الأغنام التي ترعى فيه، وكان يكفيهم وكانوا سعداء وراضين به والسعادة تكون في الرضى.

في يوم من الأيام خرج "إزيل" من منزله مبكراً وذهب إلى أحد الجبال التي كان يحب أن يستكشفها وحيداً ثم قطف بعض الزهور التي لا تتواجد بكثرة في "نوشاي" ثم عاد إلى منزله مسرعاً قبل أن تستيقظ والدته فهو يريد أن يفاجئها بالإفطار الذي سيعده فهذا هو يوم مولدها ويريده أن يكون أسعد يوم في حياتها.

قام بتقطيع اللحم ووضع المقبلات وطهي الطعام وفعل هذا بهدوء لكيلا تستيقظ والدته وهو يتخيل ابتسامتها التي تضيء عالمه عندما ترى ما فعل، قام بتزين الطاولة ووضع الطعام عليها بشكل مرتب وأنيق ثم قام بتزين الطبق الرئيسي بتلك الزهرة التي ذهب خصيصاً ليقطفها وكان قد وضع بعضها في الحساء ليعطيه تلك الرائحة الجميلة.

هذه الزهرة كان قد قرأ عنها في أحد كتب الأعشاب التي أحضرها والده من أحد معارفه لكن ذلك الكتاب كان مُمزقاً بعض الشيء، فتلك الصفحة التي فيها صورة الزهرة والمعلومات التي عنها كانت ممزقة من الأسفل ويتضح أن هناك كلاماً ناقصاً ولكن "إزيل" لم يهتم بهذا مطلقاً فهو اكتشف تلك الزهرة النادرة ومن حقه أن يستخدمها.

ايقظت رائحة الطعام والدته فخرجت من غرفة نومها ووجدت طاولة الطعام بذلك الشكل الرائع و"إزيل" واقف بجانبها ينظر إليها ويبتسم، نظرت إليه مندهشة وبدون كلمات ركضت نحوه وعانقته بقوة والدموع في عينيها فقال لها مبتسماً "كل عام وأنت بخير يا أمي".

زاد بكاؤها وقالت بسعادة "لم أكن لأحلم بابن مثلك، أنت النور الذي يضيء حياتي"، فابتسم وقال "يسعدني هذا".

جلسا لتناول الطعام و"إزيل" لم يكن يأكل ولكن يراقب والدته ليرى ردة فعلها تجاه ما فعل وهي تبادله بابتسامة كبيرة ثم يبتسم لها بالمقابل.

هي لم تهتم إن كان الطعام لذيذاً أم لا، يكفي أنها رأت الجروح التي على يديه إثر استخدام السكين وتفاجأت بهذا لأنه كان دائماً ما يخاف منها ولا يحب أن يحملها لكنها لم تقل شيئاً لأنه فعل هذا من أجلها، ومر هذا اليوم على نحو رائع أكثر مما توقع "إزيل" أن يكون.

في اليوم التالي لم تستطع والدته النهوض من فراشها لأنها كانت مُتعبة فقال لها "استريحي يا أمي وسأهتم أنا بالعمل في المنزل وفي الحقل"، ابتسمت وقالت "يبدو أن كل السعادة التي جعلتني أعيشها أمس عادت لتنتقم مني"، ابتسم وقال "ستكونين بخير، عليك أن تستريحي فقط".

في اليوم التالي ازدادت حالتها سوءاً فذهب إلى طبيب قريب من المنزل وأحضره ليفحصها وكان الطب محدوداً في "نوشاي" فهم يستخدمون الأعشاب للمداوة من الأمراض الشائعة ولكن ليس كل الأمراض يمكن مداواتها بذلك، وهذا كان الحال مع والدته فاعتذر الطبيب وقال إنه لا يدري ما بها وأعطاه بضعة أعشاب مُسكنة لتخفف من ألمها ثم ذهب.

أصبح محتاراً وحزيناً ولا يدري ما يفعل فوالدته تتألم بشدة وتزداد حالتها سوءاً في كل ساعة فقرر أن يذهب إلى طبيب مشهور يقرأ الكتب ويشار إليه بالعلم ولكنه بعيد عن المنزل ولم يكن لديهم آلة يمكن أن يركبها ليصل إلى هناك فهم كانوا فقراء ولكن ليس هناك خيار آخر.

ذهب إلى خالته التي هي قريبته الوحيدة من والدته والتي منزلها قريب من منزله وأخبرها أن تهتم بها لحين عودته فسألته أين هو ذاهب فأبى أن يخبرها ثم جمع ما يحتاج للرحلة وقبَّل رأس والدته وقال لها أن تنتظره ريثما يعود، ابتسمت له تلك الابتسامة التي يضحي بأي شيء ليراها ولكن هذه المرة كان يتخللها الكثير من الألم فنظر إليها بحزن ثم خرج ركضاً من المنزل.

بعد يومين وصل هناك أخيراً فذهب لمكان الطبيب وحكى له قصته فسأله باستغراب "لماذا لم تأتي مع أحد أقاربك؟!!!"، قال "هم لديهم الكثير من الأعمال وأنا أكره أن أزعج الآخرين"، قال متعجباً "هل تقول إنك أتيت كل هذه المسافة وحدك لهذا السبب؟!!!"، قال "نعم".

أشفق عليه الطبيب وكان يتضح عليه أثار السفر والإرهاق فلم يجد خياراً إلا أن يعود معه، استقل الاثنان آلة من آلات الزراعة السريعة وانطلقا إلى هناك بأقصى سرعة، وصلا في عدة ساعات وكان "إزيل" سعيداً جداً بهذا فآلة الزراعة تلك سريعة للغاية.

أوقف الطبيب الآلة أمام المنزل وركض "إزيل" للمنزل والطبيب وراءه ثم دخل وهو ينادي "أمي، أمي، أحضرت الطبيب" ودخل غرفتها وهو يتخيل ابتسامتها بعد أن تتحسن لكنه لم يجدها في الغرفة ووجد السرير مرتب والبيت فارغ.

استغرب من هذا وتبادر في ذهنه أنها تحسنت وذهبت إلى خالته كما كانت تفعل ففرح كثيراً وركض باتجاه الباب ليبحث عنها ويطمئن عليها ولكن الطبيب أوقفه وهو يفتح الباب وسأله بدهشة "من أين أتيت بهذه الأزهار؟" وهو يشير إلى إناء الزهور الذي على النافذة.

نظر إليه "إزيل" ثم نظر إلى الأزهار الزرقاء التي وضعها في إناء وقال " "إكسيونسا"، أنها نوع من الأزهار النادرة"، تعجب وقال "أنت تعرف اسمها أيضاً؟! كيف؟!!!"، قال "قرأت عنها في كتاب"، فسأل متعجباً "هل تعرف كيف تقرأ؟!" ثم قال بلهفة "أرني ذلك الكتاب".

أحضر "إزيل" الكتاب وأراه الصفحة التي فيها رسمة الزهرة ثم قال "هذه هي، وهي تمتلك رائحة وطعم رائعاً فاستخدمتها لطهي الطعام"، سكت الطبيب

وتغير وجهه وهو ينظر إليه غير مصدق ثم أمسك به بقوة وقال بصوت مرتفع "**هل أكلت من هذه الزهرة؟**".

تعجب "إزيل" وقال بصوت متردد "لا، لا أحب أن آكل الطعام المطبوخ لكنني وضعتها في الطعام الذي طهوته لأمي"، ارتعش جسده وقال مصدوماً "ماذا فعلت؟!!!"

ثم جلس على كرسي بجانبه وأمسك جبهته وقال بغضب "تلك الزهرة مسمومة"، نظر "إزيل" إليه نظرة فارغة وقال "ماذا؟!".

سكت قليلاً ثم قال وهو ينظر إلى الأرض "ذلك السم ليس له دواء"، رمى "إزيل" الكتاب ثم ركض إلى بيت خالته وطرق عليها الباب بقوة ففتحت وتفاجأت برؤيته وقالت " "إزيل"!!! أين كنت؟!!"، قال "أين هي أمي؟"، فلم تقل شيئاً فأعاد عليها السؤال، سكتت قليلاً ثم قالت بصوت حزين وهي تنظر إلى الأرض "لقد ماتت".

هذه الكلمات نزلت على "إزيل" كالبرق، تجمد في مكانه وبطريقة ما تجاهل عقله تلك الكلمات التي سمعها قبل لحظات فسأل مجدداً "أين أمي؟"، فنظرت إليه بحزن ثم بدأت بالبكاء، فسأل مجدداً "أين أمي؟"، فعانقته وهي تبكي وهو يعيد سؤاله مراراً "أين أمي؟".

تبعه الطبيب إلى بيت خالته وعندما رآه بتلك الحالة جرت الدموع في عينيه فبعد أن ذهب كل تلك المسافة لإحضاره لمساعدتها يكون هو من تسبب في موتها.

ندم أنه أخبره عن تلك الزهرة ولكنه كان متفاجئاً لأنه لم يرها في الواقع من قبل، حاول هو وخالته إسكاته عن قول "أين أمي" ولكنه لم يسكت ولم يذرف دمعة واحدة لا هنا ولا عندما مات والده، لم يجد الاثنان خياراً إلا أن يأخذاه للقبر ليتوقف عن قول هذا.

عندما وصلوا إلى هناك قال له الطبيب "ماتت أمك أيها الغلام وهذا هو قبرها، آسف حقاً"، كان يعلم أن قول هذا بتلك الطريقة قاس للغاية ولكن هذا لمصلحته فتلك الصدمة التي تلقاها يمكن أن تشكل خطراً على حياته إن لم يفق منها.

توقف "إزيل" عن الكلام واقترب من القبر الذي كُتب اسم والدته عليه ثم وقف ينظر إليه وقد وضِع أمام شجرة التفاح التي كانت تُحبها كثيراً ودائماً ما قضى معها الكثير من الوقت الممتع هناك.

سقط "إزيل" على ركبتيه ثم ولأول مرة بدأ يبكي.

ولم يتوقف عند هذا الحد فبدأ بحفر القبر وهو يبكي، انبهر الطبيب والخالة وحاولا إيقافه ولكنه لم يتوقف.

أمسكه الطبيب وسحبه بالقوة فحاول "إزيل" الإفلات منه ثم وقع على الأرض ثم نظر إلى الطبيب نظرة جعلته يتجمد في مكانه، نظرة تحمل كماً هائلاً من الرغبة في القتل، وقف "إزيل" وأخذ غصن شجرة كبيراً كان بجانبه وضرب به الطبيب حتى أفقده الوعي وظل يضرب فيه حتى فارق الحياة.

سقطت خالته على الأرض من الصدمة وفقدت الوعي، رمى "إزيل" الغصن الملطخ بالدماء ومشى إلى القبر بخطوات يائسة وبدأ يحفر.

عندما أخرج جسد والدته من القبر أمسك بها بقوة وصرخ صرخة تذيب قلب أي إنسان.

"إزيل" لم يفقد عقله من قلة فما مر به كان أكثر من أن يتحمله أي إنسان، كان دائماً طفلاً هادئاً مسالماً يعيش في عالمه الخاص ولكن الطريقة التي صُممت عليها هذه الحياة تتطلب أكثر من هذا للنجاة.

عندما أفاقت خالته لم تُخبر أحداً بما شاهدته ولكنها لم تستطع أن تعيش معه تحت سقف واحد فقد قتل إنساناً فأرسلته إلى ذاك الملجأ.

"إزيل" مر بالكثير ولكن هل يمنحه هذا الحق في أن يكون شريراً؟

لا بالطبع، ولكن حقاً ... إنني أتعاطف معه بطريقة ما.

هناك أناس ينفجرون عند كل موقف يغضبهم وأولئك يشكلون النسبة الأكبر من الناس، لكن هناك هؤلاء القلة الذين يكتمون المشاعر السلبية بداخلهم لأنهم يعلمون أن إخراجها ليس هو الحل، لهذا هم دائماً هادئون.

لكن هناك حد، عندما يصلون لهذا الحد فإنهم ينفجرون وليس أي انفجار انفجار لن تتخيل عواقبه....

الفصل الرابع

(متحدين نقف، متفرقين نسقط)

يوم "العهد" الـ 1019

جاء يوم "العهد" وفتحت المملكتان الأبواب وبدأ الاحتفال، كانت نية المملكتين في هذا اليوم تلطيف الأجواء بينهما وجعل الأمور تعود كالسابق لكن ما حدث كان عكس هذا تماماً.

بعد غروب الشمس جاء مواطن من "سيارا" وضرب آخر من "نوشاي" وقال "قتلتم أمي أيها الأوغاد"، فرد عليه وبدأ العراك واشترك مواطنون آخرون وأصبح عراكاً جماعياً بين مواطني "سيارا" ومواطني "نوشاي"، حاول الحراس تفريقهم لكنهم لم يستطيعوا فاشتركوا في القتال أيضاً وعمت الفوضى وخرج المكان عن السيطرة تماماً.

"قاي" و "نورا" كانا في اجتماع في مكان قريب من المهرجان فذهب إليهم أحد الحراس وأخبرهم بما يحدث فأسرعا إلى هناك فوجدا الناس يقتلون بعضهم.

"هل جننتم جميعاً" أسرع "قاي" إلى وسط الحشد وحاول التفريق بينهم

وذهبت "نورا" إلى مفتاح الطاقة وقامت بإطفائه فانطفئ الضوء وعم الظلام وتوقفوا عن العراك وكانت ليلة غياب القمر.

قال "قاي" بغضب "ليعد مواطنو "نوشاي" إلى بيوتهم وليعد مواطنو "سيارا" إلى مملكتهم".

لم يتحرك مواطنو "سيارا" وبدأوا بإلقاء الشتائم ولكن لم يرد عليهم أحد من "نوشاي" وفعلوا ما قاله ملكهم.

بعد فترة ذهب الجميع وعم الهدوء لكن هذا فقط هو الهدوء الذي يسبق العاصفة...

بعد 5 أشهر ..... في مكان آخر من العالم تحديداً "صحراء الضياع"...

استيقظ المدرب فوجد الشاب يضع الطعام والشراب في حقيبة فسأله متعجباً "ماذا تفعل؟!"، قال "أنا ذاهب"، قال مستغرباً "ذاهب؟! إلى أين؟"، سكت ولم يرد فسأل متعجباً "ماذا حدث؟! هل جننت أخيراً؟!"، قال "ألم أنهي فترة التدريب؟".

قال "نعم ولقد أدهشتني لم أتوقع أن تتقدم هكذا بهذه السرعة لكن ليس عليك الذهاب يمكنك أن تعيش معي هنا"، قال مبتسماً "ألست تحب أن تبقى وحيداً؟!"، قال "أين ستذهب؟"، قال "استعدت ذاكرتي يا مدرب"، قال متعجباً "مااااااذا؟!!! منذ متى؟ لماذا لم تُخبرني؟!"، قال "ليلة أمس، أنا أعتذر لكن يجب أن أذهب، شكراً على كل شيء".

قال منزعجاً "انتظر قليلاً، لا أفهم لماذا أنت في عجلة هكذا؟ اهدأ وقل لي ما حدث"، قال "ليس لدي وقت عليَّ أن أذهب الآن"، سكت وهو يحدق فيه ثم وقف أمامه وقال بجدية "ما الذي تذكرته؟! أخبرني، ما خطبك؟"، قال "صدقني يا مدرب أنا أريد إخبارك ولكن لا وقت لهذا، أرجوك، سأشرح لك عندما أعود".

حدق فيه ثم قال "إن كنت لا تريد أن تتحدث فلن أجبرك ولكن قبل أن تذهب، بما أنك استعدت ذاكرتك ما هو اسمك؟"، ابتسم ثم قال "قابلت رجلاً حكيماً مرة قال لي أن الرجال ليسوا بأسمائهم بل بأفعالهم".

ثم سكتا وهما يحدقان في بعضهما ثم عانقه الشاب بقوة وقال "سأعود، لدي شيء يجب عليَّ الاهتمام به"، قال "لا أريدك أن تعود أيها الوغد، تعلم أنني أحب أن أكون وحيداً"، فابتسم وقال "ألم تقل إن الرجال لا تبكي؟"، فتركه ومسح دموعه وقال "دخل شيء في عيني فقط".

وقف الشاب أمام المنزل وقال "أعتذر عن رحيلي بهذا الشكل أنا حقاً لا أجد ما أقو" قاطع المدرب "ليس عليك قول شيء، أفهم أن لديك شيء مهم عليك القيام به، سأنتظر لأسمع تفسيرك عندما تعود".

ابتسم وقال "شكراً لك" ثم استدار وسار حاملاً معه هدفاً جديداً وخريطة إلى جوهرة الصحراء...

لنعد بالزمن قليلاً، بعدما حدث في يوم العهد الأخير استمرت العلاقة التجارية بين المملكتين لكن المواطنين في كلا الجانبين لم يعودوا يرغبون في التعامل مع مواطني المملكة الأخرى.

تم عقد اجتماع آخر من قِبل رئيس وزراء "سيارا" للتصويت مجدداً على قرار الحرب فرفع 14 وزيراً أيديهم فكانت النتيجة التعادل وعندما يكون هناك تعادل في الأصوات يتم تنفيذ قرار الملكة.

قال الرئيس "أعلم أنك تريدين السلام يا "نورا" ومن منا لا يريده لكن لم يعد هذا ممكناً، **افتحي عينيك، كاد الناس أن يموتوا ذلك اليوم، ما الذي تنتظرينه؟**"، قالت بحزم "أنا أرفض الحرب هذا هو قراري".

قال "هل تظنين أنك بطلة بفعلك هذا؟ كل يوم يتأخر فيه هذا القرار تعرضيننا

جميعاً للخطر"، فلم ترد وذهب غاضباً ثم انصرف الوزراء، أمسكت "نورا" رأسها وقالت منزعجة "اللعنة، لماذا يحدث كل هذا؟".

بالنسبة لـ "نوشاي" فقد اجتمع "قاي" بمستشاريه التسعة وهم في الحقيقة عشرة لكن أحدهم ليس حاضراً وقال لهم بغضب "ما الذي حدث؟"، قال أحدهم "بدأ مواطن من "سيارا" الهجوم على مواطن من "نوشاي" فرد عليه وحدث ما حدث"، قال "وما الذي كنتم تفعلونه؟".

قال مستشار آخر "لم يكن هناك شيء لفعله جلالتك، حتى الحراس اشتركوا في القتال"، قال "لا أفهم، هل كانت "نورا" تعلم أن هذا سيحدث؟"، قال مستغرباً "ماذا جلالتك؟"، قال "قبل شهر تقريباً من يوم العهد أرسلت "نورا" لي رسالة تقول إنه يجب أن نلغي احتفال هذه السنة لأن لديها شعوراً سيئاً بشأن ذلك اليوم فقلت لها أن هذا غير ممكن لأن الاحتفال مستمر منذ أكثر من ألف عام كيف نلغيه نحن؟" ثم قال "يبدو أنها كانت مُحقة كالعادة".

قال المستشار "ماذا نفعل الآن؟"، قال "اجمعوا لي الناس أريد أن ألقي كلمة"، اجتمع المواطنون الذين في العاصمة التي تقع في مركز "نوشاي" ثم صعد "قاي" على المنصة وقال "ما الذي حدث؟".

بعد دقيقة من الصمت قال واحد منهم "هم من بدأوا جلالتك".

قال "أعلم أنهم من بدأوا ولكنهم كانوا في أرضنا، كيف نفعل ذلك بهم وهم في أرضنا؟ أين أخلاق وكبرياء "نوشاي"؟ حتى لو كانوا هم من بدأ لقد ظننت أنكم أفضل من هذا، وفوق كل هذا تفعلونه يوم العهد، اليوم الذي تعاهد فيه أجدادنا على عدم القتال مجدداً، في ذلك اليوم رأيت أناساً عشت معهم لزمن طويل بدا وكأني لا أعرفهم، لكن كما تقول "نورا" دائماً "ما حدث قد حدث" لكنني أحذركم أن يحدث شيء كهذا مجدداً، هل كلامي واضح؟".

قالوا بخضوع "نعم جلالتك"، قال "حسناً يمكنكم الذهاب الآن".

ذهب المواطنون الذين اجتمعوا لسماع الخطاب ولكن لاحظ "قاي" أن هناك الكثير من الغائبين وهو لم يعتد على هذا فقال في نفسه "هذا سيء، سيء حقاً، ليتني سمعت كلام "نورا" وألغيت الاحتفال" ثم قال متنهداً "لا فائدة من هذا الكلام الآن" ثم سار متجهاً إلى منزله.

عندما وصل وجد رجلاً ينتظره أمام الباب "خطاب جميل".

قال "قاي" "لماذا لم تحضر اجتماع المستشارين يا "أزيل"؟"، قال مبتسماً "أعتذر جلالتك، كنت مشغول"، سأل مستغرباً "هل أنت دائماً مشغول؟!"، قال بصوت ساخر وأداء مسرحي "أنا أصنع التاريخ أيها الملك، أتمنى أن تتفهم هذا"، ابتسم وقال "حسناً أريد رؤيته عندما تنتهي"، فابتسم وقال "بالطبع"، قال "إذن ... ما رأيك فيما يحدث؟"، قال "رأيي؟! بصراحة إن الأمر مُعقد لكن أعتقد أنك يجب أن تصلح العلاقة بيننا وبينهم قبل أن يتفاقم الوضع"، قال بلهفة "وكيف أفعل هذا؟"، قال وهو يبتسم "لا أدري، أنا لست الملك".

سكت وهو يحدق فيه ثم قال متنهداً "بالطبع، وأنا الذي ظننت أنك ستقول شيئاً مفيداً، حسناً أنا أريد أن أدخل لأرتاح، هل تريد شيئاً؟"، فابتعد وقال "لا، كنت أريد أن أراك فقط"، ظل "قاي" ينظر إليه وهو يبتعد ثم قال "هذا الرجل... أنا لا أفهمه أبداً" ثم دخل بيته لينام.

في الوقت الحاضر عندما وصل الشاب إلى جوهرة الصحراء أخذ نفساً عميقاً وقال "هذا المشهد لا ينسى، يجب أن أسرع، عليَّ البحث عن سفينة تأخذني للجزيرة لكن قبل هذا عليَّ إحضار هدية لأختي".

ذهب إلى السوق ودخل متجر الرجل العجوز وقال مبتسماً "مرحباً يا عم"، نظر إليه العجوز وقال "مرحبـ" ثم دقق النظر فيه فتفاجأ وقال "إنه أنت! أنت الشاب الذي كان مع الطاقم"، قال "نعم، ألم يأتوا بعد؟".

اقترب العجوز ليسلم عليه ثم قال مستغرباً "أليسوا معك؟! إذن كيف أتيت؟ لكن قبل هذا شكراً أنك أنقذت حياتي في تلك المرة، أنا مدين لك بحياتي، كنت أسأل القبطان عنك كثيراً لكنه كان يقول أنك لم تعد تأتي معهم"، قال مبتسماً "كان هذا واجبي يا عم"

ثم سأل "هل تعلم متى سيأتي الطاقم؟"، قال "بعد أسبوع أو بضعة أيام فهم لم يأتوا منذ فترة"، قال "هكذا إذن، حسناً سأنتظر"، قال العجوز وهو يدفعه إلى الخارج "لا، هذا لا يمكن، لقد جئت في أسوء وقت ممكن، يجب أن ترحل"، قال مستغرباً "لماذا؟ لقد وصلت للتو!"، جاء صوت من الخارج يقول "لقد جاءوا"، قال "تباً، اختبئ بسرعة".

جاء "أسباد" وأتباعه وطالبوا بالمال واصطف البائعون ليعطوه لهم.

قال في نفسه وهو ينظر إليه من نافذة المتجر "هذا الرجل مجدداً؟" ثم نظر إلى العجوز الذي بدأ يعد نقوده وسأله "لماذا يأخذ هذا الرجل أموالكم يا عم؟ هل يملك هذا المكان أم ماذا؟"، قال بإحباط "لا، هو يقول ثمن حمايتنا لكنه هو من نحتاج للحماية منه، إنه مجرد سارق"، سكت لبرهة ثم قال "هكذا إذن، انتظر هنا ريثما أهتم بهذا" ثم خرج من المتجر ووقف في الصف.

عندما جاء دوره نظر إلى وجه "أسباد" ثم ابتسم وقال "أعتذر لا أملك مالاً"، قال بغضب "هل تمزح معي؟ ... أنت ... أنا أتذكرك، أنت ذلك الفتى، لم أتوقع أنك ستأتي إلى هنا مجدداً"، قال "لدي شيء أريد قوله لك"، قال "ماذا؟! هل جننت يا فتى؟ لا يهم أنت ميت بالتأكيد"، ابتسم ثم قفز ولكمه لكمة جعلته يُحلق بعيداً ثم تدحرج على الأرض عدة مرات إلى أن استقر في نهاية الطريق.

قال "تماماً ... في نهاية الطريق، كما قُلت سابقاً"، فتح البائعون وأتباع "أسباد" أفواههم من الدهشة ولم يصدقوا ما رأوه.

كيف لرجل بتلك الضخامة أن يطير هكذا؟ أسرع أتباع "أسباد" إليه فوجدوه فاقداً للوعي فلم يدري أي منهم ما يقول فأخذوه وهربوا بعيداً.

عندما أفاق البائعون من الصدمة ووجدوهم يرحلون حقاً نظروا إلى الشاب بدهشة "ما الذي حدث الآن؟!"، "هل هذا حلم؟"، "من هذا الشاب؟"، "هل هزم "أسباد" حقاً؟!".

علت صيحات الفرح وحملوه ورفعوه عالياً وشكروه أنه حررهم منه، بعدها أقام أهل الواحة احتفالاً برحيل "أسباد" دام ليوم كامل.

في المساء بعدما انتهى الاحتفال دعاه الرجل العجوز ليبيت عنده إلى أن يأتي الطاقم فذهب معه وهو يقول مبتهجاً "هؤلاء الناس يعرفون كيف يقيمون حفلاً، لم أستمتع هكذا منذ فترة"، فابتسم وقال "هذا لا يكفي لشكرك، أنت لا تعلم كم كنا نكره "أسباد" ونتمنى أن يضربه أحد كما فعلت" ثم سأل بفضول "ولكن كيف أصبحت بهذه القوة؟"، فابتسم وقال "لأنني قررت أن أصبح كذلك"، قال مستغرباً "هل هذا يكفي؟".

قال "نعم، العائق الذي بيننا وبين أن نصبح أفضل هو الإرادة القوية التي تدعو إلى العمل الجاد وبهذا يمكننا أن نغير كل ما نريد ... في أنفسنا، مع ذلك كثير من الناس لا يُدركون هذه الحقيقة".

سكت العجوز وهو يحدق فيه ثم ابتسم وتابعا السير إلى أن وصلا إلى المنزل، استعد الشاب للنوم بعد أن أخبره العجوز أن ينام في الغرفة التي في الطابق العلوي، قال متثائباً قبل أن يصعد لغرفته "شكراً يا عم، سأذهب لأنام الآن"، ابتسم العجوز وقال "حسناً تصبح على خير"، فابتسم ثم بدأ يصعد السلم.

توقف فجأة ونزل مجدداً وقال "يا عم هل يمكنني سؤالك عن شيء؟"، قال مستغرباً "نعم، اسألني أي شيء"، قال "عندما كُنت هنا المرة السابقة ذكرتَ شيئاً عن "ديبارا" أو شيء كهذا، ما قصتها؟".

ابتسم وقال "تقصد "ديسارا" ... نعم، كان هذا هو اسم "الأنقاض" قبل أكثر من ألف سنة ومعناه في اللغة القديمة "أرض الأحلام" وكان ذلك المكان هو أفضل مكان في العالم وقتها والملك العظيم الذي وحَّد العالم كان من هناك أيضاً".

رفع حاجبيه مندهشاً ثم اقترب منه وسحب كرسياً وجلس وقال متحمساً "يبدو أنني لن أنام الليلة، أخبرني بالمزيد".

نظر إليه العجوز مستغرباً وتذكر عندما سخر منه المرة السابقة عندما تكلم عنها ثم ابتسم وقال "إنها قصة منذ زمن طويل لشاب في نفس عمرك عاش بحلم كبير.....".

بعد أيام وصل الطاقم إلى الواحة واتجهوا للمتجر فاستقبلهم العجوز وقال "أخيراً وصلتم" ثم نادى "أيها الشاب لقد وصلوا"، فنزل مسرعاً وقال بلهفة "أخيراً وصلتم".

تفاجأ القبطان والطاقم وقالوا في صوت واحد "هل مازلت حياً؟!!!"، قال بابتسامة "نعم، هل "إلينار" بخير؟"، قال القبطان بغضب "إن كنت حياً أين كنت؟ لماذا لم تعد إلى السفينة؟"، قال بثقة "لقد ضعت"، قال متعجباً "ضعت؟! إذن ماذا كنت تفعل كل هذا الوقت؟"، قال "ما كل هذه الأسئلة؟! ألستم سعداء بلقائي، إذن كيف حال "إلينار"؟".

قال "وان" بصوته الذي لا يُظهر أي مشاعر "لقد مات"، تغير وجهه ثم قال "كيف؟!"، قال "لست مضطراً لإخبارك"، سكت قليلاً ثم قال بحزن "هكذا إذن"، قال "هل تعمل هنا الآن أم ماذا؟"، قال "لا، سأعود معكم إلى الجزيرة"، قال "لماذا تريد أن تعود؟"، قال "أريد أن أرى أختي وأهتم ببعض الأمور هناك".

قال "ولماذا يجب أن آخذك؟ لقد مات "إلينار" "، قال "لأنه إن لم تأخذني معك سأقتلك هنا والآن"، عم الصمت لعدة ثوان ثم ضحك أفراد الطاقم وقال "وان" "هكذا إذن، يبدو أنك أصبحت رجلاً، حسناً كما تريد".

بعدها وضع أفراد الطاقم البضاعة التي معهم وأعطاهم الرجل العجوز ثمنها مضاعفاً إكراماً لأنهم يعرفون الشاب ثم ذهب كل منهم في طريقه واتفقوا على أن يتقابلوا بعد يوم واحد.

أمضى الشاب هذا اليوم في جمع الأسلحة التي أعطاها له البائعون ولم يأخذوا مقابلها شيئاً، هذه الأسلحة هي عنصر مهم لتحقيق الهدف الجديد الذي عزم على تحقيقه منذ أن استعاد ذاكرته وزاد هذا العزم القصة التي سمعها من العجوز عن كيف كانت الجزيرة من قبل وأرادها أن تعود هكذا مرة أخرى.

بعد يوم غادر الواحة بصحبة الطاقم متوجهين للسفينة التي ستأخذهم للجزيرة التي فيها "الأنقاض"، بعد فترة وصلوا هناك فنزل مُسرعاً وذهب إلى بيت أخته كأول وجهة له.

طرق الباب وانتظر قليلاً، فتحت أخته الباب فابتسم وقال "هل اشتقت إليَّ"، فاندهشت ولم تدر ما تقول ثم عانقته بقوة وهي تبكي فقال لها "أعرف، أعرف، لقد تأخرت لكنني جلبت لك هدية"، ظلت تبكي بشدة فابتسم وقال "آسف ... حقاً آسف".

بعد أن هدأت دعته إلى الداخل فسيدها لم يكن هناك ثم حكى لها ما حدث وقال لها "تخيلي أنني كنت سأنساك يا أختي"، قالت براحة "حمداً لله أنك عدت، كنت بدأت أفقد الأمل"، قال مبتسماً "أخبرني القبطان أنك كنت تسألينه عني كل مرة يعود فيها"، قالت "بالطبع، كنت متأكدة أنك حي لكنني لم أدرى ما أفعل".

ثم قالت "عليَّ أن أشكر ذلك المدرب أيضاً أنه أنقذك"، قال بابتسامة حزينة "نعم ... إنه رجل عظيم، وعدته أنني سأعود"، فأمسكت يده بقوة وقالت "لن تذهب لأي مكان خارج هذه الجزيرة مجدداً أبداً"، قال وهو يبتسم "الشكر لك

يا أختي، أنت كنت السبب وراء استعادتي للذاكرة"، قالت متعجبة "حقاً؟!! كيف هذا؟".

قال "في تلك الليلة، قبل أن أغادر بيت المدرب كنت أتدرب بقسوة فشعرت بالتعب فاستلقيت على ظهري لأستريح ونظرت إلى النجوم فوجدت نجمة تسقط من السماء فلمعت في رأسي صورتك أنت وأخي فأمسكت رأسي وبدأت الذكريات تتدفق دون توقف إلى أن تذكرت كل شيء"، سكتت قليلاً ثم ابتسمت وقالت "تذكرت تلك الليلة إذن؟"، قال "نعم، كان مشهداً لا ينسى"، قالت "حمداً لله أنك استعدتها يا أخي".

بعد دقيقة من الصمت ونظرات الحنين المتبادلة قالت "آنا" مبتهجة "إذن ... ماذا تريد أن تأكل؟ أراهن أنك افتقدت طبخي، أليس كذلك؟"، قال مبتسماً "نعم لقد افتقدته حقاً"، فتفاجأت فهي لم تتوقع هذا الرد فقد كان يقول عن طعامها أنه "سم" قبل أن يذهب في تلك الرحلة لكنها لم تقل شيئاً واكتفت بالابتسام وهي تنظر إليه بفخر وتقول في نفسها "ليس شكله الذي تغير فقط، لقد تغيرت شخصيته أيضاً، تغير أخي، أنا لم أكن أتوقع أن هذا ممكن، شكراً يا إلهي"، فنظر إليها مستغرباً وقال "لماذا تبتسمين؟!"، فوقفت وقالت مبتهجة "لا شيء، أنا سعيدة بعودتك فقط"، ابتسم وقال "وأنا أيضاً".

ذهبت لتعد الطعام ثم قال بصوت حزين "هل التاجر "إلينار" والطبيب "لوشاس" بخير؟"، نظرت إليه لبرهة ثم أعادت النظر إلى الخضراوات التي تقطعها وقالت "ألم ترهما عندما أتيت؟"، قال "لا، أنت أول من ذهبت إليه"، سكتت قليلاً ثم نظرت إليه وقالت مبتسمة "إنهما بخير".

سكت لثانية وهو ينظر إليها ثم ابتسم وقال "هكذا إذن، هذا خبر سعيد".

بعد أن انتهت من إعداد الطعام حكى لها بعض المواقف التي عاشها مع

المدرب مما جعلها تضحك كثيراً وأكل كل طعامها إلى آخر حبة أرز ثم ابتسم وقال "هذا لذيذ حقاً"، قالت مبتهجة "حقاً؟!! هل أعجبك حقاً؟ لقد تحسنت أليس كذلك؟"، قال بابتسامة "لقد تحسنت كثيراً، أنا متفاجئ".

في الواقع هي لم تتحسن أبداً كل ما فعلته هو صنع ذلك "السم"بطريقة مختلفة ولكن طعمه لم يتغير لكنه لن يخبرها بهذا بالطبع فهي تبدو سعيدة.

بعد أن أنتهى من الطعام وأنهى حديثه وقف وقال "الآن وقد اطمأننت عليك يجب أن أذهب"، فسألت مستغربة "إلى أين؟"، قال "إلى ذلك الرجل"، قالت "من؟"، قال متجهاً إلى الباب "سأراك قريباً، وسأمر على الطبيب في طريقي" ثم خرج من المنزل الذي في الجهة الجنوبية واتجه إلى الجهة الغربية.

وهو في الطريق لاحظ شيئاً غريباً وهو أن أفراد عصابة الدماء السوداء أصبحوا يتواجدون بكثرة في الطرقات كأنهم يحرسون شيئاً وهم لم يكونوا يفعلون هذا من قبل وقد انتبه أنه يراهم منذ أن نزل من السفينة التي ترسو في الجهة الجنوبية.

عندما وصل لبيت "لوشاس" وقف أمام المنزل وهو ينظر إلى الباب، فُتح الباب وخرج منه أحد الأشخاص والطبيب يقول له "ولا تُجهد نفسك كثيراً فهذا مهم لتشفى"، مر الرجل بجانب الشاب وهو ينظر إلى "لوشاس" ويبتسم وهو ينظر إليه رافعاً حاجبيه ثم قال الشاب مبتسماً "مرحباً أيها الطبيب"...

بعد نصف ساعة...

قال "لوشاس" "كل هذا قد حدث"، قال "نعم، ولكن لم يكن بهذا السوء، كل ما حدث جعلني أعرف ما أريد وما يجب عليَّ أن أفعل"، قال "وما ذلك؟"، قال "أخبرني أولاً، ماذا حدث لـ "إلينار"؟ وأريد الحقيقة".

قال "سأخبرك فقد حدثت كثير من الأشياء هنا بعد أن رحلت" ثم تابع "بعد أن غادرت في تلك الرحلة بشهر تقريباً خرج "بنداس" وبرفقته كثير من أفراد

الدماء السوداء وكان قد تعافى جيداً من تلك الإصابة التي عالجتها له ولكن وكما يفعل أغلب سكان هذه الجزيرة لم يقابل هذا المعروف بالشكر وأنا لم أكن أنتظر أن يشكرني ولكن على الأقل لا يفعل ما فعل".

قاطع قائلاً "وماذا فعل؟"، قال "خرجت عن الموضوع، أعتذر" ثم قال "كانت هناك عاصفة قوية ذلك اليوم ليست كالعواصف التي اعتدنا عليها، خرج "بنداس" ومن معه واتجهوا إلى السوق وطالبوا بكل ما فيه من أغراض فلم يعطهم أصحاب المتاجر إلا حصتهم التي كانوا يعطونها لهم وهي تكفيهم وتزيد ولكن لم يرضوا بهذا وأرادوا أخذ كل شيء أو تدمير السوق بما فيه، ذهب أحدهم ليخبر "إلينار" بهذا فغضب بشدة وكنت في منزله وقتها ثم خرج من المنزل مُسرعاً وخرجت وراءه واتجهنا إلى السوق، عندما وصلنا وجدنا المتاجر فارغة وأصحابها ملقون على الأرض منهم المقتول ومنهم المصاب فهم لم ينتظرونا حتى لينا قشوا مطالبهم، ركضت إلى واحد منهم وكان يتأوه من الألم فأوقفت نزيفه ثم سألناه عما حدث فقال لقد أخذوا كل شيء ورحلوا، استشاط "إلينار" غضباً وأخذ سيفاً من على الأرض وركض إلى هناك وحاولت أن أوقفه لكنه كان غاضباً جداً ليسمع ما أقول".

قال الشاب عندما أحس أنه لن يكمل "ثم ماذا حدث؟"، قال متنهداً "لا أدري فهو لم يعد وهناك تفسير واحد لهذا"، سكت لبرهة ثم قال "عندما أتيت إلى هنا رأيت الكثير منهم في الطريق، ما سبب هذا؟"، قال "اليوم التالي لاختفاء "إلينار" جاء "بنداس" مجدداً وقال خطاباً ملخصه أن الجهة الجنوبية أصبحت مِلكهم وأنهم يرحبون بانضمام أفراد جدد لعصابتهم فلم يعارضهم أحد وبعدها بيوم خضعت عصابة الفأس لهم دون قتال وبهذا سيطروا على الجزيرة بأكملها".

قال مستغرباً "لم يعارضهم أحد؟! خضعوا دون قتال؟! هل تمزح؟!"، فرد

بسرعة "تفاجأت من هذا أيضاً ولكن هذا ما حدث، أظن أن الناس فقدوا روحهم القتالية بعدما حدث في السوق".

سكت لبرهة ثم قال بحزن "هكذا إذن".

قال "لوشاس" "لا أظن أن كل ما يحدث مصادفة، قبل أن ترحل بعدة أيام افتعلوا حرباً في الجهة الشمالية وضمُّوها إليهم وجندوا رجالهم واستمتعوا بنسائهم وبعدها فعلوا هذا هنا أيضاً لتكون الجزيرة تحت سيطرتهم بالكامل، أنا أراها كخطة أكثر منها أعمالاً غير عقلانية".

فكر الشاب قليلاً ثم قال "إذن كانت خطتهم الاستيلاء على الجزيرة منذ البداية؟"، قال "نعم، فأفعالهم تدل على هذا" ثم قال "ليس هذا فقط، عندما ألقى "بنداس" خطابه قال أشياءاً مجنونة كتدريب جيش من القتلة لغزو العالم وأنه يريد اجتياح المملكتين بهذا الجيش وأشياء أخرى في غاية الجنون"، قال متعجباً "اجتياح المملكتين بجيش من القتلة؟!"، قال "لا تسألني، لا أعلم كيف يفكر الناس هنا"، سكت قليلاً ثم أخذ نفساً عميقاً وقال "كل هذا حدث في غيابي ... وأنا الذي كنت أظن أن الوضع سيء بما يكفي من قبل".

قال "لوشاس" واضعاً يده على جبهته "هذا المكان ميؤوس منه، عندما كُنت في "سيارا" كانت أحلامي لا حد لها والآن كل ما أتمناه هو أن أموت في سلام"، نظر إليه الشاب ثم ابتسم وقال "لا تقل هذا أيها الطبيب كنت دائماً من يعطينا الأمل، لا تفقده الآن".

نظر إليه متعجباً وقال في نفسه "لأي مدى يمكن أنه تغير؟!" ثم قال "الشخص الذي أراه أمامي الآن ليس نفس الشخص الذي كنت أعرفه، ليس شكلك فقط، طريقة كلامك، شخصيتك، كأنك شخص آخر".

ابتسم وأمسك القلادة وقال "كان لك فضل كبير في هذا"، قال مستغرباً "أنا؟!"، قال "كل ما كنت تقوله لنا ونحن صغار ... مع أنني كنت أتظاهر بأني غير مهتم إلا أن كلامك كان مُلهماً لي ودافعاً قوياً لتلك الإرادة التي تملكتني بالكامل... أنني يجب أن أتغير".

حدق فيه ودون أن يلحظ فاضت الدموع من عينيه فمسحها بسرعة ثم قال "آسف، كان هذا مؤثراً قليلاً"، ابتسم وقال "شكراً لك أيها الطبيب" ثم وقف وقال "سأذهب الآن"، قال "بهذه السرعة؟ أين ستذهب؟"، قال "سأصلح هذا المكان أيها الطبيب، هذا ما عزمت على أن أفعله" ثم سار ناحية الباب، تعجب ثم قال "انتظر، تُصلح هذا المكان؟!! ماذا تقصد؟".

قال وهو يفتح الباب "سأصلحه أو على الأقل ... أموت وأنا أحاول"، وقف وقال "انتظر، انتظر، ماذا تريد أن تفعل؟ أخبرني"، قال وهو يخرج "سترى بنفسك"، حدق فيه لبرهة ثم اقترب منه وقال "لا أدري فيما تفكر ولكن قبل أن تذهب يجب أن تعلم هذا".

"بعد أن عادت السفينة بدونك غضب "إلينار" وأمرهم بالرجوع والبحث عنك ولكنهم رفضوا فأصر على هذا حتى جعلهم يعودون من أجلك وعندما عادوا من رحلة البحث عنك وقالوا إنهم لم يجدوك كان الحزن واضحاً على وجهه ... كان ذلك الرجل يحبك بطريقة غريبة".

سكت قليلاً ثم قال "شكراً أنك أخبرتني بهذا" ثم ابتسم وقال "هل يمكنك أن تدعني أذهب أم ستقول شيئاً آخر؟"، حدق فيه قليلاً ثم قال "أختك لن تحتمل إن حدث لك شيء آخر"، قال وهو يبتعد "أنا لا أخطط لأموت، إن كنت تريد أن ترى شيئاً ممتعاً فاذهب للسوق بعد قليل سأراك هناك" ثم سار مبتعداً.

اتجه إلى الجهة الغربية ومشى بين الأشجار وهو يتذكر طفولته التي كانت

أغلبها هنا ثم تذكر أخاه الذي كان ضحية لهذا المكان وظهرت ملامح الغضب على وجهه ثم أخذ نفساً عميقاً وقال "تذكر ما تعلمت، أنا لا أقاتل لأنتقم بل لأحرر" ثم ذهب إلى المنزل الذي يقصده.

عندما وصل طرق الباب ثم انتظر قليلاً، فُتح الباب فجأة وخرج منه سهم متجه لرأسه فتفاجأ ولكن ردة فعله كانت سريعة فأمسك به ورماه على الأرض.

"أوه، أمسكت بالسهم، لم أتوقع هذا، من أنت؟".

قال الشاب متعجباً "كان هذا وشيكاً، هل كنت تحاول قتلي أم ماذا؟!"، فابتسم وقال "نعم، من أنت؟"، قال "كان يمكن أن تسألني عن هذا أولاً ثم تقرر إن كنت سترمي السهم أم لا" ثم قال "ألا تتذكرني؟! أتيت لأزورك مع التاجر "إلينار" من قبل"، قال "إلينار؟! ... نعم، نعم، أنت ذلك الفتى الجبان الذي كان معه، أنا أتذكرك، لكن ما كل هذه العضلات؟! لم أتعرف عليك في البداية".

قال مبتسماً "نعم "ذلك الفتى الجبان" هذا أنا، إنه شرف كبير لي أن الأسطورة "راي" بنفسه مازال يتذكرني"، ابتسم وقال "الأسطورة؟! لا تستخدم مثل هذا الاسم يا فتى"، قال "هل يمكنني أن أدخل؟ أريد أن أناقش معك شيئاً"، نظر إليه مستغرباً ثم قال "حسناً، أدخل إن كنت تجرؤ"، قال "شكراً" ثم دخل من الباب وقبل أن تمس قدمه أرضية المنزل أحسَّ بسكين قادمة في اتجاهه فتفاداها بصعوبة ثم أخذ خطوتين للوراء وقال بغضب "هل ستستمر في فعل هذا؟! ما هي مشكلتك؟! كنت ستقتلني حقاً هذه المرة".

تعجب وقال "كان من المفترض أن تموت هذه المرة، هذا غريب"، قال "هل يمكنك أن تجلس وتستمع لما أريد قوله ثم يمكننا أن نتقاتل بعدها"، اقترب منه وقال "لم يكلمني أحد بهذه الطريقة من قبل عدى "إلينار" وأنا من كنت أسمح له بأن يفعل هذا"، قال "لقد مات "إلينار"".

نظر إليه "راي" نظرة مخيفة ثم قال "مات؟! كيف؟!"، قال "أنت لا تعلم؟"، فأمسك به بقوة وقال بغضب "أنا لا أخرج من المنزل اللعين، كيف مات؟!"، قال "قتلته الدماء السوداء"، فنظر إليه مُنكراً ثم نظر إلى الأرض وقال "اللعنة" ثم تركه بغضب وذهب واستلقى على سريره وأخذ زجاجة النبيذ التي بجانبه وبدأ يشرب.

ألقى الشاب نظرة حوله فمنظر رؤوس الحيوانات المفترسة المُعلقة على الجدار يجذب النظر، هناك الأسود والدببة والفهود والذئاب وحيوانات أخرى لم يكن متأكداً من هويتها فسأل نفسه "هل اصطاد كل هذا؟! يا له من رجل مخيف" ثم نظر إليه وقال "لكن مهما نظرت إليه هو لا يبدو كذلك" ثم جلس على كرسي بجانبه وقال "حكى لي "إلينار" عن سبب انعزالك هنا وحدك ولكن لم يخبرني بالعلاقة التي تربطه بك".

لم يردَّ "راي" فأكمل الشاب "لولا ذلك الرجل لكنت ميتاً منذ زمن بعيد، لم أستطع أن أشكره على كل الأشياء التي فعلها لي، هل تعلم لماذا؟"، فأدار وجهه للحائط وقال "لأنك أحمق".

قال بجدية "لأنه ميت الآن، لهذا لن أستطيع أن أشكره مهما تمنيتُ أن أفعل" ثم قال بحزم "لكن مازالت هناك طريقة لشكره وهي بإصلاح المكان الذي قتله وقتل الكثير من الناس الجيدين قبله".

التفت "راي" إليه وأعطاه نظرة ساخرة ثم عاد إلى وضعه وقال "لست في مزاج لأضحك"، فقال بصوت مرتفع "أنا لست أمزح"، فلم يرد فأخذ نفساً عميقاً وقال في نفسه "اهدأ"

ثم قال "خسرت شخصاً مهماً أيضاً أليس كذلك؟"، قفز "راي" من على السرير ووضع سكيناً على رقبته وقال "تركتك تتكلم لأنك من طرف "إلينار" ولكن إن قلت كلمة أخرى فأقسم أنني سأقتلك".

حدق فيه لثانية ثم أمسك بالسكين بقوة مما جعل يده تقطر دماً ثم قال "لست خائفاً من الموت، أن أموت هنا والآن أفضل من أن أعيش وأرى هذا المكان بهذا الشكل".

بعد تبادل للنظرات الحادة ترك "راي" السكين ثم جلس على السرير وقال "لم أقابل شخصاً مثلك منذ زمن، شجاعتك تستحق الاحترام، لكن هل تظن حقاً أنه يمكنك إصلاح هذا المكان؟"، قال بثقة "نعم".

قال "كيف؟"، قال "بمساعدتك"، سكت لبرهة ثم قال "مساعدتي أنا؟!"، قال "نعم، لهذا جئت إليك لأطلب مساعدتك في تحرير هذه الجزيرة"، قال "تحررها ممن؟".

قال "أليس هذا واضحاً؟! أولئك الأوغاد بالطبع، لو اختفت الدماء السوداء من هذه الجزيرة سنكون قد حررناها ثم نبدأ في إصلاحها"، قال "أنت لم تقل شيئاً جديداً، الجميع يريدون موتهم"، قال "الإرادة لا تكفي، علينا أن نتحرك، علينا أن نقاتل"، قال "لا يمكنك الفوز ضد هؤلاء الأشخاص"، قال "أعلم، لهذا أتيت إليك وإن اتحد سكان الجزيرة ووقفنا جميعاً ضدهم سننتصر بالتأكيد"، حدق فيه "راي" لفترة فقال الشاب "ماذا؟! ألن تقول شيئاً؟".

تنهد وقال "هل تعيش في هذه الجزيرة يا فتى؟ ما قلته قبل قليل يدل على أنك لست كذلك، هؤلاء الناس يستحيل أن يتحدوا ليقاتلوا في صف واحد، هذا مـ سـ تـ حـ يـ ل".

قال بغضب "لماذا ترفض أي فكرة للتغيير؟! ماهي مشكلتك؟؟".

فقد "راي" هدوءه ورفع نبرة صوته وقال "مشكلتي أنا؟!!! أنا لست المشكلة يا فتى إنه العالم، العالم هو المشكلة، هل فهمت؟ أنت تعيش في عالم من الخيال تعتقد أنه يمكنك أن تلعب فيه دور البطل ثم تحصل على نهاية سعيدة، حسناً

دعني أقول لك شيئاً هذا العالم غير موجود، عالم الأحلام الذي تعيش فيه هو وهم ليس إلا، لا يوجد في هذا العالم إلا الألم والمعاناة وإن تمسَّكت بأي حلم سوف يحطمه، هذا هو الواقع يا فتى، هذا هو الواقع، لهذا أنصحك أن تفيق من أحلامك وتفتح عينيك" ثم وضع يده على وجهه وبدأ يهدأ نفسه.

قال واضعاً يده على كتفه "أعطني فرصة لأثبت أنك مخطئ"، قال "انتهت هذه المحادثة فالتخرج من هنا"، قال "لا، لن أخرج إلا برفقتك، أرجوك أمنحني فرصة واحدة فقط لأثبت لك أنك مخطئ"، سكت وهو يحدق فيه ثم قال "ماذا إن كنت أنت المخطئ؟ ماذا ستفعل؟".

قال "سأجعلك تتزوج أختي، طبخها سينسيك آلام الحياة لأنك لن تفكر إلا في ألم معدتك"، سكت وهو يحدق فيه مستغرباً فقال "أنا جاد، أكلت طعامها قبل قليل وأشعر أن حرباً اشتعلت داخلي".

ظل "راي" يحدق فيه لفترة ثم بدأ يضحك بهدوء وقال "من الأفضل ألا تكون مخطئاً إذن" ثم استمر في الضحك، ابتسم وهو يقول في نفسه "اللعنة، أشعر أن معدتي ستنفجر، هذه آخر مرة في حياتي أفقد عقلي وأتناول طعامها".

قال "راي" "لكنني أقسمت أنني لن أغادر هذ المنزل إلا جثة بدون روح"، قال وهو يمسك معدته من الألم "يمكنك أن تفعل هذا بعد أن نصلح هذا المكان"، فابتسم وقال "حسناً سأرافقك في طريقك المجنون ولنرى نهايته"، ابتسم ثم قال متألماً "بطني تؤلمني بشدة، ماذا أفعل؟"، فأشار "راي" إلى المرحاض.

بعد ساعة خرج وهو يمسك معدته فابتسم "راي" وقال "أخيراً"، فنظر إليه وقال مندهشاً "من أنت؟"، قال "ما رأيك؟! هذه أول مرة أرتدي هذا الذي"، ابتسم وقال "إنه رائع ولكننا نعد للحرب لا لوليمة"، فابتسم وقال "لهذا ارتديته، أريد أن أموت في هذا اللباس فهو من شخص ... عزيز عليَّ"، ابتسم وقال "حسناً، لنذهب"، أمسك "راي" وشاحاً ولفه حول رأسه فسأل الشاب "لماذا الوشاح؟".

قال "ليس من شأنك" ثم خرج من المنزل فلحق به دون أن يتكلم.

ذهبا إلى السوق الذي في الجهة الجنوبية وصعد الشاب فوق أحد المتاجر وصعد "راي" وراءه ثم قال "ماذا تفعل؟"، قال "شاهد وتعلم" ثم نادى "أيها الناس أعيروني انتباهكم"، فنظروا إليه مستغربين فقال بصوت مرتفع "من الآن فصاعداً سيكون هناك قانون في هذا المكان، من يسرق سيعاقب، من يقتل سيقتل، من يفعل أي شيء سيء سيأخذ جزاءه".

عم الصمت ..... ثم ضحكوا جميعاً.

قال أحدهم وهو يضحك "أيها الفتى، هل شربت أكثر من اللازم أم ماذا؟"، وقال آخر "انزل من هناك بسرعة وإلا ستتسبب في مقتلك" واستمروا في الضحك.

نظر إليهم مستغرباً ثم نظر إلى "راي" فوجده يضحك أيضاً فقال "لماذا تضحك؟!!!"، قال "هل هذه خطتك؟! إنها أغبى مما تخيلت"، قال منزعجاً "أنت لا تساعد، هل يمكنك أن تفعل شيئاً أفضل؟".

قال بهدوء "نعم، شاهد وتعلم" ثم أزال الوشاح الذي على وجهه وتقدم إلى الحافة ثم نادى "يا أهل الأنقاض".

فنظروا جميعاً إلى هذا الصوت المخيف الذي هز المكان كله، لقد كان عالياً للغاية، وبعد تحديق سريع في ذلك الرجل الصاخب قال أحدهم "هل يعقل؟! أليس هذا هو الوحش "راي"؟!!"، وقال آخر "بلا شك، هذا الرجل هو الشيطان "راي"، هذا الوجه لا ينسى"، وقال أحد الأطفال "ماذا؟!!! الأسطورة "راي" حقيقة" ونظر الجميع إليهما.

ابتسم "راي" ونظر إلى الشاب وقال "هذه فرصتك لا تضيعها"، فابتسم ثم أخذ نفساً عميقاً وقال في نفسه "أقصر طريق هو الطريق المستقيم، سأصارحهم بالحقيقة، حسناً"

ثم قال بصوت مرتفع "ألم تملوا أيها الناس من عيشة الحيوانات هذه؟ القوي يقتل الضعيف، الجميع يسرق من الآخر، لا يوجد أمن ولا عدل، هل هذه حياة يمكن أن يعيشها إنسان؟ هل هذه هي الحياة التي تريدون أن تعيشوها ويعيشها أطفالكم؟ وأنا أعلم أن معظمكم ليس لديه أطفال ولا عائلة لأنه يخاف أن يقتلوا في أي لحظة، أي عيشة هذه؟

إلى متى سنظل نعيش هكذا؟ نحن نلقي اللوم على المملكتين لأنهم تخلوا عنا لكن نحن من يفعل هذا بأنفسنا، نحن من نقرر أي نوع من الأشخاص نكون، ليس لأنهم ينظرون إلينا أننا مجرمين فيكون مصيرنا أن نكون كذلك، نحن من يقرر كيف يكون مصيرنا، يمكننا تغيير مصيرنا فقط إن أردنا هذا، يمكننا أن نكون ما نريد، يمكننا أن نتغير لتتغير حياتنا".

"**إذن يا قوم أنا أسألكم بضمائركم، هل نريد أن نتغير؟!!!**"

عم الصمت المكان.

"من هذا الفتى؟". "ما الذي يقوله؟". "هل يعرف "راي" هذا الشخص؟". "هل هذا الفتى يعيش هنا؟". "نتغير؟ هل هو يمزح؟!". "هل جُن هذا الشخص؟! ألا يعرف أن الدماء السوداء هنا؟". "ما الذي يحدث؟".

"ماذا...". "أين...". "متى...". "كيف...".

قطع كل هذه الأفكار تحرك رجل أثرت فيه هذه الكلمات فرفع أحد الواقفين يده ثم قال وهو يبكي "نعم أنا أريد أن أتغير، أنا أكره الطريقة التي نعيش بها"، فنظروا جميعاً إليه وتعجبوا منه ولكن قطعت دهشتهم فتاة أخرى تقول والدموع في عينيها "وأنا أيضاً"، ثم رفع آخر يده وقال "وأنا أيضاً" ثم رفع آخر وآخر وآخر حتى رفع الجميع أيديهم.

نظر "راي" إليهم بدهشة وقال متعجباً "هل نجح هذا حقاً؟!"، ابتسم الشاب وقال ببهجة "شكراً لكم جميعاً، الآن يمكننا أن نتغير بحق".

بعد أن رأى أفراد عصابة الدماء السوداء هذا المشهد بدأوا بالتحرك وانطلقوا بسرعة نحو "راي" والشاب.

ابتسم "راي" وقال "ها قد أتوا، أحذرك أن تموت بعدما فعلت"، فابتسم وقال "لا تقلق، ليفوز من يقتل أكبر عدد منهم"...

من يقول إن الناس لا يمكن أن تتغير فهو مخطئ، فرغبة التغيير موجودة في كل فرد ولكن ليس الكل شجاع بما يكفي ليعترف بهذا، كل ما نحتاجه هي إرادة نابعة من القلب وبعض العمل وسنغير كل شيء في حياتنا لأنه ليس هناك عائق يمنعنا من أن نتغير إلا أنفسنا مهما قلنا عكس هذا، وإن غيرنا ما بأنفسنا فسيتغير كل ما يحيط بنا...

بعد أن انتهى الاثنان من أفراد العصابة تقاتلا على الفائز والنتيجة كانت التعادل ولكن هذا ليس مهماً فمازال أمامهم عدو أكبر ليواجهوه...

الفصل الخامس

(يوم العهد الأخير)

يوم "العهد" الـ 1020

قررت المملكتان وللمرة الأولى عدم إقامة احتفال مُشترك وكل يحتفل في مملكته إلى أن تهدأ الأوضاع وفي المقابل قامت "نورا" بدعوة "قاي" وبعض مستشاريه - من ضمنهم "إزيل" - إلى "سيارا" للغداء.

هذه هي المرة الأولى التي يذهب فيها "قاي" إلى "سيارا" فهو كان يكتفي بحضور المهرجان في مملكته لأنه يحب مملكته كثيراً ويرفض أي دعوة لمغادرتها لكن ليس هذه المرة فالوضع لا يحتمل.

ركب "قاي" ومستشاريه العربة الفخمة التي جاءت لتأخذهم للقصر وسارت خلفها عربات أخرى كموكب للملك وحماية له، في طريقهم إلى القصر كان سكان "سيارا" ينظرون إلى عربتهم نظرات غاضبة كأنهم يريدون إحراقها ويرمونها بمختلف الأشياء لكن "قاي" لم يهتم لهذا فقد كان مُنشغلاً بالنظر حوله مذهولاً بما يشاهد، ما شاهده من عجائب جعله لا يجد ما يقول ليعبر عن دهشته ودهشته

كانت لا توصف عندما رأى القصر الملكي الذي صنع من الذهب وهو يعكس أشعة الشمس مما يجعله يشع نوراً ليكون دليلاً على عظمة مملكة الشمس.

دخل القصر الذي هو من الداخل أجمل من الخارج ثم استقبلته "نورا" قائلة "أخيراً وبعد طول انتظار الملك "قاي" شخصياً يُلبي الدعوة ويأتي ليزورني، لابد أن يسجل هذا اليوم في التاريخ"، قال ببهجة "أهلاً يا "نورا"، هذا المكان مذهل حقاً، كيف فعلتم شيئاً كهذا؟! سحر أم ماذا؟ "سيارا" كلها تجعلني أظن أنني أحلم، حتى إن أحلامي لا تكون هكذا".

ابتسمت وقالت "نعم، أنت مُحق إنه سحر، العلم ساحر يا قاي"، قال "حقاً؟! يبدو أنه ليس مملاً بعد كل شيء".

ذهبوا لقاعة الطعام لتناول الغداء ثم جلسوا وبدأوا يأكلون ويتحدثون عن الوضع الذي تمر به المملكتين.

بعد فترة قصيرة قاطعهم "إزيل" قائلاً "ما رأيكم في توحيد المملكتين؟"، سكتوا جميعاً ونظروا إليه وقال "قاي" "هل استيقظت؟"، فتابع "منذ أن سألني ملك "نوشاي" عن كيفية إصلاح الأوضاع وأنا أفكر ثم خطرت ببالي هذه الفكرة".

تذكرت "نورا" كلام عمها وقالت في نفسها "لماذا يتحدث الجميع عن توحيد المملكتين؟!" ثم قالت "هل تظن حقاً أنه يمكنك توحيد المملكتين في هذه الظروف؟"، قال "نعم، أرى أنه أفضل وقت لفعل هذا"، قال "قاي" منزعجاً "ماذا تريد أن تقول يا "إزيل"؟ توقف عن الكلام بغموض هذا ليس رائعاً".

قال "قبل أن يحدث كل هذا كانت المملكتان تعيشان في سلام جميل لا يريد أحد تغييره لهذا كان من غير الممكن أن تقول شيئاً كهذا، لكن هذا السلام قد انتهى الآن مما جعل خيار التغيير متاحاً لحل المشكلة، لهذا فهذا هو أفضل وقت لاتخاذ هذه الخطوة".

فكر الجميع قليلاً فيما قال ثم قالت "نورا" "في البداية السلام لم ينتهي نحن نمر بأزمة فقط وهذا يحدث في كل الأزمنة لكن لنفترض أن ما تقوله صحيح، كيف تخطط لتوحيد المملكتين؟"، قال "فتح الأبواب، جعل الملابس موحدة، وجعل المواطنون يختلطون والثقافات تتحد".

قالت "حتى لو فعلنا هذا، هل تظن أن طريقة التفكير هي نفسها؟"، قال "هذه مشكلة ستحل مع الوقت"، قالت "نعم لكن ليس في هذا الوقت، شعب "سيارا" و "نوشاي" ليسا مستعدين للعيش سوياً بعد".

قال "حسناً، لا يجب أن نفعل هذا كله في نفس الوقت، على الأقل يمكننا أن نبدأ بفتح الأبواب وعدم إغلاقها مجدداً"، قالت "لا، لو فعلنا هذا وحدثت مشكلة فلن نقدر على احتوائها هذه المرة"، سكت قليلاً ثم قال "حسناً، لدي اقتراح لإعادة الثقة بين المملكتين"، قالت بفضول "وما ذلك؟"، قال مبتسماً "تتزوجين قاي".

نظر "قاي" و "نورا" إلى بعضهما ثم أبعدا نظريهما بسرعة وقال "قاي" "حسناً، حسناً، لتتوقف هنا، أعتذر يا "نورا" فهذا الرجل لا يفكر فيما يقول" ثم قال لـ "إزيل" "لا تجعلني أندم أنني أحضرتك".

قال "إزيل" وهو يضحك "لقد كنت أمزح، انظر كيف أحمر وجهيكما هذا مضحك حقاً"، قالت "نورا" بقليل من الغضب "هذا ليس مضحكاً لقد كنت أتكلم معك بجدية"، فقال "قاي" "أعتذر يا "نورا" فتلك طبيعته" ثم قال "توقف عن هذا أنت تحرجني".

وقف "إزيل" وقال "أعتذر جلالتك، يمكنك الاستمرار في النقاش وأنا سأذهب"، قال مستغرباً "تذهب؟!! هل تظن أنك في منزلك؟"، قال موجاً كلامه لـ "نورا" "عذراً يا ملكة "سيارا" لكن هل يمكنني الذهاب؟ أريد أن أرى مكتبة "سيارا" العظيمة".

سكتت لبرهة ثم نظرت إلى "قاي" وقالت متعجبة "المكتبة؟! هل يقرأ شعبك يا "قاي"؟"، قال متنهداً "لا، هو الوحيد في "نوشاي" الذي يقرأ الكتب بكثرة"، قالت بدهشة "حقاً! هذا رائع" ثم قالت لـ "إزيل" "نعم لا مشكلة لكن غير ملابسك وارتدي ملابس "سيارا" لا أريد أي مشكلات، وخذ معك أحد الخدم ليريك الطريق"، قال "لا، أريد أن أسير وحدي"، فسألت "وكيف ستعرف الطريق؟".

قال "إزيل" "في هذه الحياة لا تسألي هذا السؤال أبداً، ليس عليك أن تعرف الطريق، إن سرت بما يكفي ... هو من سيعرفك"، لم ترد "نورا" وابتسم "قاي" ثم قال "إزيل" مبتسماً "سأغير ملابسي كما تريدين يا مولاتي وشكراً" ثم ذهب.

بعد أن رحل سألت "نورا" "من هذا الرجل؟!"، قال "اسمه "إزيل"... في الحقيقة هذا كل ما أعرفه عنه"، قالت مستغربة "وجعلته مستشاراً؟"، قال "أبي من فعل"، ثم جلست تفكر فقال لها "لا فائدة من التفكير فيه ستصابين بصداع فقط"، فنظرت إليه وقالت "هناك شيء غريب في هذا الرجل، أنا متأكدة"، فضحك وقال "هناك أشياء غريبة فيه".

عندما انتهوا من الغداء قالت "نورا" "هيا يا "قاي" لأريك باقي المكان"، قال "حسناً" ثم أمر مستشاريه أن يجلسوا مع وزراء "سيارا" لمناقشة الوضع وذهب معها.

بعد جولة ممتعة في القصر جلس الاثنان في الحديقة ليشاهدا الغروب، قالت "نورا" مبتهجة "أنا لم أستمتع هكذا منذ فترة" ثم ابتسمت وقالت "إذن أخبرني بصراحة، من الأفضل "سيارا" أم "نوشاي"؟"، قال ""نوشاي" بالطبع"، قالت "حقاً؟! كنت أظن أن الناس في "نوشاي" لا يكذبون"، قال "إنهم كذلك، مملكتك جميلة يا "نورا" ولكنها تفتقد شيئاً لا يمكن صنعه أو شراؤه"، سكتت لبرهة ثم قالت "وما هو؟".

قال "الروح"، نظرت إليه مستغربة ثم قالت "ماذا تعني؟"، قال "لن تفهمي

هذا إلا إن عشت هناك"، فابتسمت وقالت "أنت تختلق أموراً فقط"، فابتسم وقال "لا، صدقيني إنه شيء لا يمكنني أن أشرحه"، سكتت لبرهة ثم قالت "بالحديث عن "الروح"، ماذا تعرف عنها؟".

قال "ليس كثيراً، أعتقد أنها الجانب الآخر من هويتنا".

ابتسمت وقالت "هذا عميق"، قال "هيا، قولي ما لديك أعلم أنك تريدين هذا"، فابتسمت وقالت "كلما سبحت أعمق في بحر المعرفة كلما تأكدت أنه لا ينتهي، عندما أقترب من أن ألمس القاع يبتعد عني أكثر، هذا الكون، هذا العالم، لا أجد كلمات لوصف روعته، في الماضي كنت مادية للغاية كنت أظن أن كل شيء يمكن قياسه وملاحظته وإلا فهو غير موجود، كنت مخطئة، كنت جاهلة، هناك أشياء في هذا العالم لا يمكننا إدراكها لكنها موجودة، والاعتراف بعدم الإدراك إدراك أن هناك أشياء لا يمكنك إدراكها".

قال "قاي" حائراً "ما الذي قلتيه الآن؟!"، فابتسمت وقالت "لا يمكنني إخبارك عن الروح إلا شيئاً واحداً، إنها موجودة"، قال مبتسماً "كان يمكنك قول هذا من البداية"، فابتسمت وظلا يشاهدان الغروب.

بعد قليل وقف "قاي" وقال "لقد غربت الشمس يجب أن نغادر الآن"، قالت متعجبة "تغادر؟! هل تمزح؟ لقد أتيت للتو"، قال "للتو؟! نحن هنا منذ ساعات"، قالت "هيا، إنها أول مرة تأتي فيها، لا يمكنك أن تغادر بهذه السرعة"، قال "لا يمكنني أن أترك شعبي أكثر من هذا".

قالت متنهدة "أنت لا تتغير أبداً، انتظر قليلاً هناك شيء أريدك أن تراه"، سأل "ماذا؟"، قالت "اجلس وانتظر"، فجلس وقال "لو كان هذا مقلباً من مقالبك أقسم أنني لن أكلمك مجدداً"، فابتسمت وقالت "لا تقلق، أعدك أنك ستحب هذا".

حل المساء وأضاءت أنوار المباني والأبراج والطرقات، قال "قاي" مندهشاً "لقد

أضاء المكان بالكامل!!" ثم قال مبتسماً "أنتم تسمون أنفسكم مملكة الشمس ولكن يبدو أنكم لستم بحاجة إليها"، فابتسمت وقالت "نحن نخزن طاقة الشمس في الصباح لنستخدمها في المساء".

قال "هكذا إذن" ثم قال منزعجاً "هيا، ما الذي تريدين أن أراه؟"، قالت "انتظر قليلاً في أي لحظة الآن"، قال "لقد أخبرتك أنني" فجأة انطفأت الأضواء وانطلقت شعلة في السماء لترسم وردة زرقاء غاية في النقاء.

تفاجأ "قاي" وقالت "نورا" "بدأ العرض" ثم تتابعت الشعلات حتى امتلأت السماء بالأزهار الملونة في مشهد يخطف الأنفاس.

نظرت "نورا" إلى "قاي" فوجدته ينظر إليهم وعيناه متسعتان من الدهشة فقالت مبتسمة "ما رأيك؟ إنها أحدث اختراعاتي، أعلم أنك تحب الألعاب النارية وعندما علمت أنك قادم قررت أن أفاجئك، أعجبتك؟"، لم يرد عليها ويبدو أنه لم يسمعها فابتسمت وأعادت النظر إلى السماء.

بعد أن انتهى العرض سار الاثنان عائدين إلى القصر، قال "قاي" وهو يسير "كان هذا أجمل شيء شاهدته في حياتي، مازلت لا أصدق أن ما رأيته حقيقة، كيف صنعت هذا؟"، قالت مبتسمة "يسرني أنه أعجبك"، قال بلهفة "عليك أن تصنعي المزيد من هذا، أريد أن أشاهده مجدداً يوم العهد القادم"، قالت "لا بالطبع"، فتوقف عن السير وقال "لماذا؟!!!"، ابتسمت وقالت "سأجعله أفضل بحلول العام القادم"، حدق فيها قليلاً ثم قال "هل تعلمين شيئاً؟ أنت أفضل امرأة في العالم ... بعد أمي بالطبع".

قالت مستغربة "بعد والدتك؟ لا، أراهن أنني الأفضل"، قال "ألم أقل لك أن تكفي عن هذا الغرور؟ أنا أسحب ما قلت"، قالت "تسحب ما قلت؟ إذن لن ترى هذه الألعاب النارية مجدداً"، قال "لا، أي شيء إلا هذا، أنا أسحب ما قلت أنني أسحبه"، فابتسمت ثم تابعا السير.

بعد أن وصلا إلى القصر واجتمع "قاي" بمستشاريه قالت "نورا" "لم يعد "إزيل" ذاك بعد، هل سترحل بدونه؟".

قال متنهداً "كان خطأ أنني أحضرته معي منذ البداية".

بعد فترة جاء "إزيل" فسأله "قاي" "لماذا تأخرت؟"، قال "ماذا أقول؟ "سيارا" مدهشة فأخذت جولة في المكان"، قال "ذكرني ألا آخذك معي إذا أتيت إلى هنا مجدداً"، فابتسم وقال "لا تكن قاسياً جلالتك، لقد استمتعت بالرحلة"، قال "حسناً لنذهب".

رافقتهم "نورا" إلى المخرج وودعت "قاي" وقالت مبتسمة "لقد كان يوماً ممتعاً عدني بزيارة أخرى"، قال مبتهجاً " "سيارا" مكان رائع، أعدك أنني سآتي مجدداً"، قالت بجديه "يجب أن تفعل، تعلم أنك صديقي الوحيد"، نظر إليها رافعاً حاجبيه فقالت "حسناً لقد وصلت العربة"، قال "قاي" مستغرباً وهو يشير إلى عربة أخرى "ألن نركب هذه العربة الرائعة التي أتينا فيها؟!"، قالت "لا، لكنها ستسير وراءكم كموكب لك"، فقال متعجباً "ولماذا لا نركب فيها؟!".

قالت "إنها إجراءات أمنية فقط، أرجوك يا "قاي" افعل ما أقول"، سكت لبرهة ثم قال "هكذا إذن، لا بأس"، نظر "إزيل" إليها وابتسم فنظرت إليه ثم أعادت نظرها لـ "قاي" وقالت "حسناً أراك قريباً أيها الملك".

بعدها ركبوا في العربة ذات الستة عجلات والتي تعمل بالطاقة الشمسية التي تخزنها صباحاً لتستعملها في المساء، قال "قاي" لمستشاره "ساش" وهو أكثر المستشارين ولاءاً للملك وقائد الحرس في المملكة "أريد واحدة من هذه العربات"، ابتسم "ساش" وقال "لا يمكن هذا، هذه العربات تحتاج طرقاً لتسير عليها وليس لدينا طرق ممهدة في "نوشاي" كما تعلم"، قال متنهداً "ولكنها مريحة أكثر من آلات الزراعة".

ابتسم وقال "يبدو أنك أحببت "سيارا" جلالتك"، قال "نعم، هذا المكان مذهل، كل ما رأيته هنا جعلني أحب السحر أقصد العلم".

قال "يمكنني أن أطلب كتباً من "سيارا" إن أردت"، فابتسم وقال "لا، لا تفعل، لم أغير رأي بشأنه، مازال مملاً"، ابتسم "ساش" وقال "حسناً يم" فجأة انفجر صوت قوي خلفهم فتوقفت العربة وخرجوا منها متفاجئين وهم ينظرون إلى ألسنة اللهب التي تتصاعد من العربة الأخرى، قال "قاي" مصدوماً "ماذا حدث؟!!!".

أسرع مواطنو "سيارا" بطفايات الحريق وأطفؤا النيران واستدعوا الحرس وملأ الصغب المكان، نادى سائق عربة "قاي" عليهم وأصر على أن يركبوا ثم أنطلق بهم مسرعاً وعادوا إلى "نوشاي".

في هذا الوقت في الجزيرة...

بعد أن وحَّد الشاب ما تبقى من سكان "الأنقاض" وكسب ثقتهم وتغلب على أفراد الدماء السوداء الذين كانوا يراقبونهم أطلعهم على خطته وهي تحويل الجهة الجنوبية والغربية إلى مصيدة لهم لأنه علم أن التغلب عليهم في القتال المباشر وهم بهذا العدد مستحيل فقرر أن يقلل عددهم وقد نجح في هذا فهذه الخطة جعلته يقضي على عدد كبير منهم.

بعد فترة لاحظ "بنداس" أن أتباعه الذين يذهبون إلى هناك لا يعودون فأعد جيشاً هو قائده وقرر أن يذهب هناك ليفهم ما يجري وكان الشاب قد وضع جواسيساً في كل مكان فعندما بدأ "بنداس" بالتحرك ركض إليه أحدهم وأخبره أنهم في طريقهم إلى هنا.

"حسناً إذن، هل أنتم مستعدون يا إخوتي؟".

فصاح جيش ضخم من خلفه، رجال ونساء وأطفال، الكل قرر أن يقاتل،

ابتسم وقال "لا تخافوا من الموت ولا تتراجعوا مهما حدث، لأنه إما أن نعيش أعزاء أو أن نموت بكبرياء، هل توافقونني؟".

صاح الجيش من جديد وبدأوا بالتحرك...

"هل أنت متأكد من هذا؟".

نظر الشاب إلى "راي" الذي بجانبه ثم ابتسم وقال "نعم لا تقلق"، قال "أعلم أنك قوى ولكن حتى أنا لم أستطع أن أهزم ذلك الرجل، إنه وحش بكل معنى الكلمة"، قال بهدوء "أريدك أن تركز فقط على حماية هؤلاء الناس"، حدق فيه لبرهة ثم قال "هل تعرف شيئاً؟ بدأت أشعر بالرغبة في الحياة قليلاً، هل هذا غريب؟".

نظر إليه متعجباً ثم ابتسم وقال "نحن لسنا ذاهبين لنموت، نحن نفعل كل هذا لنستطيع أن نعيش"، نظر إليه "راي" مستغرباً وقال "أنا لا أصدق أنك نفس الشخص الذي رأيته مع التاجر ذاك اليوم؟ من أنت؟".

" "راي" أنظر أمامك لقد وصلنا".

وقف الجيشان أمام بعضهما وبعد دقيقة من الصمت قال "بنداس" بصوت مرتفع "هل هذا ما تريدونه أيها الناس؟"، قال الشاب بصوت مرتفع "أتحداك لقتال بيني وبينك فقط"، فصاح "هل أنت هو المسؤول عن هذا الجنون؟"، قال "لا، بل أنا الذي سينهيه".

عبس "بنداس" وأخرج سيفه الذي طوله عدة أمتار ثم ركض وركض وراءه أتباعه، فأخرج الشاب سيفه وصاح صيحة المعركة ثم ركض وركض وراءه أهل "الأنقاض"، والتحم الجيشان.

اشتبك "بنداس" مع الشاب وتلاطم الجيشان ببعضهما كأمواج البحر الهائج وبدأت المعركة التي ستحدد مصير الجزيرة...

عاد "قاي" ومستشاريه إلى "نوشاي" وكانوا جميعاً مرتبكين مما حدث، وقف الأربعة أمام البوابة ثم قال "قاي" براحة "كان هذا وشيكاً، لو كانت تلك العربة أقرب قليلاً لكنا أموات".

نظروا إليه مستغربين ثم نظروا إلى "إزيل" نظرة تحمل رسالة فقال "حسناً سأشرح له" ثم قال "كان الانفجار مفتعلاً بالطبع وهدفه أن يقتلنا جميعاً وهذا واضح جداً جلالتك، لولا تصرف ملكة "سيارا" ذاك لكنا جميعاً في عداد الأموات".

حدق "قاي" فيه ثم نظر إلى "ساش" وقال "هل هذا صحيح؟!"، حرك رأسه موافقاً فقال متعجباً "لماذا سيريد أحد تفجير العربة التي كنا فيها؟!!"، قال "ساش" بغضب "لا تسألني بل اسألهم، كانت حياتك في خطر جلالتك، هل دعونا لمملكتهم ليفعلوا ذلك؟ لن يمر هذا بسهولة".

فكر "قاي" قليلاً ثم ابتسم وقال "إذن لقد أنقذت "نورا" حياتي مجدداً، تلك الفتاة مدهشة، لقد توقعت أن هذا سيحدث لهذا لم تجعلني أركب تلك العربة الرائعة"، قال "ساش" بغضب "هذا أمر جاد جلالتك لقد كانت تلك عملية اغتيال لن يمر هذا الأمر".

سكت "قاي" قليلاً ثم قال "لا تخبروا أي شخص بما حدث قبل قليل ولا حتى عائلاتكم"، فنظروا إليه مستغربين وقالوا "ماذا؟!!! لماذا؟!"، قال بجدية "هذا أمر، ما حدث الليلة لم يحدث، هل تفهمونني؟".

قال "ساش" منكراً "مع كل احترامي لكن لا جلالتك، لن أفعل هذا، يجب أن يتم الرد على هذا الإهمال لأنهم عندما يأتون إلى "نوشاي" في كل يوم عهد يكون الأمن على أعلى مستوى وعندما ذهب جلالتك إليهم لمرة واحدة يفعلون هذا؟ لن أسكت على هذا".

عم الصمت لثانية ثم قال "قاي" "ساش، أقدر خوفك عليَّ ولكن منذ متى

وأنت تعصي أوامري؟ ما حدث قد حدث ونحن جميعاً بخير"، سكت وهو ينظر إلى الأرض بغيظ ورغم استيائه الشديد لكنه مواطن من "نوشاي" وهم لا يعصون الملك.

قال "قاي" "سأقولها مجدداً، لا أريد أن يعلم أحد بما حدث الليلة وعندما أعود سأرسل رسالة لـ "نورا" لأطمئنها وأخبرها بألا تنشر الخبر، هل كلامي واضح؟"، لم يرد أحد فأعاد القول "هل كلامي واضح؟"، قالوا "نعم جلالتك".

نظر "قاي" إلى "إزيل" وقال "أنا جاد فيما أقول"، قال "نعم، أرى أن هذا هو الحل الأفضل، لا تقلق لن أخبر أحداً" ثم ابتسم وقال "ليس لدي أحد لإخباره على كل حال" ثم قال وهو يبتعد "سأعود الآن إلى المنزل شكراً على الرحلة"، قال "قاي" "حسناً، أراك لاحقاً".

ذهب "إزيل" وذهب خلفه ذلك المستشار الذي يعيش في ظله ثم قال "هل أنت من فعل ذلك؟"، نظر إليه مستغرباً ثم قال "تقصد الانفجار، لا بالطبع فأعمالي أكثر فناً"، قال "حقاً؟! من فعله إذن؟"، قال "أظنه أحد المواطنين الغاضبين، ليس وكأني لم أتوقع أن تحدث أعمال الشغب لكن تفجير عربة الملك ... شعب "سيارا" عنيف أكثر مما توقعت".

سكت المستشار لبرهة ثم قال "إذن هل فشلت الخطة؟"، قال "عن ماذا تتحدث؟"، قال "رفضت ملكة "سيارا" توحيد المملكتين"، قال "نعم، توقعت هذا"، سأل متعجباً "ماذا؟"، قال "لم تكن "نورا" هي الشخص الذي ذهبت إلى "سيارا" لمقابلته"، فقال بغضب "هلا توقفت عن الكلام بهذه الطريقة، أنت تقتلني".

توقف "إزيل" عن المشي ثم قال "نعم لقد ذكرتني" ثم أخرج سكيناً من جيبه وطعنه عدة طعنات حتى وقع على الأرض ثم مات.

بعدها عاد إلى منزله وقال "بذلك أكون قد أنهيت التحضيرات لآخر خطوة من الخطة" ثم قال مبتهجاً "سيكون هذا ممتعاً"...

لنعد في الزمن قليلاً، عندما غادر "إزيل" القصر الملكي ذهب لمكتبة "سيارا"، تلك المكتبة كبيرة جداً ومبنية بشكل هندسي مذهل وفيها مئات الأقسام المليئة بآلاف الكتب.

ذهب لساحة القراءة تحديداً الطاولة "510" فوجد رجلاً جالساً هناك يقرأ كتاباً ويلبس ملابس تغطي وجهه فجلس بجانبه ثم قال "هذا المكان ضخم حقاً!"، قال بغضب "لقد تأخرت، من تظن نفسك؟".

قال "ليس خطئي، كنت أتكلم مع ملكتك الجميلة، إنها ذكية حقاً"، قال منزعجاً "هكذا يجب أن يكون الملك في "سيارا"، ما الذي تريد أن تتكلم عنه؟"، قال "توحيد المملكتين"، سكت لبرهة ثم قال "وكيف ستفعل هذا؟"، قال "بمساعدتك"، قال بتكبر "وما الذي سيجعلني أساعدك؟"، قال "لأنك تريد هذا أيضاً".

قال بغضب "اشرح خطتك ليس لدي وقت لأضيعه معك"، قال "الخطة بسيطة، كل ما علينا فعله هو أن نُبعد الملكين فهما من يعيقان الخطة"، قال "يعيقان ماذا؟ إنهما الوحيدان اللذان يمنعان المملكتين من الوقوع في حرب".

قال "بالضبط، لهذا يجب أن نُبعدهما"، قال "تكلم بوضوح"، قال "إزيل" "الحل الوحيد لتوحيد المملكتين هو بتمزيقهما إلى أشلاء ثم إعادة جمعهما ليكونا شيئاً واحداً".

قال "إذن أنت تؤيد قرار الحرب"، قال "نعم هذا هو الحل الوحيد لكني أحتاج مساعدتك"، قال "في ماذا؟".

قال "أحضر لي ملكتك وأنا سأحضر ملكي ولنضعهما في مكان لا يعيقاننا فيه"،

قال "أنت تعلم أنه إن وقعت حرب ستُسحق مملكتك، صحيح؟"، قال "لا تستهن بشعب "نوشاي" يا سيادة الرئيس، مع أن رأسهم فارغ إلا أنهم أقوياء حقاً".

سكت قليلاً ثم قال "وماذا ستفعل بالملكين؟"، قال "سأضعهما في مكان بعيد خارج حدود المملكتين، هذه خريطة للمكان" وأعطاه الخريطة.

فكر الرئيس قليلاً ثم قال "هل تضمن لي أن "نورا" ستكون بخير؟"، قال "يمكنك وضع حراس هناك لتتأكد أنها بخير"، وقف رئيس الوزراء ثم قال "أمهلني وقتاً لأفكر"، قال "إزيل" "وكيف سأصل إليك؟".

أخرج جهازاً من جيبه وأعطاه له وقال "سيضيئ هذا إن أنا وافقت".

ابتسم وقال "أريد أن تكون الحرب في يوم العهد سيكون هذا ممتعاً أكثر"، نظر إليه مستغرباً ثم انصرف.

أمسك "إزيل" كتاباً على الطاولة ثم قال "تبقت خطوة واحدة لجعل الحرب متكافئة ولكني سأتركها لها" ثم ابتسم وقال "كل القطع في مكانها، لنبدأ اللعبة"...

الفصل السادس

(اتخاذ القرار)

في "الأنقاض"...

بدأت المعركة واحتدم القتال، الدماء تطاير، والسيوف تتكسر، والنفوس تتقهقر، والدروع تخترق، والرايات تحترق، والملابس تتمزق، والشاب يتألم من الداخل وهو يرى هذه الأشياء ولكنه كان يُبقي تركيزه على الوحش الذي أمامه لأنه لو أبعده عن ناظريه وتركه يقاتل أحداً غيره فعدد الموتى سيتضاعف فهذا الرجل هو أقوى مقاتل في "الأنقاض" وهو يعرف هذا حق المعرفة.

كان يجاري "بنداس" في كل تحركاته ويكاد يكون مساوي له في القوة و"بنداس" كان متفاجئاً من هذا فهو لم يرى مقاتلاً مثله من قبل.

قال "بنداس" وهو يلوح بسيفه العملاق "ليس سيئاً يا فتى"، رد الشاب وهو يصده "لست سيئاً أيضاً"، ثم أخذ الاثنان عدة خطوات للوراء، قال "بنداس" "ما رأيك أن تنضم لي في غزوي للعالم؟"، قال "لا أريد غزو العالم، كل ما أريده أن تختفوا من هنا" ثم ركض نحوه فغرس "بنداس" سيفه في الأرض ثم رفع

يديه مستسلماً فتوقف وسأله مستغرباً "ماذا تفعل؟!!"، قال "أنا أستسلم، أنت قوي حقاً، لا يمكنني أن أفوز"، حدق فيه رافعاً حاجبيه ثم قال "حقاً؟!!! هل ستستسلم حقاً؟".

نظر "بنداس" إليه وابتسم ابتسامة شريرة فأحس بشيء غريب فألقى نظرة خاطفة خلفه فإذا بسيف يتجه لعنقه، كانت أجزاء من الثانية فقط ولكنها كانت في عقله سنوات طويلة أسترجع فيها كل شيء مر به في حياته، عقله يريد أن يتفادى الضربة ولكن الإشارات التي يرسلها لعضلاته لن تصل في الوقت المناسب.

"الناس تقول أن اللحظات التي تسبق الوفاة تكون طويلة ... هل هذا يعني أنني سأموت، لا أريد أن أموت".

فجأة سقط السيف من يد الرجل الذي يرتدي الأسود وسقط هو أيضاً وهو يتألم فنظر إليه متعجباً ثم قال "راي!!!! ... لقد أنقذت حياتي، رأيت الموت أمامي منذ لحظة"، فقال بغضب "ماذا تفعل؟! ركز على قتالك ولا تستمع لما يقول، هل تظن أنه سيقاتل بعدل؟".

قال "نعم، أعتذر، لقد كنت مهملاً" ثم التفت إلى "بنداس" وقال بغضب "أيها الوغد اللعين، كان هذا قذراً"، فنزع سيفه من الأرض وقال "ذلك الوغد راي" ثم نظر إلى الشاب وقال "نحن نتقاتل حتى الموت يا فتى ماذا تريدني أن أفعل؟" ثم عادا للقتال.

"بنداس" ذاك هو أحد أبناء "إلينار"، بعد أن حملت فيه إحدى خادماته أمرها بأن تتخلص منه لأن المزرعة كانت مزدحمة فرفضت هذا لأنه ابنها الأول وهي تريد الاحتفاظ به ولكن "إلينار" لم يأبه لهذا وأصر على أن تتخلص منه، بعد أيام سألها عما فعلت فأخبرته بحزن أنها تخلصت منه ولكنها لم تفعل فقد كان جسدها نحيفاً وفي أول مراحل الحمل فلم يختلف شكلها كثيراً عندما حملت.

عانت تسعة أشهر لإخفائه عن "إلينار" وبعد أن ولد عانت أيضاً لتبقيه حياً وتمنت أنها تخلصت منه منذ البداية فهو يجلب لها الكثير من المشاكل ولم تهتم لأن تسميه أو لم تعرف فهي بدون اسم أيضاً.

عندما بلغ الثلاثين بدأ يمل من الأعمال التي لا تنتهي فهو كان يعمل حطاباً يقوم بتقطيع الأشجار طوال النهار ثم يذهب ليطعم الحيوانات ويهتم بالمزارع في الليل، عمل وعمل دون راحة.

كان لا ينام إلا ساعات قليلة وأحياناً لا ينام فيفقد الوعي من كثرة العمل.

في إحدى الليالي وهو جالس وحده يعمل في المزرعة سأل نفسه "لماذا أفعل ما أفعل؟"، "هل هذه هي الطريقة التي أريد أن أعيش بها؟"، "هل سأعمل هكذا حتى أموت؟".

في اليوم التالي قرر أن يجرب طريقة أخرى ليعيش فاختار حياة الجريمة، ذهب ليسرق من أحد المتاجر ولكنه لم يكن سريعاً بما يكفي فأمسك به صاحب المتجر وأوسعه ضرباً.

تعلم من هذا شيئاً، ليس أن السرقة خطأ أو أن حياة الجريمة مهينة ولكن أنه ليس قوياً بما يكفي ليستطيع الهرب فقرر أن يصبح أقوى.

بعدها أصبح يقوم بعمله بهدف أن يصبح أقوى فأصبح يعمل أضعاف العمل الذي كان يعمله في النهار ويتمرن على القتال بالسيف في الليل.

في أحد الأيام قرر أن يذهب إلى نفس المتجر ليعيد محاولة السرقة، ويالللفرحة، لقد نجح وسرق طعاماً جيداً، ثم ركض إلى المزرعة سعيداً بما فعل وبدأ يأكل من الطعام الذي لم يكن يحصل عليه بعد كل العمل الشاق الذي يعمله والآن يحصل عليه بهذه البساطة.

"لقد كنت محقاً، هذه الطريقة أسهل"، أراد المزيد من القوة ليعيش حياة أسهل،

وهو يفكر كيف يحصل عليها شاهد مجموعة مكونة من ثلاثة ذئاب تقترب من قطيع الثيران الذي يحرسه.

أخرج سيفه ووقف ليدافع عنهم ولكن أوقفه مشهد غريب، في الواقع هو مشهد يراه كثيراً ولكن هذه أول مرة يفكر في هذا "لماذا تركض تلك الثيران من ثلاثة ذئاب فقط؟!".

ظل ينظر إليهم ويفكر ولم ينتبه أن الذئاب قفزت على أحد الثيران وهو يهرب منهم، هز رأسه ليتخلص من أفكاره ثم ذهب ليبعد الذئاب.

بعدما رحلوا ظل يتساءل "لماذا؟! لماذا يهربون منهم؟! الثيران أكبر وأقوى وأكثر عدداً، إذن لماذا يخافون من تلك المخلوقات الصغيرة؟!".

لم يجد إجابة لهذا السؤال ولكن ما كان متأكداً منه هو أن ما رآه أكد له أن القوة الجسدية ليست كل شيء، هناك نوع آخر من القوة، نوع يجعل تلك الثيران الضخمة تهرب من الذئاب التي تعادل أضعاف حجمها.

مرت الأيام وهو يعمل ويسرق ويتسأل عن سبب تصرف تلك الثيران الغريب وقد شاهد هجمة أخرى من قطيع الذئاب وفعلت الثيران نفس الشيء وهو الهرب.

"لماذا يهربون؟!!!! هل هم جبناء؟ لا فالحيوانات لا تعرف تلك الأشياء، إذن لماذا يفعلون هذا؟"، ثم جاءته فكرة ليجيب عن هذا السؤال.

أمسك أحد الذئاب وربط فمه بحبل وربط رجليه ويديه أيضاً ثم غطاه بفراء الثيران ووضعه في الحظيرة ثم أدخل أحد الثيران عليه ووقف ليشاهد ما سيحدث.

ما حدث زاد حيرته أكثر فبعد أن هز الذئب جسده وتخلص من الفراء الذي عليه ورآه الثور بدأ في الصياح وركض إلى الخارج.

"ماذا؟!!! إن الذئب مقيد بالكامل!! هل مازال يخاف منه؟!" ثم جرب مع ثور آخر وكانت النتيجة نفسها فاستنتج من هذا شيئاً وهو أن الثيران ليس لديها سبب لتخاف من الذئاب ولكنها تفعل، وليس هناك تفسير آخر غير هذا ...

"**قوة الخوف**".

"هذه هي، هذا هو التفسير الوحيد، إنهم يخافونهم دون سبب منطقي لأنهم اعتادوا على هذا، اعتادوا أن يخافوهم ولم يعودوا يهتمون للسبب".

فهم ما يجري ووجد الإجابة التي يرى أنها صحيحة وأدرك ما يجب أن يفعل وكيف يمكنه أن يحكم، فقتل وسرق دون سبب إلا ليجعل الناس تخافه وأصبح أسوء من في الجزيرة، فالتف حوله بعض الذباب الذي يلتف حول القمامة وبدأ بتشكيل عصابة أسماها "الدماء السوداء".

عندما علم "راي" الذي كان يطلق عليه "بنداس" وقتها بذلك ذهب ليرى الرجل الذي ينافسه على السلطة فدعاه للانضمام إليه ولكنه رفض وقام بتلقينه درساً وقتل بعض أتباعه فغضب وقتل الفتاة التي كان يحبها "راي" بشدة وكانت بنت "إلينار" التي إعترف أنها ابنته فانفجر "راي" غضباً وذهب لينتقم ولكنه كان قد أعد له فخاً، وبكثير من الغش والخداع هُزم "راي" وذهب لينعزل في منزله وأصبح هو "بنداس" الجديد.

بعد 7 أشهر.....

استيقظ "إزيل" فوجد الجهاز يضيء فابتسم وارتدى ملابسه وخرج، انتشر خبر اختفاء الملكة في "سيارا" وعمت الفوضى وغضب المواطنون وبدأت حملات البحث في كل مكان ولكنهم يشتبهون في مكان واحد، "مملكة "نوشاي" هي الفاعلة".

في تلك الأثناء وقبل أن يصل الخبر إلى "نوشاي" ذهب "إزيل" إلى منزل

"قاي" وطرق عليه الباب ففتح وقال متعجباً "إزيل؟! صباح الخير، ما الذي جاء بك إلى هنا؟"، قال مبتسماً "افتقدتك يا ملكي فأتيت للجلوس معك"، ضحك وقال "يا رجل، أنا لا أفهمك أبداً، فلتدخل"، دخل "إزيل" وذهب "قاي" لإعداد "الماو" (الماو هو مشروب مشهور في "نوشاي" يتم تحضيره من أوراق شجرة الماو) ثم وضعه على الطاولة وقال "هل تدري يا "إزيل"؟ حذرني والدي منك قبل أن يموت لكنني لا أراك شخصاً سيئاً".

ابتسم وقال "أنا شخص سيء حقاً، هذه هي الحقيقة، هل لي بكوب ماء من فضلك؟"، فضحك وقال "نعم سآتي به"، ذهب "قاي" إلى المطبخ ووضع "إزيل" نوعاً من المسحوق في "الماو"، جلس "قاي" وأخذ "الماو" خاصته وشرب منه وقال "جيد أنك أتيت كنت أريد أن أسألك شيئاً" وفجأة سقط على الأرض وفقد الوعي، حمله "إزيل" ثم وضعه في آلة من آلات الزراعة السريعة ثم انطلق.

في هذا الوقت تم عقد اجتماع طارئ في "سيارا" بواسطة رئيس الوزراء ثم قال "أخبرتكم أن هذا سيحدث، من يصوت على قرار الحرب؟"، رفع الجميع أيديهم فقال "لننتقم لملكتنا ولندمر من عادانا"، وبدأت "سيارا" الاستعداد للحرب.

في "نوشاي" عندما لم يروا "قاي" ذهب بعضهم للاطمئنان عليه فلم يجدوه فبحثوا عنه في كل مكان ولكن بدون جدوى فبدأوا يقلقون.

بعد يوم في منزل حديدي صغير بالصحراء هناك فتاة جميلة نائمة على السرير تبكي، هذا المنزل أشبه بسجن والذي بناه هو "إزيل" بمساعدة بعض أعوانه وأخذ وقتاً طويلاً لبنائه وحان الوقت ليستخدمه.

دخل "إزيل" المنزل حاملاً "قاي" ثم رماه على الأرض فرفعت "نورا" رأسها ثم ركضت إليه، قال "إزيل" "مازال حياً"، قالت "**أيها الوحش، أنت من خطط لكل هذا صحيح؟**"، قال بهدوء "تقصدين هذا الفن، نعم إنه أكبر أعمالي"،

قالت "أيها الوغد المجنون، ما الذي ستجنيه من تلك الحرب؟"، قال "هذا العالم، هؤلاء الناس، هل تظنين أنهم يريدون السلام؟ الجميع يريد الحرب يا "نورا" حتى لو قالوا عكس هذا"، قالت "أنت مجنون حقاً!".

ابتسم وقال "تخطيت تلك المرحلة منذ زمن ... وهذا ما أراني الحقيقة" ثم قال "حسناً سأذهب الآن، أريد أن أتأكد أن كل شيء يسير جيداً، هذه الآلة هناك للطعام وتلك للشرب، هذه إضافات عمك، استمتعوا" ثم أقفل الباب وذهب.

ضربت "نورا" الأرض بقوة ثم قالت "ذلك الوغد اللعين، سحقاً، كنت أعلم أنه ليس طبيعياً، كم أنا غبية، كيف تركت هذا يحدث؟"، بعد قليل استيقظ "قاي" وأمسك رأسه وقال "ماذا حدث؟" ثم نظر حوله فوجد "نورا" جالسة مسندة رأسها إلى الحائط فقال "نورا؟! هل هذه أنت؟ أين نحن؟ وكيف أتيت هنا؟"، فنظرت إليه ثم شرحت له الموقف.

قال غير مصدق "ذلك الوغد! عندما اعتقد أنني اقتربت من أن أفهمه يفعل شيئاً كهذا"، قالت "إن لم نفعل شيئاً سنخسر مملكتينا"، قال "هذا لن يحدث" ثم وقف وبدأ بلكم الباب الحديدي.

قالت "ماذا تفعل؟!"، قال "لن أقف وأشاهد، سأخرج من هنا"، قالت "توقف عن هذا أنت تؤذي نفسك يستحيل أن تكسر هذا الباب".

استمر باللكم حتى بدأت يداه تنزف فوقفت أمامه وقالت "أعلم أنك قوي ولكن هذا مستحيل، توقف، ستكسر يديك دون فائدة"، فتوقف ثم قال "هل تريدين أن أجلس وانتظر حتى يقتل شعبي؟".

قالت "لا، اجلس وانتظر حتى نجد حلاً للخروج من هنا" ثم قطعت قطعة من ملابسها ولفتها حول يديه ونظرت حولها وبدأت بالتفكير في طريقة للخروج ثم قالت "يمكن أن ينجح هذا، "قاي" لدي فكرة"...

عندما عاد "إزيل" إلى العاصمة أخبره بعض المواطنين أن المستشارين مجتمعين في منزل "قاي" ليناقشوا أمر اختفائه فذهب إلى هناك، عندما وصل نظروا إليه بغضب ثم قالوا له "أين كنت؟".

قال "كنت أبحث عن الملك، ألم تكونوا تفعلون هذا؟"، قال أحدهم "أعلنت "سيارا" الحرب"، قال "ماذا؟! لماذا؟! ملكنا هو المفقود نحن من يجب أن نعلن الحرب عليهم"، قال آخر "لقد قالوا إن ملكتهم اختفت أيضاً وهم يظنون أننا من فعلها"، قال "ولماذا سنفعل شيئاً كهذا؟ هل هم جادون في هذا؟"، قال "نعم، لا مزاح في الحرب".

قال "هذا غريب، هل حددوا موعداً؟"، قال "نعم، يوم العهد"، قال "إنهم يريدون الحرب في اليوم الذي نجتمع فيه للاحتفال بنهاية الحرب؟! هل جنت مملكة "سيارا" أم ماذا؟"، قال المستشار "ساش" "لماذا تظن أن "سيارا" هي سبب اختفاء الملك؟ رآك أحد المواطنين متجهاً لمنزله قبل اختفائه، هل كنت هنا يا "إزيل"؟".

قال "هل تشك بي الآن؟! هذا قاس" ثم أخرج جهازاً من جيبه ثم قال "وجدت هذا هنا عندما كنت هنا وقتها"، قال أحدهم مستغرباً "وما هذا؟!"، قال "هذا الجهاز يقوم بإرسال موجات فوق صوتية تفقد المحيطين الوعي، كنتم لتعلموا هذا لو كنتم تقرؤون الكتب"، قال بغضب "إذن الملك ليس مفقوداً إنه مختطف"، قال "باستخدام جهاز من "سيارا" لهذا أظن أن "سيارا" هي الفاعلة، سيدي المستشار".

وقف "ساش" بغضب ثم قال "أرسلوا رسالة إلى "سيارا" وأخبروهم أننا ليس لنا علاقة باختفاء ملكتهم وأعلموهم باختفاء ملكنا ... واستعدوا للحرب" ثم انصرف ووقف المستشارون الآخرون وذهبوا أيضاً و"إزيل" واقف يبتسم.

استعدت المملكتان للحرب دون أن يدروا أن كل هذا هو عمل رجل واحد، رجل يريد أن يرى العالم يحترق....

الفصل السابع

(ثمرة التغيير)

اتضح أن "بنداس" كان محقاً في أن الخوف هو ما يعيق تفكيرنا في أن نفعل ما هو صحيح، انتصر الشاب وهزم "بنداس" ورجاله وتحررت "الأنقاض" ولكن لم يحدث هذا دون تضحيات فقد مات الكثير من سكان الجزيرة في سبيل هذا ومات "راي" أيضاً بعد أن طُعن مئة طعنة ورمي بعشرين سهماً وفقد يديه الاثنتين في القتال، إن لم يكن هذا الرجل هناك لم يكن ليأتي هذا النصر مطلقاً.

بدأ الشاب حملة لإصلاح "الأنقاض" التي لم يعد يعبر عنها هذا الاسم فقرر أن يسميها نفس الاسم الذي كان يطلق عليها منذ زمن، الاسم الذي يعبر عن الأمل والأفكار الجميلة، فسماها "ديسارا: أرض الأحلام".

وبعد جهود كبيرة منه وأهل "ديسارا" الجديدة أصبح المكان مختلفاً تماماً عما كان من قبل، نشر القيم والمبادئ بينهم وعلمهم كيف يكونون أناس أفضل، كان سعيداً جداً بهذا وتمنى أن يكون أخوه حياً ليشاركه تلك الفرحة وأخته أصبحت تناديه "القائد" كما كانت تفعل عندما كانت صغيرة وأصبح الناس ينادونه بهذا أيضاً.

الناس هناك تغيروا للأفضل، أصبح هناك قانون ورجال يحمونه، أصبحوا يعاقبون المخطئ ويأخذون حق الضعيف وتحسنت حياتهم وأخلاقهم تحسناً كبيراً، أصبحوا كعائلة واحدة، يحمي بعضهم بعضاً، ويحب بعضهم بعضاً، الجميع أصبحوا متساوين، كل يعمل لمصلحة الآخر، حتى أنهم قاموا بتنظيف البحر المظلم واستيراد الكائنات البحرية من جوهرة الصحراء ووضعوها فيه لتتكاثر وأصبحت الرحلات فيه أكثر أمناً وجمالاً مما جعلهم يتسألون لماذا لم يفعلوا هذا من قبل؟

باختصار تحول ذلك الجحيم إلى جنة.

فقط لأنهم أرادوا هذا.

"المملكتان أعلنتا الحرب" انتشرت الأخبار في جميع أنحاء العالم وأصبح هذا هو حديث كل سكان العالم لأنه لا يهم من سيفوز في تلك الحرب فبعدها لن يعود العالم كما كان.

وفي "ديسارا" عاد الطاقم من رحلة لجوهرة الصحراء وأخبروا الشاب بما سمعوه فقال متعجباً "ماذا؟! هل سيتقاتلون حقاً؟!"، قال "وان" "نعم لكن هذا شأنهم"، قال "هل تظن هذا؟ إن وقعت تلك الحرب ستؤثر على العالم بأكمله"، قال "نعم لكن ماذا يمكننا أن نفعل؟"، سكت قليلاً ثم قال "ألم يكن الملكان صديقين؟ ماذا حدث؟".

قال "يبدو أنهما اختفيا في نفس الوقت والمملكتان تظنان أن المملكة الأخرى هي الفاعلة"، قال "في نفس الوقت؟! هل هذه مصادفة؟".

قال "لا أظن هذا، أنا متأكد أن هناك طرفاً ثالثاً هو من اختطف الملكين وله مصلحة في قيام الحرب"، فكر الشاب قليلاً ثم قال "متى ستكون رحلتكم القادمة؟"، قال القبطان "بعد شهر على الأقل".

قال "حسناً سنرحل بعد أسبوعين"، سكت "وان" قليلاً ثم قال ساخراً "هل

تخطط لإيقاف تلك الحرب أم ماذا؟"، قال بجدية "سأفعل إن استطعت ... أريد أن أرى رجلاً افتقدته كثيراً".

بعد أسبوعين..

استعدت السفينة للإبحار وذهب الشاب لتوديع أخته التي تزوجت وهي الآن حامل، فتحت له الباب وقالت بحزن "هل يجب أن ترحل؟"، قال مبتسماً "نعم، لقد فعلت ما جئت لفعله" ثم وضع يده على بطنها وقال "ماذا ستسمينه؟"، قالت "أمل ... كالأمل الذي أعطيته لنا أيها القائد".

ابتسم ثم قال "اسم جميل، سيكون طفلاً رائعاً يا أختي".

بدأت الدموع تتساقط من عينيها فنظر إليها ثم قال "هل ستفعلين هذا في كل مرة أودعك فيها؟"، قالت وهي تبكي "لا أعلم ما هذا الشعور لكني أشعر أنني لن أراك مجدداً".

فضحك وقال "لا، لا تحلمي بهذا حتى، سأكون معك دائماً إلى أن تملي هذا"، فابتسمت وهي تبكي ثم تعانق الاثنان ولم ترد أن تفلته فتركها إلى أن تنتهي ولكنها لم تنتهي فقال مبتسماً "أختي سترحل السفينة بدوني"، فتركته ثم قالت وهي تبتسم "لا تنسى أن تحضر لي هدية"، قال مبتسماً "طبعاً سأفعل" ثم ذهب.

اتجه إلى منزل "إلينار" فوجده جالساً أمام منزله واضع غطاء على قدميه ينتظر قدومه فابتسم له وقال "أصبحت تحب الجلوس هنا أليس كذلك؟"، ابتسم "إلينار" وقال "ليس لدي خيار آخر فلم يعد لدي قدمان هل تتذكر؟ إن الشخص لا يدرك قيمة ما يملك إلا عندما يخسره"، قال "على الأقل أنت مازلت حياً، كن شاكراً لهذا"، قال "أنا شاكر، كنت مستعداً لأضحي بكل أطرافي لأرى هذا المكان بهذا الشكل، الفضل يعود لك في هذا، أصبح هذا المكان يستحق أن تنظر إليه".

قال "هذا غير صحيح، أنا لم أفعل هذا وحدي، لولا تضحية "راي" وأهل

"ديسارا" لم يكن هذا ليحدث"، أخذ "إلينار" نفساً عميقاً ثم قال "عندما كُنتَ صغيراً رأيت فيك شيئاً لم أفهمه ولكنني كنت متأكد أنك ستكون شيئاً عظيماً في المستقبل ... ولكن أن تغير هذا المكان، كان هذا أبعد كثيراً من توقعاتي"، قال مبتسماً "نعم، إنني سعيد جداً بهذا".

"وأنا لم أتوقع هذا أيضاً، أنت منقذنا أيها القائد"، نظر خلفه فوجد "لوشاس" واقف وراءه ثم قال مصدوماً "هل كنت ستذهب دون أن تودعني؟!"، ابتسم وقال "كنت سآتي إليك لاحقاً".

جلس على الكرسي الذي بجانب "إلينار" وقال "هل ستتركنا وتذهب بعد أن جعلت هذا المكان هكذا؟"، قال "ليس لفترة طويلة، أريد أن أشكر الرجل الذي جعلني قادراً على تغيير هذا المكان"، قال "إلينار" "لتشكره بالنيابة عني"، قال "لوشاس" "وأنا أيضاً".

ابتسم وقال "سأحضره معي لتستطيعا شكره بنفسيكما"، ابتسم الاثنان ثم طلب "لوشاس" أن يحضر له بعض الخامات ليكمل أبحاثة التي تركها وراءه عندما غادر "سيارا" والآن وبعد أن أصبحت البيئة تسمح بأن ينشغل بالعلم يريد أن يقضي ما تبقى من حياته في السعي وراء حلمه في أن يصبح طبيباً عظيماً.

وطلب "إلينار" بعض المواد التي تستخدم في البناء لأنه سخَّر كل ما يملك لإعادة بناء "ديسارا" فوعدهما بأن يحضر ما طلباه ثم غادر.

عندما وصل إلى الشاطئ وجد أهل القرية مجتمعين حول السفينة والنظرات الحزينة تعلوا وجوههم فقال لهم "هل جئتم لتوديعي بهذه الوجوه؟! ابتهجوا يا إخوتي"، قال أحدهم بحزن "لقد غيرت حياتنا أيها القائد، نحن لا نريدك أن تغادر"، قال "غيرت حياتكم؟ أنا أريتكم طريقاً أفضل وأنتم أخترتم أن تسلكوه، أنتم من فعل كل هذا، شكراً لكم".

فبكوا وذهبوا ليعانقوه فقال والدموع تتساقط من عينيه "كنت متماسكاً كل تلك الفترة، تباً لكم، أكرهكم جميعاً" وظلوا متعانقين إلى أن جاء صوت من السفينة "أيها القائد، علينا أن نذهب".

قال "حسناً" ثم ودعهم وأوصاهم أن يستمروا في التحسن وألا يسيئوا التصرف في غيابه وأوصاهم بالعمل الجاد لجعل الجزيرة أفضل ثم قال لهم مبتسماً "أريد أن أتفاجأ عندما أعود" ثم قال كلمات الوداع الأخيرة ثم صعد على السفينة وانطلقوا...

في هذا الوقت في المنزل الذي فيه "نورا" و "قاي"، كان رئيس الوزراء قد وضع ثلاثة حراس أمام الباب ليتأكدوا من سلامة الملكة وعدم هروبها وفي المساء يتبادلون أماكنهم مع آخرين، وكانت "نورا" على وشك أن تنتهي من خطتها التي ستجعلهما يخرجان من هذا المكان.

خلال كل تلك الفترة كانا يعملان على تفكيك الآلة التي تنتج المياه لأنها موصولة بأنبوب كبير قادم من السطح لتكثيف المياه من الهواء الذي في الخارج وذلك الأنبوب كبير بما يكفي ليسمح بمرور إنسان خلاله وذلك ما فكرت فيه "نورا".

فكانا يقومان بتفكيكها قطعة بقطعة بكل هدوء لكيلا يشتبه الحراس في شيء ولكيلا تتعطل فيموتا من العطش، وأخيراً تمكنا من تفكيكها وأصبح الطريق مفتوحاً لهروبهما.

حل المساء وحان الوقت لتنفيذ الخطة تسلق "قاي" للسطح ثم نزل على الأرض وضرب الحراس وأفقدهم الوعي ثم أخذ منهم المفاتيح وفتح الباب لـ "نورا" فخرجت وقالت "أحسنت، كان هذا سريعاً؟".

قال مبتسماً "هذا لأنهم حراس "سيارا" لو كانوا من "نوشاي" لما تمكنت من

فعل هذا"، لاحظت "نورا" أن جيب أحدهم يضيء فذهبت لتفقده ثم قالت "قاي هناك مشكلة، هذا الرجل طلب الدعم علينا أن نرحل"، قال "نعم ولكن هل تعرفين الطريق؟"، قالت "لا أعلم هل هذه صحراء "سيارا" أم "نوشاي" ... ولكن لا يمكننا الذهاب لأي منهما في الوقت الحاضر فهذا ما يتوقعونه، إن ذهبنا الآن سيقبض علينا قبل أن نصل".

قال بحماس "حسناً فليأتوا سأقاتلهم جميعاً"، قالت "كيف تعيش هكذا؟! هل كل حلولك تتضمن العنف؟"، قال "هل لديك حل أفضل؟".

قالت "نعم، لنأخذ طريقاً آخر، لقد قال ذلك الوغد أن الحرب ستكون في يوم العهد لذا مازال لدينا وقت"، قال "وكيف ستعرفين الطريق في هذه الصحراء؟ إنها تسمى صحراء الضياع إن لم تكوني تعلمين هذا"، قالت "يمكنني الاستدلال بالنجوم، لنذهب".

ذهبا من طريق داخل الصحراء وبعدها بفترة جاء رئيس الوزراء بنفسه للمنزل فغضب كثيراً عندما رأى المنزل فارغاً وضرب الحراس وقال لهم أن يبحثوا عنهما ثم عاد إلى "سيارا" مجدداً.

في صباح اليوم التالي فقدت "نورا" الوعي من التعب وارتفعت حرارتها كثيراً لأنها لم تعتد على هذا المجهود ولم تحصل على طعام جيد منذ فترة فحملها "قاي" وسار بها ولكنه ضل الطريق ولم يعد يدري أين يذهب فاستمر في السير أملاً في أن يجد أحداً يدله.

كانت الحرارة شديدة والشمس حارقة وبدأ يشعر بالتعب الشديد لكنه كان يقاوم لأنه إن سقط الآن سيموت كلاهما، مشى ومشى ومشى إلى أن وصل إلى حده فوقف قليلاً وأخذ نفساً عميقاً ثم قال بصوت مرتفع "لن أموت هنا" ثم تابع السير.

بعد ساعات بدى له وكأنه رأى أرضاً خضراء فقال وهو يلهث "هل أحلم؟" ثم استجمع كل ما بقي له من قوة واتجه إلى هناك، عندما بلغ تلك الأرض لم تعد قدماه تستطيع أن تحمله فسقط على الأرض وسقطت "نورا" بجانبه ولكنه ما يزال واعياً.

حاول أن يتكلم لكن لا فائدة فحلقه جاف فقام بإصدار بعض الأصوات التي يصدرها شخص لا يستطيع الكلام، بعد قليل اقترب رجل منهما ثم قال "يا إلهي..." ثم حملهما وأدخلهما لمنزله.

في مكان آخر وبعد فترة وصل الطاقم لجوهرة الصحراء وذهبوا لمتجر الرجل العجوز كما يفعلون دائماً فقال متفاجئاً "عدتم بسرعة؟!" ثم رأى الشاب معهم فذهب وسلم عليه وقال له "أهلاً أيها الشاب لقد افتقدتك"، قال وهو يبتسم "أهلاً يا عم، افتقدتك أيضاً" ثم قال "هل تذكر الخريطة التي أعطيتك إيها عندما كنت هنا المرة السابقة؟"، قال "نعم"، قال مبتسماً "أريدها من فضلك".

أخرج العجوز صندوقاً وبدأ البحث فيه فسأله الشاب بفضول "هل أتى ذلك الرجل الضخم هنا مجدداً؟"، قال "نعم لقد عاد بعد أن رحلت بفترة"، قال متعجباً "حقاً؟!! وهل أخذ أموالكم مجدداً؟".

قال "لا، لم يرد أحد منا أن يعطيه نقوده وأجمعنا على قتاله ثم بعثنا إلى القرى المجاورة ووقفنا جميعاً ضده وقاتلناه وانتصرنا".

سكت لبرهة ثم قال مبتهجاً "هذا رائع" ثم سأل مستغرباً "لكن لماذا لم تفعلوا هذا من قبل؟!"، قال "سألنا أنفسنا هذا السؤال لكن لم نجد إجابة، لأنه ليس هناك إجابة، نحن الذين رضينا بحالنا ولم نفكر في أن نغيره، رضينا بالظلم ولم نقف ونتصدى له لكنك فتحت أعيننا أيها الشاب، شكراً لك".

ابتسم ثم قال "نعم يا عم، كل ما علينا فعله أن نقرر أن نتغير وهذا سيغير كل شيء في حياتنا"، فابتسم وقال "أنت أكثر حكمة مما تبدو" ثم قال "لقد وجدتها" ثم أعطاه الخريطة.

أخذ الخريطة وطلب من الطاقم أن ينتظروه في الواحة ريثما يعود وانطلق مسرعاً قاطعاً رمال الصحراء متجهاً إلى مدربه الذي غير حياته وجعله يغير حياة الآخرين.

وصل إلى هناك في وقت قصير لأنه كان مسرعاً.

كان المدرب في الخارج يعمل في الأرض، عندما رآه يقترب من بعيد وهو يلوح له نظر إليه مندهشاً ثم ابتسم ورفع يده ملوحاً له، عندما اقترب أكثر قال المدرب متعجباً "لقد عدت؟! ظننت أنك لن تفعل؟" ثم تعانق الاثنان وقال المدرب "هل أنهيت ما ذهبت لفعله؟"، قال مبتسماً "نعم، شكراً لك يا مدرب، بفضلك كنت قادراً على أن أفعل ذلك"، قال "لن تصدق ما حدث"، قال "ماذا؟!".

فأخذه إلى المنزل فوجد شخصين جالسين هناك، قال مستغرباً "من هذان؟! ألست تعيش وحدك؟"، قال "هذه "نورا" وهذا "قاي"، ملكة "سيارا" وملك "نوشاي" "، سكت قليلاً ثم قال "حقاً من هذان؟"، قال بجدية "أنا لا أمزح"، سكت لبرهة ثم قال مصدوماً "ماذا؟!!! إذن أنت هو الطرف الثالث الذي اختطف الملكين".

قال "نورا، قاي، هذا الأحمق هو "ياو""، قال "ألم أقل لك ألا تناديني بهذا الاسم، لا تغير الموضوع، هل تعلم أن المملكتان ستقعان في حرب بسببك؟"، قالت "نورا" "هو لم يختطفنا لقد أنقذنا" ثم شرحت له الموقف.

قال "إذن هذا ما حدث، أعتذر أنني شككت فيك يا مدرب"، قال المدرب "ولماذا سأختطف الملكين أيها الأحمق؟"، قال "على كل حال، قررت، سأساعدكما للعودة لوقف تلك الحرب".

عم الصمت لثانية ثم قال "قاي" مستغرباً "ولماذا تريد مساعدتنا؟".

نظر إليه الشاب مستغرباً ثم قال "هل تعرف معنى الحرب أيها الملك؟ الحرب هي كابوس يموت فيه الناس وتدمر الحضارات ولا يوجد فيه مكسب لأن الجميع سيخسر إن اتخذوا ذلك القرار، إن كان بإمكاني وقف تلك الحرب فأنا مستعد أن أضحي بحياتي في سبيل هذا".

تعجب الاثنان وابتسم المدرب وقال "هذا هو تلميذي"، قال "قاي" "تلميذك؟! ألست والده؟"، قال الشاب مبتسماً "لم أكن لأحلم أن يكون لي والد كهذا"، ابتسم المدرب وقال "تقول هذا الآن بعد أن رحلت دون أن تقول شيئاً"، قال "لكنني عدت كما وعدتك أليس كذلك؟".

قال "ألن تخبرني أين ذهبت؟"، قال "سآخذك إلى هناك عندما أنتهي من إيصال الملكين"، قالت "نورا" قاطعة كلامهما "هل ستساعدنا حقاً؟ شكراً لك، أعدك أنه عندما أعود إلى المملكة سأكافئك بسخاء"، فنظروا جميعاً إليها بغضب فقالت "ماذا؟! ... هل قلت شيئاً خاطئاً؟"، قال "قاي" "لقد أهنتيه الآن يا "نورا" اعتذري بسرعة"، فسألت "كيف أهنته؟".

قال "عندما يقول لك رجل أنه سيساعد وتقولين له سأكافئك بعد هذا فتلك إهانة كبيره له"، قالت "حقاً؟! لم أكن أعلم، آسفة"، قال "قاي" للشاب "أرجوك سامحها، مع أن رأسها مليء بالعلم فهي لا تعرف شيئاً عن الأدب"، قال "لا مشكلة فهي لم تكن تعلم".

نزل "قاي" على الأرض وحنى رأسه وقال "شكراً لكما، نحن ممتنان لكما"، قال مستغرباً "ماذا تفعل؟ ارفع رأسك يا رجل، هل أنتما ملكان حقاً؟"، قال المدرب وهو يبتسم "لم أكن أتوقع أن يكون ملكي المملكتين العظيمتين بهذا اللطف" ثم نظر للشاب وقال "لا تدع أي شيء يحدث لهما"، قال "لست بحاجة لتخبرني هذا، حسناً، هل هناك خطة؟".

قال "قاي" "نعم، أولاً علينا العودة إلى "نوشاي" ثم القبض على ذلك الوغد "إزيل" ثم إيضاح أن كل ذلك كان سوء تفاهم ثم يعود كل شيء كما كان"، قالت "نورا" "لا، خطتك بسيطة جداً، إن كانت الحياة تسير بهذه المثالية لم يكن ليعاني أحد"، قال الشاب "تعجبني خطة قاي".

قال المدرب "بالطبع ستعجبك فهذا هو مستوى تفكيرك".

فنظر إليه وقال "أصبحت أقوى من قبل، أنت لا تريد أن تعبث معي الآن"، قال مبتسماً "حقاً؟! هل تقول إنه يمكنك أن تهزمني الآن؟ ولا بعد ألف عام يا فتى"، قالت "نورا" قاطعة كلامهما "يا عم هل معك خريطة لهذا المكان أو أي شيء مماثل؟"، فنظر إليها ثم قال "نعم لدي واحدة".

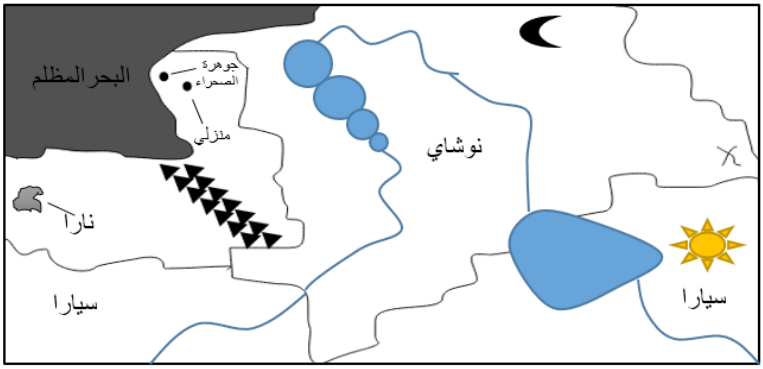

عم الصمت لدقيقة ثم قال "قاي" مصدوماً "هذه أسوء خريطة رأيتها في حياتي"، قالت "نورا" "على الأقل هي صحيحة ... أعتقد"، وقال الشاب "إنها كخريطة جوهرة الصحراء التي أعطيتني إيها سابقاً، لقد جعلتني أضيع ليوم كامل يا مدرب"، قال منزعجاً "أعلم أنه ليس بها الكثير من التفاصيل لكنها ليست بهذا السوء".

قالت "نورا" "أعيروني انتباهكم، بالنظر لهذه الخريطة يبدو أننا في جزء "نوشاي" من الصحراء فخيارنا الوحيد هو الذهاب إلى هناك وحسب توقعاتي فإن الحرب ستكون هنا (انظر الخريطة) وهو المكان الذي كنا نقيم فيه المهرجان"، قال "قاي" مقاطعاً "لسنا بحاجة للذهاب إلى مكان الحرب عندما يراني شعبي لن يكون هناك داع للحرب".

قالت "لكن هذا لن يوقف عمي، عليَّ أن أعود إلى "سيارا" أيضاً"، قال المدرب "نورا أليست "سيارا" تمتلك أسلحة مخيفة؟ أسلحة يمكن أن تدمر "نوشاي" بالكامل دون قتال، هذه الحرب ليست متكافئة أبداً شعب "نوشاي" ليس لديهم فرصة".

قالت "قبل أن يختطفني عمي ذهبت إلى مخازن الأسلحة مع بعض حلفائي وعطلنا كل الأسلحة الثقيلة بجهاز ابتكرته، الأقمار الصناعية والدروع الحديدية والرجال الآليين وكل شيء آخر، لم يعد لديهم إلا الأسلحة البدائية كالمدافع والأسلحة النارية، عمي سينفجر من الغضب عندما يكتشف هذا وأتمنى أن يردعه هذا ويوقف الحرب وحتى إن لم يحدث فهذا سيقلل من أعداد الضحايا"، قال المدرب "حركة ذكية"، قال "قاي" مبتسماً "هي دائماً تفكر عدة خطوات إلى الأمام".

قال الشاب "إذن الخطة هي إعادة كل منكما لمملكته قبل الحرب، بالمناسبة متى ستكون الحرب؟"، قال "قاي" "في يوم العهد، بعد شهر تقريباً"، قال "شهر؟ جيد، مازال لدينا وقت".

قالت "نورا" "لا هذا ليس جيداً، من أجل أن نصل إلى مكان الحرب علينا أن نقطع "نوشاي" كلها وتلك مسافة كبيرة جداً"، قال "قاي" "إن استقلينا آلة من آلات الزراعة السريعة سنصل بسرعة أليس كذلك؟".

قالت " "قاي" عليك أن تفكر قليلاً قبل أن تسأل فهذا لن يقتلك، عندما تعلن مملكتان الحرب على بعضهما يقطعان أي علاقة بينهما لهذا يستحيل أن تجد

وقوداً للآلات في "نوشاي" الآن"، رفع حاجبيه وقال "نعم لم أفكر في هذا"، فقالت "لكن مازالت هناك طريقة لتشغيلها دون وقود لذا لا تفكر في هذا إلى أن نصل".

قال المدرب "أليس عمك ذاك هو رئيس الوزراء يا "نورا"؟ هل تظنين أنه سيدعك تدخلين بسهولة؟"، قالت "لا ولكن ليس كل من في "سيارا" مع عمي، عليَّ أن أصل إلى الشخص المناسب وهو سيساعدني".

قال "قاي" "لا تقلقي فأنا سأحميك"، فنظرت إليه وابتسمت وابتسم هو أيضاً وظلا ينظران لبعضهما بابتسامة مشرقة على وجهيهما قال المدرب "حسناً، تأخر الوقت عليكما أن تستريحا الآن فغداً سيكون يوماً طويلاً" ثم نظر إلى الشاب وقال "تدين لي بتفسير، تتذكر؟"، فابتسم ثم جلس وقال "سيكون تفسيراً طويلاً لذا أعد لنا بعض "الماو" فقد افتقدته".

وقف "قاي" وقال "سأعده أنا، لا أريد أن أنام الآن لذا هل يمكنني أن أجلس معكما فأنا أحب القصص"، ابتسم الشاب وقال "بالطبع، لست بحاجة لتستأذن أيها الملك"، فابتسم وقال "شكراً" ثم التفت إلى "نورا" فقالت مبتسمة "اجعلهم أربعة"، فابتسم ثم ذهب إلى المطبخ.

جلس الثلاثة ليستمعوا له فقال مفتتحاً الحديث "بعدما استعدت ذاكرتي توجهت إلى الواحة ثم انطلقت إلى الجزيرة"، قاطع المدرب قائلاً "الجزيرة؟! أنت تقصد "الأنقاض"؟! هل أنت من هناك؟!!"، قال "نعم".

تعجب الثلاثة وتغيرت وجوههم فقال مبتسماً "ما هذه الوجوه؟!" ثم قال "الجزيرة التي تعرفونها لم تعد موجودة، دعوني أكمل"...

بعد أن حكى لهم القصة خيم الصمت على المكان فقال مبتسماً "ماذا؟ ألن يقول أحد شيئاً؟"، قال "قاي" والدموع في عينيه "لا يوجد ما يقال"، وقالت "نورا" "لا يُصدق"، ثم نظر إلى المدرب فوجده يحدق فيه بنظرة غريبة فقال

متعجباً "ماذا؟! ما هذه النظرة؟"، قال "قاي" والدموع تغطي خديه "أنت لا تفهم، النبوءة، لقد تحققت"، قال مستغرباً "ماذا؟".

قال المدرب "هل سمعت عن الملك العظيم الذي وحَّد العالم منذ زمن؟"، قال مستغرباً "نعم؟!"، قال "في يوم من الأيام رأى حلماً ثم استيقظ وقال عدة كلمات ثم مات في نفس اليوم، كتب أبناؤه هذه الكلمات في أحد المخطوطات تحت اسم "نبوءة الملك" وتداولوها بينهم جيلاً بعد جيل إلى أن وضعت في أحد متاحف "سيارا" كأسطورة من زمن قديم، قبل فترة طلب أحد أجدادي من ملك "نوشاي" أن يأتي بهذه المخطوطة فاستجاب الملك لطلبه وأرسل إلى "سيارا" أنه يريدها فأعطوها له، عندما شاهدها جدي غضب كثيراً وأرسل إلى الملك يخبره أنها ممزقة من الأسفل وأن بقيتها مفقود فبعث الملك رسالة إلى "سيارا" فأخبروه أنها كانت هكذا قبل أن تصل إلى المتحف ثم علقها جدي في غرفة خاصة من الدار".

قال الشاب متعجباً "وما شأني بكل هذا؟"، ذهب إلى غرفته وعاد بلفيفة ورماها إليه فالتقطها ثم نظر إليها مستغرباً وسأل "وما هذا؟"، قال "هذه هي"، تعجب وقام بفتحها ثم نظر بداخلها وقال "ستشرق شمس أحد الأيام وطفل سيولد في قعر الظلام ليعيد بناء ... أرض الأحلام".

نظر إلى المدرب مستغرباً فقال "نعم هذا أنت"، فسكت وظل ينظر إليها، قال المدرب "عندما كُنتَ طفلاً قابلت "إلينار" وأخبرني عنك وعلمت أنك المقصود بالنبوءة وتمنيت أن ألتقي بك بشدة وشاء القدر أن أفعل".

أخذ نفساً عميقاً وقال"... إذن .. أنت تعرف "إلينار"؟! ... وقد تنبأ الملك العظيم أنني سأولد وأصلح الجزيرة قبل أكثر من ألف عام؟ ... هذا ... لا يعقل"، قال المدرب "نحن نعيش في عالم مذهل أليس كذلك؟"، قال "نحن كذلك ولكن هذا الجزء الناقص ... ماذا يحوي يا ترى؟"، قال "لا أعلم، لنتمنى أن يكون شيئاً جيداً".

قال "قاي" "هذه هي النبوءة الأصلية؟! سمعت أنها سرقت".

قال "لقد أخذتها معي عندما غادرت"، قال "إذن أنت هو السارق؟".

سكت لبرهة ثم قال "إن أردت ترى الأمر هكذا فلتفعل"، قالت "نورا" "قاي دعك من هذا الآن نحن نشهد أسطورة أمامنا"، سكت لبرهة ثم قال "نعم، كنت أتمنى أن يكون والدي حياً الآن ليشهد هذا اليوم، فقد كان يؤمن أنها ستتحقق"، قال الشاب "كلكم تعرفون هذه النبوءة؟".

قالت "نورا" "كل سكان "نوشاي" تقريباً يعرفونها ولكنها ليست مشهورة في "سيارا" كثيراً"، قال "هكذا إذن"، قالت "ذلك الطبيب الذي ذكرته في قصتك هو من أعطاك هذه القلادة، صحيح؟"، فأمسك بالشمس الزرقاء المعلقة على رقبته وقال "نعم ولكن كيف علمت؟!"، سكت قليلاً ثم قالت "واسمه "لوشاس" أليس كذلك؟".

قال مستغرباً "هل تعرفينه؟!"، قالت "نعم .. إنه الرجل الذي قتل أختي"، تغير وجهه وقال "أعيدي ما قلت"، قالت "قبل سنوات مرضت أختي الصغيرة مرضاً شديداً وتوجب عمل جراحة طارئة لها فأرسلنها إلى أفضل طبيب في "سيارا" وقتها، الكل كان يغني بعبقريته ومهارته ولكنه ارتكب خطأ لا يرتكبه طالب مبتدئ تسبب في مقتلها".

"حكم عليه بالإعدام ولكن أحدهم هرَّبه خارج المملكة، استشاط والدي غضباً وأراد أن يُعدم عائلته بأكملها مكانه ولكنه عاد لعقله في آخر لحظة واستقال من منصبه خوفاً من أن يفعل شيئاً يندم عليه".

سكت الشاب وهو ينظر إليها بحزن فقالت "هذه القلادة التي أعطها لك كانت قلادتها، عندما رأيتك بها في البداية ظننت أنهم يبيعون مثلها هنا"، تساقطت الدموع من عينيها وهي تقول "لقد أعطته أختي القلادة قبل العملية كوعد أن كل شيء سيكون بخير".

عم الصمت لعدة ثوان ثم وقفت وقالت "سأذهب لأنام الآن، اعذروني"، قال المدرب "يمكنك النوم في الغرفة ونحن سننام هنا"، قالت "شكراً" ثم ذهبت إلى الغرفة.

فتح الشاب باب المنزل فسأله "قاي" "أين أنت ذاهب؟"، فنظر إليه ثم قال "أحب أن أنام على السطح"، سكت لبرهة ثم وقف وقال "وأنا أيضاً" ثم خرج الاثنان من المنزل وصعدا على السطح.

جلس المدرب وحيداً يفكر ثم قال بصوت حزين "مُعَلِمْ..."...

في صباح اليوم التالي بدأوا بالاستعداد للمغادرة، أخذوا الطعام والشراب الذي يحتاجونه للرحلة وكانوا على وشك الذهاب، اقترب المدرب من الشاب وقال له "تعال، أريد أن أقول لك شيئاً" ثم أخذه إلى مكان بعيد عن الملكين ثم قال "ذكر هذان الملكان اسماً لم أكن أتوقع أن أسمعه مجدداً، الاسم الذي جعلني آتي هنا وأنعزل عن كل شيء، لقد سألتني من قبل وحان الوقت لكي أجيبك، هذه هي قصتي"

"منذ زمن كنت أحد مواطني "نوشاي" وكنت أذهب إلى دار للتدرب على الفنون القتالية، كان صاحب الدار هو أمهر معلم للفنون القتالية في المملكة كلها، كنت أحب ذلك الرجل كثيراً وكنت سعيداً جداً هناك ... في أحد الأيام جاء فتى إلى تلك الدار"

"هذا الفتى كانت تحوم حوله هالة من الظلام كنا جميعاً نستطيع أن نراها لكن المعلم قبله في الدار لأنه كان لا يرفض أي شخص يريد أن يتدرب، كان لا يكلم أحداً ويتدرب فقط طوال الوقت ولم يمض الكثير حتى أصبح من أفضل المقاتلين في الدار وكنت أنا الأفضل بالطبع فقرر المعلم أن نتقاتل ليرى من منا هو الأقوى، تقاتلنا وأنا انتصرت لكن بصعوبة ... ذلك الفوز لم يكن مهماً بالنسبة

لي وقتها كل ما كنت أفكر فيه هي تلك النظرة التي كانت في عينيه بعد أن هُزم، تلك النظرة جعلت جسدي يرتعش، لم تكن كأي شيء رأيته من قبل، كانت نظرة وحش متعطش للدماء فتجمدت في مكاني ثم وقف وانصرف...

بعد أسابيع طلب مني قتالاً آخر لكنني رفضت فذهب إلى المعلم وطلب منه هذا فقال إنه يجب أن يوافق الطرفان فلم يبدي أي رد ثم ذهب، في اليوم التالي ذهبت إلى دار آخر لأن المعلم أمرني بتسليم شيء إلى هناك وعندما عدت" سكت وبدأت عيناه تدمع ثم تابع وهو يبكي "وجدت المعلم وكل إخوتي مقتولين وأجسادهم تملأ ساحة التدريب والدماء تملأ المكان كله، يا إلهي، كل ما حاولت أن أنسى ذلك المنظر لا أستطيع"

"ذلك الفتى جالس في بحر من الدماء وهو مغطى بالدماء، دماء إخوتي ومعلمي، وممسك رأس معلمي بيده"

"عندما رآني نظر إليَّ وابتسم ثم قال لقد كنت انتظرك فأخرجت سيفي وانطلقت نحوه فرمى رأس معلمي وركض نحوي والسيف في يده وبدأنا نتقاتل، في تلك اللحظة وصلت لدرجة من الغضب لم أصل إليها من قبل، كسرت عشرة سيوف في ذلك القتال وقد تحسن كثيراً منذ آخر مرة قاتلته فيها، كان يقاتلني بشراسة، استمر القتال لفترة إلى أن أوقعته أرضاً ووضعت سيفي على عنقه فابتسم لي وقال لقد خسرت، اقتلني".

سكت قليلاً ثم قال "بعدها فعلت أغبى شيء فعلته في حياتي ... ترددت ... فأمسك بعض التراب ورماه في عيني ثم قطع يدي ... مع أنني طعنته في عينه اليسرى لكنه استطاع أن يهرب ... دفنت ما تبقى من إخوتي ومعلمي ثم قررت أن أبتعد وأنسى ما حدث ولكن هذا لم يحدث، أصبحت صورته تطاردني منذ أن غادرت، ذلك الفتي اسمه "إزيل" ويبدو أنه السبب وراء هذه الحرب"

ثم صفع جبهته بقوة وقال "لو كنت قتلته في تلك اللحظة لم يكن أي من هذا ليحدث، هذا أكثر شيء ندمت عليه في حياتي".

سكت الشاب قليلاً ثم قال بحزن "لهذا لم ترد إخباري من قبل ... إنها قصة حزينة لكن أنظر إلى الجانب المشرق، لو لم يحدث كل ذلك لم تكن لتلتقي بي، صحيح؟"، ابتسم وقال "لا أعتقد، القدر لا يتغير حتى لو تغيرت الطرق المؤدية إليه"، ابتسم وقال "حكيم كالعادة" ثم قال وهو يبتعد "يمكنك أن تستريح الآن وتأكد أن ذلك الوغد سيموت ميتة بشعة"، فقال بصوت مرتفع "أنا لم أخبرك بهذا لتشفق عليَّ، إنني قلق من أن تواجه ذلك الوحش".

توقف ثم قال "ألم تقل لي ألا أخاف من شيء لأن هذا لن يجعلني أتصرف بحكمة؟"، سكت المدرب وهو ينظر إليه فأكمل طريقه وقال "لن أموت، سأعود وآخذك معي إلى موطني"، قال بصوت حزين "لا أريد أن أخسر أحداً آخر، إن لم تعد فلن أسامحك أبداً".

عاد الشاب إلى "نورا" و "قاي" وقال لهما "هيا لنذهب تنتظرنا رحلة طويلة"، قالت "نورا" "نعم فلم يبق الكثير على يوم العهد"، وقال "قاي" "يجب أن نوقف تلك الحرب بأي ثمن".

قال بثقة "نعم، سنوقف تلك الحرب بأي ثمن، هيا بنا"...

بعد فترة من الزمن وصل الثلاثة لأسوار "نوشاي"، قال الشاب متعجباً "يا إلهي!!! ما هذا الجدار الضخم؟!!"، قال "قاي" "لقد بناه أجدادنا منذ زمن لتحديد أرضنا و"سيارا" لديها جدار مثله، أننا نسميه "الحدود" "، قال وهو ينظر بعيداً "إنه يمتد للأفق، هل هذا الجدار حول المملكة كلها؟"، قال "نعم، المملكة بأكملها"، سأل "وكيف سندخل؟ هل سنتسلق أم ماذا؟".

قالت "نورا" "هناك باب، أليس كذلك يا "قاي"؟".

قال "نعم بالطبع ... لكنني لا أعرف مكانه فكما تعرفين أنا لا أغادر "نوشاي" كثيراً"، قالت "أنت لا تغادرها أبداً، يجب أن نبحث عن الباب وإلا لن نستطيع الدخول لكن قبل هذا سأستريح قليلاً فقد تعبت" ثم جلست وقالت "هذه الصحراء ليست مناسبة لي".

جلس "قاي" أيضاً ثم قال "كنا لنصل أسرع من هذا لو لم تكوني معنا"، قالت "حقاً؟ لو لم أكن معكم لكنتم ضعتم في الصحراء ومتم من العطش أو متم من ذلك الفطر السام الذي أكلته أنت و"ياو" دون تفكير، أنتم عاجزون من دوني"، قال "حقاً؟ ذلك الفطر كان ... لم يكن مسموماً، ولولا "ياو" لكنا قُتلنا من أولئك اللصوص الذين قابلناهم في الطريق، ذلك الفتى قوي حقاً".

قالت "يبدو أنك تتماشى معه بشكل جيد، أصبحتما صديقين في وقت قصير"، ابتسم وقال "نعم، رغم صغر سنه إلا أنني أحببت طريقة تفكيره"، قالت بعض الكلمات بصوت منخفض فقال مستغرباً "ماذا؟!"، قالت "لا شيء" ثم قالت مغيرة الموضوع "ولكن هذا لا ينفي حقيقة أنكما كنتما لتضيعا بدوني"، قال "كُفي عن قول هذا، الرجل الحقيقي يمكنه أن يجد طريقه في أي مكان حتى لو كان مغمض العينين، أليس كذلك يا "ياو"؟ ..."، نظر الاثنان حولهما وقالا "أين هو "ياو"؟".

" "قاااااي"، "نورااااا"".

نظرا إلى مصدر الصوت فوجداه واقف في أعلى الجدار فوقفا وقال "قاي" بصوت مرتفع "كيف وصلت إلى هناك؟"، قال "تسلقت، يمكنني أن أرى مملكتك من هنا يا "قاي"، إنها جميلة"

ثم رمى حبلاً وقال "قاي يمكنك أن تتسلق صحيح؟ وبالنسبة لـ "نورا" يمكنك أن تربطها في نهاية الحبل وأنا سأسحبها"، ضحك "قاي" وقالت "نورا" "تربطها في نهاية الحبل؟! ماذا تظنني أيها الوغد؟".

تسلق "قاي" وبعد أن وصل أمسكت "نورا" بالحبل وبدأ الاثنان بسحبها.

بعد أن وصلوا جميعاً للقمة قال "قاي" "أخيراً وصلنا، مملكتي الحبيبة، لا أستطيع الانتظار لأرى شعبي مجدداً"، قالت "نورا" "كيف سننزل الآن؟"، قال الشاب "أمسكا بالحبل وأنا سأنزلكما"، قال "قاي" "وماذا عنك؟"، قال "يمكنني النزول بدون حبل"، ثم أمسكا بطرف الحبل وأمسك هو بالطرف الآخر وبدأ بإنزالهما.

بعد أن نزلا رمي الحبل ثم نادى " "قاي" "نورا" اذهبا وسألحق بكما"، قال "قاي" مستغرباً "ماذا؟"، قال "اذهبا فقط"، سكت "قاي" قليلاً ثم قال "لنذهب"، قالت "ألن نشكره على الأقل أنه أوصلنا؟"، قال "سأشكره بعد أن يقتل ذلك الوغد" ثم مشى مسرعاً فتعجبت ثم ذهبت وراءه.

اتجه الاثنان إلى داخل "نوشاي" فقابلا بعض المزارعين الذين كانوا يعملون في الأرض وكلهم من كبار السن والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون القتال فتفاجؤوا برؤية "قاي" وقالوا له أنهم سمعوا أنه اختفى فقال لهم أن يخبروا باقي المواطنين أنه عاد.

جاءت امرأة كبيرة في السن تحاول المرور من وسط الحشد، عندما رأت "قاي" بدأت تبكي وتقول "أنت حي أيها الملك!! حمداً لله" ثم أمسكت يده وهي تبكي بشدة وتقول "أرجوك أيها الملك، أتوسل إليك، أوقف هذه الحرب، لقد ذهب ابني إلى هناك، أرجوك، أرجوك، إنه ولدي الوحيد، أرجوك" واستمرت في البكاء.

أمسك "قاي" يدها بقوة وقال لها "لا تبكي يا أمي هذا ما جئت هنا لفعله، لن تكون هناك حرب طالما أنا على قيد الحياة" ثم طلب منهم أن يعطوه آلة من آلات الزراعة ليذهب بها لمنزله فقالوا أنها نفذ منها الوقود فطلبت "نورا" أن تتفقدها ثم قامت بتعديل بعض الأشياء فيها مما جعلها تعمل فركبها الاثنان وانطلقا إلى منزل "قاي" بوسط "نوشاي".

وفي أعلى الجدار...

"لقد كنت أنتظر عند البوابة لم أكن أتوقع أن يتسلقا الجدار، يبدو أنه لا توجد خطة كاملة، على كل حال من أنت؟".

قال الشاب "من أنا؟ ... مللت من أن أسأل نفسي هذا السؤال، فأنا شخص بدون اسم، ولا عائلة، ولا أملك أي شيء، ونشأت في أسوء مكان ممكن مع أسوء أنواع الناس، لكنني اكتشفت أن كل هذا ليس ما يحدد من أنا ... لا يهم ما هو اسمك، ولا من أي عائلة أنت، ولا مقدار ما تملك، ولا المكان الذي نشأت فيه، ولا الناس الذين نشأت معهم، كل هذا لا يهم، لأن الشيء الوحيد الذي يحدد من أنت في هذه الحياة هو الطريق الذي تختار أن تسير فيه".

"وقد اخترت الطريق الخطأ يا "إزيل"".

ضحك "إزيل" ثم قال "هذه الكلمات، إنها تعيدني للماضي، اعتدت أن أسمعها كثيراً من فتى قطعت له يده وقتلت كل من يحب"، فغضب وأخرج سيفه وقال "وعدته أني سأقتلك" ثم ركض نحوه بسرعة، أخرج "إزيل" سيفه وقال "ماذا؟ انتظر، هل تعرفه؟ كيف؟"، لم يرد وهو يضربه بقوة فتفاداها وقال "حسناً، سأجعلك تجيب بعد أن أجعلك عاجز عن الحركة" ثم ركض باتجاهه وهو يلوح بسيفه، وتصادم السيفان...

أمام منزل "قاي"...

قال "ساش" بندم وهو يقف أمام المدخل ينظر إلى البيت الفارغ "لقد كنت مغفلاً، كيف سمحت لهذا بأن يحدث؟" ثم ضرب الباب بقوة وقال بغضب "لو كنت فعلت شيئاً عندما عدنا من "سيارا" وقتها لما كان أي من هذا ليحدث، كم أنا أحمق".

"أيها المستشار لقد أنهينا التحضيرات".

نظر "ساش" وراءه فوجد أحد الحراس فقال له بحزن "جيد، هل وجدت "إزيل"؟"، قال "لا، لم أستطع إيجاده في أي مكان"، سكت لبرهة ثم أغلق الباب وقال وهو يسير "لنبدأ في التحرك".

وفي القصر الملكي في "سيارا" تحديداً قاعة الاجتماعات...

قال رئيس الوزراء بغضب "انظر ماذا فعلت ابنتك!!! هذه خيانة"، قال والد "نورا" "فعلت هذا لكيلا تقوم بشيء أحمق وأنت تصر على القيام به" ثم أمسك به وقال "أخي أرجوك لا تفعل هذا، أعلم ما تشعر به الآن، أنت غاضب والغضب يعمي بصيرتك ولن ألومك فقد فعلت نفس الشيء ولكن عليك إيقاف هذا الجنون فوراً".

قال بغضب "كف عن هذا الكلام، لقد اختطفوا ابنتك، ماذا تريد أكثر من هذا كدافع للحرب؟!"، سكت لبرهة ثم قال "هناك طريقة أفضل للتعامل مع هذا، هل نسيت ما كنت تقول لي؟ أخي ما الذي حدث لك؟ ما الذي غيرك هكذا؟ لقد اعتدتُ أن أنظر إليك على أنك أفضل شخص في العالم وكان أكبر أحلامي أن أكون مثلك ... ما الذي غيرك؟".

قال متألماً "لقد مات ابني أمام عيني ولم أستطع إنقاذه" ثم مسح دموعه وقال "سيدفعون ثمن هذا غالياً" وخرج من القاعة مسرعاً.

وقف والد "نورا" حزيناً فاقتربت منه قطة "نورا" الملكية فابتسم بحزن ومسح على رأسها وقال "تفتقدينها مثلي صحيح؟ لا أدري كيف سمحت لهذا بأن يحدث؟" ثم لاحظ شيئاً غريباً عالقاً في طوقها فأخرجه فوجد ورقة مكتوب فيها "عمي رئيس الوزراء هو من اختطفني، أرجو ممن يجد هذه الرسالة أن يقوم بإيقافه فوراً".

ارتعش جسده وتسارعت نبضات قلبه وظل ينظر إلى الورقة بنظرات فارغة ثم ركض خارجاً من الغرفة.

اتجه إلى غرفة رئيس الوزراء وقلبه ينبض بسرعة جنونية وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة ثم أمسك صدره بقوة وسقط على ركبتيه وقال متألماً "ليس الآن" ثم سقط على الأرض.

بعد فترة في أعلى الجدار الذي في "نوشاي"...

أخذ "إزيل" عدة خطوات للوراء ثم قال وهو يلهث "يبدو أنني كبرت في السن، جسدي لم يعد يستجيب كما كان، لديك بعض المهارة يا فتى، أسلوب قتالك هو نفس أسلوب قتال "جاس" يبدو أنك تلميذه حقاً، يسعدني أن أعرف أنه حي"، قال الشاب "جاس؟! هذا هو اسم المدرب" ثم أخذ نفساً عميقاً ورفع سيفه وأشار به نحوه وقال "لقد سلبت من مدربي كل ما يحب، لن أغفر لك هذا أبداً"، أخرج "إزيل" سيفاً آخر وقال "نحن لم نأتي هنا لنتحدث، صحيح؟" ثم انطلق نحوه.

بعد أسبوعين..

كانت المسافة بعيدة ولكنهما حاولا أن يسرعا قدر ما يستطيعان حتى يصلا إلى مركز "نوشاي" فقررا يناما بالتناوب بحيث يقود أحدهما الآلة والآخر ينام.

عندما وصلا أخيراً لم يجدا أحداً هناك، قال "قاي" بغضب "تباً لتلك الآلة البطيئة، لقد تأخرنا"، قالت "نورا" "يجب أن تكون بطيئة فهي ليس بها وقود، هل تتذكر؟ لم يتبق الكثير على يوم العهد، من المؤكد أنهم اتجهوا لمكان الاحتفال أقصد لساحة القتال".

قال "ماذا سنفعل الآن؟ لن نصل في الوقت المناسب هكذا، ألا يمكنك أن تجعلي هذه الآلة أسرع؟"، قالت "يمكنني أن أفكك بعض الأشياء لأجعلها أسرع لكن هذا لن يغير شيئاً مازلنا سنصل متأخرين"، قال "افعلي هذا، لقد قطعنا كل تلك المسافة لن نستسلم الآن"، قالت "حسناً" ثم ذهبت لتفكيك الآلة.

بعد فترة قصيرة قالت "قاي ... ماذا إن لم نصل في الوقت المناسب؟"، حدق فيها قليلاً ثم قال "سنصل"، فنظرت إليه بحزن ثم تابعت العمل.

في جوهرة الصحراء داخل متجر الرجل العجوز...

قال أحد أفراد الطاقم "تأخر القائد كثيراً، ماذا يفعل كل هذا؟"، قال "وان" "لا أعلم" ثم سكت قليلاً ثم نظر إلى العجوز وسأله "هل لاحظت هذا؟"، فانتبه إليه وقال "ماذا؟"، قال "لا أدري كيف أصف هذا ولكنني أشعر أن شيئاً كبيراً سيحدث".

ابتسم ثم قال "هذا ليس شعوراً إنه واقع فالحرب التي بين المملكتين بعد أقل من أسبوعين"، قال "لا أقصد الحرب"، نظر إليه مستغرباً وقال "ماذا تقصد إذن؟!".

قال "هذا العالم ... سوف ينتهي قريباً"....

الفصل الثامن

(البداية الجديدة)

يوم "العهد" الـ 1021

جاء يوم "العهد" وفتحت المملكتان الأبواب ولكن ليس للاحتفال هذه المرة، تجمعت جيوش "سيارا" و "نوشاي" عند المكان الذي اعتادوا أن يحتفلوا فيه، كل منهم ينتظر حركة خاطئة من الآخر لتبدأ المعركة.

مدافع الألعاب النارية لـ "سيارا" أصبحت مدافع حقيقية موضوعة على الجدار الفاصل بين المملكتين ومنتظرة الأمر لتفجير العدو.

وعروض الفنون القتالية لـ "نوشاي" أصبحت تدريبات حقيقية بغرض القتل في المعركة.

نظرات المودة والحب التي كانوا يتبادلونها تحولت لنظرات كره وحقد.

جاء اليوم الذي سيغير كل شيء، يوم المعركة.

أشرقت الشمس والجيشان مستعدان لبدأ القتال وليس هناك مجال للتراجع، رئيس الوزراء واقف في أعلى الجدار ومعه مكبر للصوت "إلى شعب "نوشاي"، هذه آخر فرصة لكم للاستسلام، سلموا الملكة وعودوا لمنازلكم وسنضمن سلامتكم".

صاح المستشار "ساش" "ليس لنا علاقة باختفاء ملكتكم، ستندمون على ما فعلتموه لملكنا أيها الأوغاد"، قال الرئيس "حسناً كما تشاؤون، لتستعد المدافع"، وقال "ساش" "رماة السهام استعدوا للقتال".

"أطلقوا". "أطلقوا".

وبدأت الحرب.....

في "نوشاي"....

قالت "نورا" "قاي لقد أشرقت الشمس إنه يوم العهد"، قال بحزن "أعلم" ثم قال بعزم "لا تقلقي يا "نورا" لقد اقتربنا ولتتحلي ببعض الثقة في شعبينا هم لن يتقاتلوا بالطبع هذا كله سوء تفاهم"، فنظرت إليه ثم ابتسمت ابتسامة حزينة وقالت "أتمنى هذا".

في مكان آخر بـ "نوشاي" ...

"أمي، أمي، إنه يوم العهد ألن نذهب للاحتفال؟"، ابتسمت وهي تبكي ثم قالت "لقد ذهب والدك إلى هناك فلتصلي معي ليعود سالماً"، فابتسمت وقالت "حسناً".

في "سيارا" ...

"أبي، يمكنني سماع أصوات المدافع من هنا هل سيكون أخي بخير؟"، قال بحزن "نعم، لقد وعدني أنه سيعود".

في "جوهرة الصحراء" ... "يبدو أنهم قد بدأوا، كيف سينتهي هذا يا ترى؟".

في الجزيرة ... "لماذا أنا قلقة هكذا؟ ... أخي أرجوك عد بسرعة".

أمام منزل المدرب ... "ما هذا الشعور؟! أقسم أنني لن أسامحك أبداً إن لم تعد".

ومر الوقت ببطيء شديد، الدقائق كأنها ساعات، هذا اليوم كان ثقيلاً للغاية وكيف لا يكون فبعد هذا اليوم لن يعود العالم كما كان.

بعد فترة امتلأت الأرض بالجثث والسيوف بالدماء، تحطمت الأرض من طلقات المدافع، الكل يقاتل بشراسة وأصبح المشهد بشعاً.

هذا اليوم سيكتب في التاريخ على أنه اليوم الذي تغير فيه العالم بأكمله، والذي سيفوز في هذه الحرب هو من سيكون الكاتب، وهذا هو التاريخ هو لا يهتم من كان محقاً ومن كان مخطئاً، لأن التاريخ هو كتاب الفائزين.

لنأخذ قفزة صغيرة إلى الماضي، قبل 21 عاماً.....

يوم "العهد" الـ 1000.

داخل قاعة الاجتماعات الكبيرة بـ "نوشاي"...

قال "قاي" متعجباً " "نورا"؟! هل هذا اسمك؟ اسم غريب"، قال والده بغضب وهو يضربه على رأسه "قاي لا تقل هذا، ألم أعلمك ألا تكون وقحاً في كلامك مع الناس؟!"، قال "حسناً، حسناً، لا حاجة للعنف، أنا أعتذر"، قال "اذهب والعب مع "نورا" ريثما أتحدث مع ملك "سيارا" العزيز"، قال مبتهجاً "حسناً" ثم أمسك يد "نورا" وقال لها "لنذهب لقد بدأ المهرجان" ثم ركض وهو يسحبها إلى الخارج.

ابتسم ملك "سيارا" وقال "لديك طفل مفعم بالحياة أيها الملك"، قال "نعم، أكثر من اللازم" ثم قال "مبارك فوزك بالانتخابات أيها الملك"، قال مبتسماً "شكراً، شرف لي أن أكون ملك "سيارا" "، قال "من الرائع أن تكون فخوراً بوطنك"، قال مبتسماً "نعم، لنبدأ الحديث عن الأعمال".

توجه "قاي" ومعه "نورا" إلى المهرجان وهو يخبرها بكل الأشياء الممتعة التي سيقومان بها عندما يصلان وهي تنظر إليه مستغربة فلم يعاملها أحد هكذا من قبل.

بعد أن وصلا توجه "قاي" إلى قطار صغير يحب أن يركبه كثيراً ومعظم من يركبونه من أطفال "نوشاي" فهم كانوا مبهورين به ولكن أطفال "سيارا" اعتادوا على رؤيته ولديهم مثله في "سيارا" ولكن أكبر، أكبر بكثير من هذا القطار.

ركب "قاي" القطار عندما حان دوره ثم نادى على "نورا" لتركب معه، في البداية تظاهرت أنها لا تسمعه ولكنه ظل ينادي عليها إلى أن ركبت معه، كان مستمتعاً جداً في تلك الجولة التي وجدتها "نورا" مملة بكل معنى الكلمة، لكنها كانت تبتسم من حين لآخر، سُخرية في الغالب.

عندما انتهيا من القطار ذهب "قاي" ساحباً "نورا" في يده إلى طاولات الطعام الموضوعة في خط طويل في منتصف المهرجان، طاولات ذهبية وخضراء تحتوي على طعام مطبوخ في "سيارا" وآخر في "نوشاي"، ملأ "قاي" فمه بكل ما وجد ثم ملأ جيوبه بكل ما لم يستطع أكله ليأكله فيما بعد و"نورا" تنظر إليه بصمت.

بعد أن انتهى أمسك يدها مجدداً وبدأ يسحبها، في تلك اللحظة شعرت "نورا" كأنها حقيبة من نوع ما ولكن ماذا يمكنها أن تفعل، ظل "قاي" يجوب أرجاء المكان ليأكل ويلعب و"نورا" في يده وبدأت تستمتع برفقتها له دون أن تشعر.

توقفت "نورا" عن السير وسحبت يدها وقالت "يمكنني السير وحدي"، حدق فيها مستغرباً فقالت "ماذا؟!"، قال متعجباً "لقد تكلمت!!!".

قالت بغضب "بالطبع أتكلم، ماذا تظنني؟ حيوانك الأليف"، قال حان رأسه "لا، أعتذر" ثم مد يده ليسلم وقال مبتسماً "أنا "قاي"".

لم ترد "نورا" وظلت تحدق فيه فنظر إليها وقال "ماذا؟! ألا تعرفين كيف تسلمين؟"، ابتسمت ومدت يدها وقالت "نورا".

فنظر إليها مستغرباً وقال "لقد ابتسمت!"، قالت بغضب "توقف عن هذا، أنا إنسانة لعلمك، يمكنني أن أتكلم وأبتسم".

ابتسم وقال "كنت أمزح" ثم صافح يدها وقال " "نورا" من الآن فصاعداً نحن أصدقاء، هل تفهمين هذا؟"، سكتت قليلاً ثم قالت بحزن "ليس لدي أصدقاء ولا أحتاج أصدقاء"، ابتسم وقال "وأنا أيضاً ليس لدي صديق حقيقي فالكل لطيف معي ولكن لا أشعر أنهم يعاملونني بصدق، أنت أول شخص يعاملني ... هكذا، لهذا سنكون أصدقاء".

لم ترد "نورا" ونظر "قاي" إلى الشمس التي أوشكت على الغروب وقال "هيا "نورا" ستبدأ الألعاب النارية بعد قليل، أعرف أفضل مكان في "نوشاي" لمشاهدتها"، قالت "لا يجب علينا أن نغادر أرض المهرجان وأنت تعلم هذا"، قال "من يهتم، القوانين وضعت لتخترق أليس كذلك؟"، قالت "نعم، هذا ما سيقوله أحد المجرمين".

لكن يبدو أنه لم يهتم لما ستقوله فقد بدأ بسحبها من يدها دون أن يترك لها فرصة للمجادلة.

ذهب "قاي" و"نورا" إلى أحد الجبال المطلة على أرض المهرجان وتسلقا إلى أن وصلا أعلى الجبل، هذا الجبل يدعى "جبل الانقسام" وسمي هكذا لأن على نفس هذا الجبل وقع أبناء الملك العظيم وثيقة تقسيم المملكة الكبيرة إلى مملكتين هما "سيارا" و "نوشاي" وانقسم العالم إلى قسمين من وقتها.

جلس "قاي" وبجانبه "نورا" على قمة الجبل وقال مبتهجاً "ما رأيك في هذا المشهد؟ يمكننا رؤية المهرجان كله من هنا"، قالت منزعجة "نعم، يستحق التعب".

سكت الاثنان وهما ينتظران أن تبدأ الألعاب النارية ثم قال "قاي" كاسراً هذا الصمت "كل سنة كنت آتي إلى هنا وحدي والآن لدي شخص أشاركه فرحتي، إنني سعيد حقاً".

اختلست "نورا" نظرة إليه فرأته مبتسماً ابتسامة كبيرة فقالت في نفسها "هذا الفتي بسيط للغاية ولكن لماذا أشعر بهذا الشعور الغريب برفقته؟" وأطالت النظر إليه وهي تفكر فنظر إليها وقال "ماذا؟!" فأدارت وجهها بسرعة وقالت "لا شيء".

ثم جاء ذلك الصوت الذي ينتظرانه، انطلقت شعلة مضيئة لتلون السماء السوداء وتعلن بداية الألعاب النارية.

نظر الاثنان إليها بدهشة وقال "قاي" مبتهجاً "لقد بدأوا"، وظلت "نورا" تنظر إلى الشعلات التي تابعت التحليق في السماء وعيناها متسعتان من الدهشة ثم قالت في نفسها "لم أكن أتخيل أن يكون هذا المشهد بهذا الجمال، حقاً، تغيير وجهة نظرك للأمور يجعلها مختلفة تماماً".

ظلا يشاهدان هذا المشهد الرائع الذي كان ينتظره "قاي" منذ بداية العام والذي ستنتظره "نورا" من الآن وبعد فترة نزلا من على الجبل وسارا في ضوء القمر عائدين إلى المهرجان.

قال "قاي" وهو يمشي "هل استمتعت؟"، فانتبهت إليه وقالت مرتبكة "نعم، يجب أن نفعل هذا مجدداً"، قال مبتسماً "نعم، لنتقابل في العام المقبل في هذا المكان"، قالت مبتسمة "نعم" ثم سكتت وهي تفكر في شيء تقوله ثم هزت رأسها وقالت في نفسها "لماذا أبالغ في مشاعري دائماً؟! سأقول ما أريد" ثم فتحت فمها وقالت " "قاي" أنا"

"هممم، ماذا يفعل الأميران الصغيران وحدهما في هذا المكان المظلم؟"، صوت مخيف أتى من خلفهما فتفاجأ الاثنان ونظرا وراءهما فوجدا رجلاً يرتدي عباءة سوداء وقناعاً أسود كشبح تراه في الكوابيس.

شعر "قاي" برغبة القتل الهائلة القادمة منه فهو يتدرب على فنون القتال منذ أعوام فقال لـ "نورا" "اذهبي واطلبي المساعدة هذا الرجل خطير"، قالت مرتبكة "لن أتركك وحدك"، قال بغضب "اذهبي فقط، سأكون بخير"، فكرت "نورا" "ماذا أفعل؟ إن هربت سيؤذى "قاي" أو أسوء، وإن بقيت فلن يغير هذا شيئاً، ماذا أفعل؟".

"نعم صحيح" تذكرت أن معها جهاز الإنذار الذي أعطاه والدها لها قبل أن يغادروا مملكتهم ولكن هذا لن يحل المشكلة فحتى لو علم أنها في خطر فلن يصل في الوقت المناسب لكن ما فعلته كان مختلفاً فأمسكت "قاي" الذي كان على وشك أن يُهاجم وأخرجت الجهاز من جيبها وقالت بصوت واثق "أبتعد وإلا ستتأذى".

تعجب "قاي" والرجل المقنع وقال "قاي" "ماذا تفعلين؟! ألم أقل لك أن تهربي"، قالت "إن اقتربت أكثر سأقوم بتشغيل هذا الجهاز الذي سيفقدك الوعي"، سكت الرجل قليلاً ثم قال بصوت مخيف "حقاً؟ هل تعتقدين أنني سأخدع بهذا؟ هذا جهاز اتصال لقد قرأت عنه من قبل".

صعقت "نورا" ولكنها تمالكت نفسها لكيلا تظهر هذا وقالت في نفسها "أليس شعب "نوشاي" لا يقرأ؟!!! كيف علم بهذا؟!!!" ثم قالت بثقة "هذا الجهاز مختلف، إنه بنفس شكل جهاز الاتصال لكنه مختلف في الوظيفة، في حين يعمل جهاز الاتصال على استقبال الموجات البعيدة فهذا الجهاز يرسل موجات قريبة وشديدة القوة تجعل المحيطين يفقدون الوعي، لهذا أنصحك ألا تقوم بأي عمل أحمق".

عم الصمت لثانية ثم قال الرجل بصوت مرعب "أعطيني هذا الجهاز"، قالت "لا، إن فعلت هذا ستقتلنا"، قال "لن أفعل إن أعطيتني الجهاز"، سكتت لبرهة ثم رمته بعيداً فتبعه الرجل ليلتقطه ثم أمسكت يد "قاي" وبدأت تركض، أمسك الرجل الجهاز ثم ركض وراءهما بسرعة وكان على وشك أن يلحق بهما فالتقط "قاي" حجراً وهو يركض ورماه نحوه بقوة فأصاب قدمه فتعثر وسقط على الأرض ثم تابعا الركض.

عندما ابتعدا عنه تباطأت "نورا" وهي تتنفس بصعوبة ثم توقفت لتلتقط أنفاسها وقالت "هل أضعناه؟"، نظر "قاي" وراءه فوجده يركض نحوهم بقدم عرجاء فارتعش جسده وحمل "نورا" بسرعة وركض، جاء صوت ينادي عليهم "من أنت؟ توقف مكانك" وأحاطت مجموعة من الحراس به وركض الاثنان مبتعدين.

اقتربا من أرض المهرجان ووجدا الملكين في انتظارهما ويبدو عليهما القلق الشديد، ركضا إليهما وعانقاهما وهما يبكيان فحاولا تهدئتهما والاستفسار عما حدث ولكنهما استمرا في البكاء.

بعد أن هدأ الاثنان أخبراهما بما حدث فغضبا وذهبا للمكان الذي كانا فيه مع بعض الحراس الأقوياء فوجدوا مجموعة الحراس الذين كانوا يحيطون بالرجل المقنع مقتولين بطريقة بشعة وهو لم يعد هناك.

ارتجفوا من منظرهم وبكل أسف قاموا بدفنهم واتفقا على ألا يخبرا أحداً بما حدث وبتعويض أهالي الحراس ولكن دون إخبارهم بالتفاصيل، عندما عادا إلى المهرجان قاما بتوبيخهما وحذراهما من فعل ذلك مجدداً فنظر "قاي" إلى "نورا" نظرة تدل على أنهما سيذهبان مجدداً فبادلته بابتسامة، وهناك رجل بعين واحدة ينظر إليهما خلسة، ويبتسم....

في هذا اليوم....

ولد طفل. وانتهى نسل. وفهم رجل. ويأس بطل. وومضة شعلة أمل. وبدأ لحن يدعو إلى العمل.

واحترقت سفينة تحمل بضاعة ثمينة.

وتدمرت مدينة في ليلة حزينة.

وتكونت علاقة حميمة. وماتت امرأة عظيمة.

وأحييت إرادة قديمة. ودفنت فتاة شريرة.

وولدت أميرة. وأضاءت جزيرة.

وبدأت أسطورة....

"التغيير" ليس وليد لحظة فقط ولكنه عصر بأكمله يخضع لتلك الإرادة، كأوراق الشجر في فصل الخريف، تبدأ بالتساقط عندما يحين وقتها وهذا ليس معناه أن الشجرة ستموت ولكنها تفعل هذا لتبدأ جيلاً جديداً من الأوراق الخضراء.

في الوقت الحاضر...

استمرت المعركة حتى غروب الشمس ومات عدد كبير من الناس.

عندما حل المساء اقترب "قاي" و "نورا" من المكان ولم يصدقا ما رأياه، كان المشهد مؤلماً جداً مما جعل الدموع تجري في عينيهما دون أن يشعرا بهذا ومرت في ذهنهما كل تلك الذكريات عن المهرجان والاحتفالات التي كانت تقام في نفس هذا المكان.

عندما اقتربا أكثر نزل "قاي" مسرعاً إلى ساحة المعركة والدموع تملأ عينيه فصاحت فيه "نورا" "قاي لا تذهب إلى هناك، هذا خطير"، قال في نفسه "ما الذي يفعله أولئك الحمقى؟ هل فقدوا عقولهم؟"

ثم بدأ ينادي "أوقفوا ذلك" "توقفووووا".

لكن لم يسمعه أحد فدوي الانفجارات عال جداً، تابع "قاي" الصراخ إلى أن جاءته رصاصة من الخلف فسقط على الأرض.

عندما رأته "نورا" ركضت إلى هناك وأمسكته وهي تبكي ثم صرخت "لا، لا، قااي ... لماذا يحدث كل هذا؟ أرجوكم أوقفوا هذا، لماذا تفعلون هذا؟ أرجوكم توقفووووا".

لكن لم ينتبه لها أحد فالكل مشغول بالقتال ولم يعد أي منهم يميز الصديق من العدو، أحست "نورا" بألم شديد وهي تحاول إيقاف نزيفه وفكرت ماذا يمكنها أن تفعل لوقف هذه الحرب؟

"ماذا لو....". "ماذا لو .....". "ماذا لو .....".

"ماذا لو ....". "ماذا لو .....". "ماذا لو .....".

"ماذا لو .....".

فكرت في كل الطرق المنطقية الممكنة التي يمكنها أن توقف الحرب، وكلها فشلت "مهما فكرت، مهما فعلت، لا توجد طريقة لإيقاف هذا"، هذه هي أول مرة تقول فيها هذا الكلام فهي دائماً ما تجد طريقة لحل أي مشكلة مهما كانت صعبة إن نظرت بطريقة مختلفة لها ... ولكن مهما نظرت فهذا الوضع ميؤوس منه.

قالت "نورا" بيأس وهي تبكي "اللعنة، صوتي لا يصل لأحد، لا يمكنني أن أوقف الحرب، أرجوك يا إلهي ساعدني".

في تلك اللحظة بدأ يتساقط شيء من السماء، غبار أخضر اللون، قالت "ما هذا؟ ..." ثم فقدت الوعي، بدأ المقاتلون يتساقطون واحداً تلو الآخر ولم يعد هناك قتال وهدأ المكان وتوقفت المعركة.

في أعلى الجدار الفاصل بين المملكتين...

"يا إلهي، يبدو أنني وصلت وفي الوقت المناسب"، قال رئيس الوزراء وهو ملقى على الأرض "من أنت؟"، قال "هل مازلت واعياً؟! متأكد أنني ضربتك بقوة، تريد أن تعرف من أنا؟ أنا "الرجل بدون اسم" هل سمعت بي من قبل؟"، قال "ماذا؟!" ثم فقد الوعي.

نزل الشاب من على الجدار واتجه إلى "نورا" و "قاي" ثم جعلهما يشمان شيئاً فأفاقت "نورا" فقال "حمداً لله، أنتما بخير، "قاي" يبدو مصاباً لكنه حي"، قالت متعجبة " "ياو"؟! ماذا حدث؟".

قال مبتسماً "حدث ما كنتما تريدانه، لقد توقفت الحرب"، قالت "ماذا؟! أنت فعلت هذا؟"، قال "نعم، لكن الأمر لم ينتهي بعد عندما يستيقظ هؤلاء الناس عليهم أن يسمعوا صوتيكما وإلا سيتقاتلون مجدداً"، نظرت حولها ثم بكت وقالت "هل توقفت الحرب حقاً؟ لا أصدق".

بعد قليل أفاق "قاي" فسألته "نورا" إن كان بخير فقال "نعم، ماذا حدث؟"، ابتسم الشاب له وقال "صباح الخير، هل اشتقت إليَّ؟"، قال متعجباً " "ياو"! أنت هنا أيضاً؟!" ثم حاول أن ينهض وهو يتألم فقالت "ماذا تفعل؟ عليك أن تستريح"، قال متألماً "لا، عليَّ إيقاف الحرب"، ابتسمت وهي تبكي ثم قالت "لقد توقفت الحرب".

بعد فترة بدأ الناس يفيقون وهم يتساءلون عما حدث.

صعد "قاي" و "نورا" على جبل الانقسام ومعهما مكبر الصوت الذي كان مع رئيس الوزراء ثم قال "قاي" "أيها الناس ليس هناك داع للحرب بعد الآن"، انتبه أحدهم وقال "إنه الملك" وآخر "انظر إنها الملكة هناك" ونظر الجميع إليهم.

أخذت "نورا" المكبر وقالت "إن سبب اختفائنا لم يكن لأن مملكة اختطفت

ملك مملكة أخرى، لقد كان عمل شخص واحد، لا يهم من أي مملكة كان لكنه فعل هذا بدوافعه الشخصية ليس باسم مملكته، فعل كل ذلك لجعل المملكتين تحاربان بعضهما" ثم تابعت "ذلك الرجل نصب لنا فخاً ووقعنا جميعاً فيه، انظروا حولكم، انظروا كيف أصبح المكان الذي كنا نحتفل كل عام فيه ونتبادل الضحكات مع بعضنا هل يرضيكم هذا؟ لكن ما حدث قد حدث، الآن لنترك الماضي خلفنا وننظر للمستقبل، لقد انتهت هذه الحرب".

عم الصمت ونظروا إلى أيديهم وأسلحتهم التي تملؤها الدماء وإلى الأرض المملوءة بالجثث وسألوا أنفسهم "كيف حدث هذا؟".

لم يدروا كيف ولا لماذا فهم كانوا تحت لعنة أخرجت أسوء ما فيهم وجعلتهم لا يفكرون بطريقة سليمة، لعنة تسمى الغضب.

شعروا بالندم ثم رموا أسلحتهم حتى يقوموا بوضع حد لهذه الحرب، بعدها تغير شكل المكان تماماً فالناس الذين كانوا يقتلون بعضهم منذ لحظات أصبحوا يساعدون بعضهم لنقل الجثث وعلاج المصابين الذين هم من كانوا سببهم في المقام الأول.

هكذا هي الحروب يجب أن يموت أناس، وتشرد عائلات، ويتيم أطفال، وتفرق جماعات، وتدمر حضارات، قبل أن يعِّي الناس أن ما يفعلونه خطأ ويبدأوا بالصلح.

لكن السؤال هو من سيعيد الناس الذين ماتوا ويعوض الناس الذين خسروا؟ لا توجد إجابة لهذا السؤال لأنه لو كان هناك أناس يفكرون بهذه الطريقة لن تكون هناك حروب بين الناس.

على كل حال ذهب الشاب مع "قاي" و"نورا" لأحد المخيمات للعلاج وقاموا بإخراج الرصاصة من جسد "قاي" ومعالجة الجروح التي تملأ جسد الشاب هو مستلقي على الأرض يبدو عليه التعب الشديد.

نظر "قاي" إلى يده اليسرى بحزن ثم قال "أنا آسف"، فنظر إليه وابتسم وقال "لا تهتم لهذا، لم أكن أستخدمها كثيراً".

حدق فيه بابتسامة حزينة ثم سأل مستغرباً "كيف وصلت إلى هنا؟"، قال "بمساعدة صديق"، تعجب الاثنان ثم قالا "من؟!"، قال "إنها قصة طويلة، لماذا تأخرتما؟!"، قالت "نورا" "كنت أعلم أننا لن نصل في الوقت المناسب وأنه من المستحيل أن نوقف الحرب لكنني لم أكن أريد أن أحبطه"، نظر "قاي" إليها ثم ابتسم وقال "لأول مرة كنت مخطئة، وصلنا وأوقفنا الحرب"، فابتسمت وقالت "نعم، كنت مُحقاً هذه المرة".

نظر "قاي" إلى الشاب وسأله "هل قتلت "إزيل"؟"، سكت قليلاً ثم قال "لا لم أفعل"، قال الاثنان "ماذا؟! إذن ماذا حدث؟".

لنعد بالزمن قليلاً، بعد أن بدأ القتال بين الشاب و "إزيل" كان كل منهما يقاتل بشراسة فتارة يجرح الشاب "إزيل" وتارة يجرحه واستمرا على هذا لفترة إلى أن تمكن الشاب من النيل منه فأوقع السيف من يده وأوقعه أرضاً ووضع سيفه على عُنقه، قال "إزيل" "كأني عشت هذه اللحظة من قبل"، قال بغضب "ولن تعيشها مجدداً"، قال "ماذا إن أخبرتك كيف توقف الحرب؟ هل ستتركني أذهب؟"، سكت لبرهة ثم قال "تريد أن تخبرني كيف أوقف الحرب وأنت من بدأها أيها الوغد؟".

قال "نعم، لأن هذا هو آخر جزء من الخطة"، قال "ماذا؟"، قال "الوقت يداهمك يجب أن تقرر وإلا لن تصل على الوقت"، قال "لماذا أتحدث معك؟"، قال "استمع لما سأقوله ثم اقتلني إن لم يعجبك"، سكت قليلاً ثم قال "تكلم"، قال "هناك آلة للزراعة عند البوابة، الآلة التي جئت بها إلى هنا، ستجد هناك أكياساً فيها مسحوق، مسحوق تخدير إن أطلقته في ساحة القتال بأحد مدافع

"سيارا" مثلاً سيغط من يستنشقه في نوم عميق وبهذا يكون لديك فرصة للتفاهم معهم"، نظر إليه مستغرباً ثم قال "هل تقول الحقيقة؟"، قال "نعم".

قال "هل كنت تخطط لإيقاف الحرب بنفسك أم ماذا؟"، قال "من يعلم"، سكت وهو يحدق فيه ثم قال "أنت مجنون حقاً كما يقال ... ستأتي معي إلى هناك وبعدها سأقرر ما سأفعل بك".

ذهبا إلى هناك فوجد الآلة وفيها الأكياس فقال "يبدو أنك تقول الحقيقة لكن لا أعلم ... يمكن أن يكون هذا سُماً"، قال "لا هذا ليس سماً، يمكنني أن أتناول بعضه إن أردت"، وقف ليفكر فقال "إزيل" "ليس هناك وقت لهذا"، فنظر إليه ثم أخذ الأكياس ثم علقها على كتفيه ثم أمسكه بقوة وتسلق لأعلى الجدار.

عندما وصل إلى الأعلى رماه على الأرض ثم استدار وقال "لا أريد أن أراك مجدداً، هل تسمع؟"، قال وهو يتألم "ماذا تفعل؟ أين أنت ذاهب؟"، قال "سآخذ طريقاً مختصراً".

قال "هل تظن السير مع الجدار "مختصراً"؟ أنت تضاعف المسافة"، قال بثقة "أنا سريع"، ضحك وقال "لا يهم كم أنت سريع، هل لديك فكرة عن حجم "نوشاي"؟ لا يمكنك قطع تلك المسافة على قدميك، سيتطلب هذا منك شهوراً لتصل إلى مكان الحرب".

استعد الشاب للركض متجاهلاً له وقال "لن تعرف إن لم تحاول"، حدق فيه "إزيل" ثم ابتسم وقال "هذا ممتع للغاية، أنت ممتع للغاية، منذ أن بدأت قتالك وهذا الشعور يتملكني بالكامل، كنت قد قررت أنني سأقتل نفسي بعد هذا اليوم لأنه لم يعد هناك شيء يستحق أن أعيش له ولكن" ثم ابتسم ابتسامة غريبة وقال "كنت مخطئاً".

ثم قال "هناك طريقة ستضمن لك أن تصل هناك على الوقت".

نظر إليه فقال "هل ترى ذاك الجبل؟"، نظر الشاب إلى الاتجاه الذي أشار إليه، قال "خلف الجبل هناك قطيع من الفهود، قائدهم هو فهد أبيض ضخم يدعونه "كاينوا" وهو سريع للغاية، ذلك الوحش هو أسطورة حية، لا أحد يعلم عمره الحقيقي ولكن تقول الشائعات أنه يتخطى المئتي عام، هناك نبوءة قديمة توارثها سكان "نوشاي" أن هذا الفهد سيولد وأن رجلاً شجاعاً سيستطيع إخضاعه وحينها سيتبعه الوحش لبقية حياته، وبالطبع حاول الكثيرون أن يكونوا ذلك الرجل ولكن لم ينتهي هذا على نحو جيد" ثم كشف عن الجرح الضخم الذي على ظهره وقال "وأنا كنت واحداً منهم"، نظر إليه الشاب بصمت فقال "إزيل" "هذه هي فرصتك الوحيدة لتصل إلى هناك".

نظر الشاب إلى الجبل ثم أعاد النظر إليه وقال "لماذا تساعدني؟"، سكت لبرهة ثم قال وهو يبتسم "لأنك ممتع"، حدق فيه لدقيقة ثم أخرج الحبل الذي بحوزته وقيده به وقال "أرني الطريق".

سار الاثنان متجهين إلى الجبل، الشاب يسير بجانب "إزيل" ممسك بالحبل الذي يقيده، قال "إزيل" "ماذا يفعل "جاس" الآن؟"، لم يرد فقال "لقد كان مقاتلاً لم أرى مثله في "نوشاي" حتى أنه تفوق على معلمه"، قال بغضب "إن استمريت في الكلام سيكون هذا الحبل على فمك أيضاً، نحن لسنا أصدقاءاً لذا أغلق فمك".

سكت قليلاً ثم قال "صحيح! ... أيها الفتى هناك شيء في جيبي الأيمن هلا أخرجته؟"، فنظر إليه مستغرباً ثم أخرج قارورة من جيبه وقال "ما هذا؟"، قال "هذه لإيقاظ من يستنشق المسحوق"، سكت قليلاً وهو يحدق فيه ثم قال "أنا أعرف ما أنت".

سأل "إزيل" "ما أنا؟!"، قال "كنت أعيش مع أناس أسوء منك بكثير ولكنهم

كانوا يفعلون ما يفعلونه لسبب، خوف، انتقام، ألم، يأس، جميعها، ولكن أنت تفعل هذا فقط لتستمتع أليس كذلك؟ كل هذا ما هو إلا لعبة بالنسبة إليك، لم تعد تهتم لحياتك أو لموتك أو لأي شيء آخر، تظن أنك سقطت في الظلام ويئست من أن ترى النور ولكن هذا ليس صحيحاً، مازال هناك ضوء في مكان ما ولكنك لا تريد أن تفتح عينيك لتراه".

سكت قليلاً ثم قال "حقاً .. لقد تأثرت" ثم ترك الحبل من يده فأخذ الشاب عدة خطوات للوراء وأخرج سيفه بسرعة، قال "إزيل" وهو يضع السكين في جيبه "اهدأ، لو كنت أريد قتلك لفعلت عندما كنت قريباً مني" ثم ابتسم وقال "تذكر هذا" ثم تابع السير.

أدخل الشاب سيفه دون أن يقول شيئاً ثم سار وراءه.

عندما وصلا إلى الجبل قال "إزيل" "القطيع خلف هذا الجبل لكنني أرى أن من الأفضل أن نتسلقه لنحصل على رؤية أفضل"، لم يقل الشاب شيئاً وهو يحافظ على مسافة بينهما، قال "إزيل" "تخلصت من السكين وكل أسلحتي أمامك، هل تريد أن أتخلص من ثيابي أيضاً لتستريح؟"، قال "تسلق وأنا وراءك"، ابتسم وقال "بالطبع، أنت الزعيم" ثم بدأ بالتسلق وتسلق الشاب وراءه.

عندما وصل إلى القمة وألقى نظرة على الحقل قال مندهشاً "ما هذا الجمال؟!!!"، قال "إزيل" "هذا هو أجمل مكان في نوشاي".

قال "وما كل هذه الحيوانات ظننت أن الفهود فقط هي من تعيش هنا؟"، قال "الفهود تمتلك المكان وتحميه"، قال مستغرباً "وماذا يأكلون إذن؟"، قال "كل ما هو خارج هذا الحقل فريسة لهم ولكن أي شيء داخله محرم عليهم"، قال متعجباً "ومن وضع هذا القانون؟".

قال "قائدهم بالطبع، الذي جئت لتهزمه"، قال "وأين هو؟".

قال "هل ترى ذلك الكهف الضخم المحاط بالزهور البيضاء؟ هذا هو منزله" ثم جلس وقال مبتسماً "أتمنى لك حظاً سعيداً، سأشجعك من هنا".

حدق فيه قليلاً فقال منزعجاً "هيا، هل مازلت تظن أنني سأهرب؟! حسناً" ثم أشار إلى الحبل الذي معه ثم أشار إلى الصخرة التي وراءه، سكت الشاب محدقاً فيه ثم تنهد وأمسك بالحبل وربطه في الصخرة بإحكام ثم فتش ملابسه جيداً ثم قال "سأقرر ما سأفعله بك عندما أعود"، ابتسم "إزيل" ثم استدار الشاب وأخذ نفساً عميقاً ونزل من فوق الجبل.

مشى ببطيء ناحية الكهف وهو ينظر حوله متعجباً من هذا الجمال ثم وقف أمامه وقال مندهشاً "أي وحش يعيش هنا؟" ثم دخل بحذر.

كان المكان مظلماً في الداخل فأشعل مصباحاً كان معه واتسعت عيناه من الدهشة، رأى أعداداً لا تحصى من الخدوش على جدران الكهف مرصوصة في خطوط مستقيمة وأعداداً لا تحصى من العظام المحطمة تغطي أرضية الكهف بالكامل، قال متعجباً "ما هذا المكان؟".

سار إلى الداخل بحذر وهو يحرك المصباح في كل اتجاه ويقول "أين هو؟" ثم لاحظ ضوءاً أخضر يُشع من نهاية الكهف فتوجه إليه بحذر ثم أزاح ستار الأعشاب الكبير ونظر إلى الداخل.

"يا ..... إلهي".

وحش أبيض كبير نائم في وسط الغرفة وتحيطه عشرة مشاعل خضراء، سقف الغرفة وجدرانها مليئة بالزخارف والرسوم التي تدل على أن إنساناً هو من بناها، الأرضية مفروشة ببساط أبيض كبير، الغرفة أشبه بغرفة ملك عن وكر حيوان.

قال في نفسه "هذا هو؟!! إنه ليس كائناً من هذا العالم، ما هذا الشيء؟" ثم أخذ خطوة للأمام ولحظة أن وطئت قدمه البساط فتح الوحش عينه اليسرى

فجأة وتراجع بسرعة وأمسك صدره وقال "كدت توقف قلبي أيها الوغد"، حدق فيه "كاينوا" قليلاً ثم أغمض عينه وعاد إلى النوم.

نظر إليه متعجباً ثم قال "أنت، لقد جئت لقتالك"، لم يتحرك وتجاهله بالكامل فتعجب وأخرج سيفه وخطى للأمام ففتح "كاينوا" كلتا عينيه فتراجع مجدداً وقال "نعم تعال إليَّ"، حدق فيه قليلاً ثم عاد إلى النوم.

انزعج وقال "ماذا؟" ثم نظر تحت قدميه فوجد أنه خرج من على البساط، فكر قليلاً ثم خطى عليه ففتح "كاينوا" عينيه فتراجع بسرعة فأغلقهما ثم عاد إلى النوم، قال "لا تريدني أن أتخطى هذا البساط إذن؟" سكت قليلاً ثم قال "أحترم هذا" ثم أدخل سيفه واستدار وقال "سأنتظرك في الخارج إذن" ثم سار خارجاً من الكهف.

جلس على صخرة في الخارج وقال في نفسه "ما الذي أفعله؟ هل كنت أكلم حيواناً قبل قليل؟! ولكن ما هذا الحضور؟ كدت أفقد الوعي عندما نظر إليَّ، أتساءل كيف سيكون الأمر عندما أقاتله؟" ثم نظر حوله وقال "هذا المكان جميل للغاية يمكنني أن أجلس قليلاً لأفكر" ثم وقف بلهفة وقال "لكن لا وقت لهذا "قاي" و"نورا" يعتمدان عليَّ".

نظر فوق الجبل فوجد "إزيل" يلوح له فقال مستغرباً "ماذا يريد هذا المجنون؟" ثم شاهده يشير إلى مكان ما فتسلق شجرة قريبة منه ليحصل على رؤية أفضل فإذا به يرى أفواجاً من الفهود السوداء تقترب بسرعة من الحقل وتحمل الكثير من الحيوانات الميتة وظل يراقبهم إلى أن وقفوا أمام الكهف ثم وضع كل منهم ما يحمله.

بعدما انتهوا تراجعوا إلى الوراء ثم انحنوا في صمت وبعد قليل خرج "كاينوا" من الكهف وأخذ الطعام، قال الشاب في نفسه "لقد خرج! ولكن مع كل هذه

الفهود سيكون الأمر مزعجاً" ثم أحس بشيء غريب يزحف على قدمه ثم ألم شديد جعله يفقد توازنه ويسقط من فوق الشجرة.

وهو مستلقي على الأرض نظر لساقه اليسرى فوجد حيَّة صغيرة ملتصقة بها فنزعها بسرعة ورماها وهو يتألم ثم نظر أمامه فوجد "كاينوا" والفهود السوداء يحدقون فيه.

نهض بسرعة ثم قال "تباً لهذا" ثم استدار وركض ناحية الجبل بسرعة، وقف أمام الجبل ثم نظر وراءه فلم يجد أحداً يلاحقه فتعجب وقال "أين هم؟"، سقط حجر صغير من الأعلى على رأسه فأمسك رأسه متألماً ثم نظر فوقه فوجد "إزيل" يشير إليه بأن يصعد.

صعد الجبل بصعوبة وهو يمسك ساقه من الألم، قال "إزيل" "لم يكن يلاحقك أحد منذ البداية، أخبرتك أن تلك الفهود لا يمكنها أن تؤذي أحداً داخل هذا الحقل"، قال الشاب متألماً "لقد عضتني أفعى في ساقي، إنها تؤلم بشدة"، قال "ما لونها؟"، قال "وهل سيهم؟"، قال "نعم"، قال "حمراء بخطوط سوداء"، سكت قليلاً ثم قال "تلك الأفعى سامة، سمها يصيب بالشلل"، تعجب وقال "ماذا؟!"، قال "فك وثاقي بسرعة".

سكت وهو يحدق فيه فقال "ليس هناك وقت لتفكر ستفقد الشعور بقدميك في أي لحظة"، سقط الشاب على الأرض فجأة وقال متعجباً "لا يمكنني الشعور بقدمي"، قال "إزيل" "أخبرتك، أسرع وفك هذا الحبل عني قبل أن تفقد يداك أيضاً".

حاول الوقوف ولكنه لم يستطع فبدأ يزحف باتجاهه ثم توقف فجأة وقال "يدي اليسرى لا تتحرك" ثم استمر في الزحف بيده اليمنى إلى أن وصل إلى الصخرة وقطع الحبل بسيفه ثم سقطت يده على الأرض، ركض "إزيل" أسفل الجبل بسرعة والشاب ينظر إليه ويقول "ماذا ..... ؟" ثم فقد الوعي.

بعدها بفترة فتح الشاب عينيه ونظر إلى القمر الذي يضيء سماء الليل ثم جلس بسرعة ونظر حوله فوجد "إزيل" جالس بجانبه ينظر إلى القمر ثم نظر إليه وابتسم وقال "أخيراً" ثم أعاد النظر وقال "هل تساءلت يوماً ما هذا الشيء؟"، سكت لبرهة ثم قال "إنه يسمى القمر" ثم حرك يديه وقدميه وقال "ظننت أنني سأصاب بالشلل، ماذا حدث؟"، قال "إزيل" "أعلم ما يُسمى لقد قرأت عنه كثيراً في كتب "سيارا" ولكن هناك شيء غامض وجميل بشأنه لم يذكر في أي من تلك الكتب".

قال الشاب "لم تُجب على سؤالي، ماذا حدث؟"، حدق فيه قليلاً ثم قال "لقد أعطيتك الترياق قبل أن تفقد أطرافك للأبد"، سكت لبرهة ثم قال "كنت أظن أنك ستهرب وتتركني"، قال "ولماذا أفعل؟!"، سكت قليلاً ثم ابتسم وقال "صحيح" ثم قال "على كل حال شكراً لك، أنا مدين لك".

قال "إزيل" مبتسماً "لا تشكرني أنا أفعل ما أريد، لماذا لم تبدأ قتالك معه؟"، قال "هو من لا يريد أن يقاتل"، قال "هل ضربته بالسيف؟"، قال "بالطبع لا، لن أفعل إن لم يكن مستعداً، لا شرف في هذا".

ابتسم وقال "أسلوب "جاس"؟ عليك أن تتعلم أسلوباً آخر".

قال "ألن يقاتلني إلا عندما أبدأ أنا؟"، قال "عندما دخلت كهفه أو ركضت أمامه لماذا لم يهاجمك؟"، قال "لا أدري"، قال "إن ركضت نملة أمامك هل ستهاجمها؟"، سكت قليلاً ثم قال "إذن أنا كنملة بالنسبة له"، قال مبتسماً "أنت كذلك".

سكت قليلاً ثم ابتسم وقال "ياله من ملك" ثم سأل "هو لا يخرج من ذلك الكهف؟"، قال "عندما يبدأ قتاله مع شخص هو لا يقاتله في الداخل، أو عندما يأخذ طعامه"، فكر قليلاً ثم قال "لقد جاءتني فكرة".

في صباح اليوم التالي انتظر الشاب إلى أن رأى الفهود السوداء قادمة بالطعام الذي يقدمونه لملكهم ثم نزل من على الجبل بسرعة واقترب من الكهف واختبأ خلف أحد الأشجار.

وضع الفهود الطعام أمام الكهف وانحنوا فركض مسرعاً ثم ربطه بحبل وسحبه بعيداً عن الكهف والفهود ينظرون إليه بصمت.

خرج "كاينوا" فناداه الشاب "أنت، لا غداء لك اليوم ما لم تهزمني"، حدق فيه قليلاً ثم في أجزاء من الثانية كانت مخالبه ممسكة به وقبل أن يستوعب ما حدث ضربه بقوة جعلته يحلق بعيداً إلى أن اصطدم بأحد الأشجار بقوة وفقد الوعي ثم أخذ "كاينوا" الطعام ودخل الكهف.

بعد عدة ساعات فتح الشاب عينيه بقوة وجلس وأمسك صدره فجأة وهو يتنفس بصوت مرتفع، قال له "إزيل" "اهدأ، أنت بخير"، نظر إليه ثم نظر إلى جسده الذي تغطيه أوراق الشجر وقال "ماذا كان هذا؟"، قال "كنت أعلم أنك مميز، في الغالب يموت من يقاتله من أول ضربة".

سكت قليلاً ثم قال "أنا لم أره"، قال "أخبرتك أنه سريع".

قال "كيف يكون سريعاً هكذا وهو بتلك الضخامة؟ ما هذا الوحش؟"، قال مبتسماً "هل ستستسلم؟"، حدق فيه لبرهة ثم قال "هذا ليس خياراً" ثم قال "ما الذي تشويه؟"، قال "أحد الغزلان"، صدر صوت قوي من معدة الشاب فابتسم "إزيل" وقال "سوف يجهز قريباً"...

قال الشاب وهو يأكل "عندما دخلت الكهف وجدته نائماً في غرفة يبدو أن إنساناً بناها، كيف هذا؟"، قال "إزيل" "كان له سيد"، سأل "ماذا؟"، قال "تقول الأسطورة أن راهباً كان يعيش في هذا المكان وعندما مات استخلف ذلك الوحش ليحميه"، سكت الشاب وهو يفكر، قال "إزيل" "لو قاتلناه نحن الاثنان سيكون" قال بحزم "لا"، فسكت وهو يحدق فيه فقال "غداً سيكون مختلفاً".

في اليوم التالي فعل نفس الشيء وانتظر "كاينوا" ليخرج فخرج ونظر إليه فقال الشاب مشيراً بسيفه "تعال أيها الوغد، لن تُفاجأني هذه المرة".

اختفى "كاينوا" من أمامه في لحظة فتفاجأ وقال وهو يلتفت "من الخلف؟!!!" ثم وجد نفسه يحلق بعيداً عن الكهف.

نزل على قدميه وهو يتألم ويسعل دماً ثم صاح بصوت مرتفع وركض نحوه ملوحاً بالسيف، أمسك "كاينوا" السيف بمخلبين من مخالبه وضربه بمخالب اليد الأخرى في صدره فتراجع الشاب للوراء ثم سقط على ركبتيه وهو يسعل دماً.

سار إليه "كاينوا" ببطء ثم أمسك به ورفعه عالياً وحدق فيه والشاب وهو يبتسم ويقول "اقتلني .. إن أردت ... لست نادماً على شيء"، فتح "كاينوا" فمه وقضم يده اليسرى فصرخ من الألم ثم ألقاه على الأرض وأخذ الطعام وسار إلى الكهف.

"انتظر".

نظر "كاينوا" وراءه فوجده واقف ممسك ما تبقى من زراعه التي تسيل دماً ويأخذ أنفاسه بصعوبة ثم قال "أنا لم ... أنتهي ... منك بعد" ثم سقط على الأرض تسيل منه الدماء.

حدق فيه "كاينوا" قليلاً ثم دخل الكهف.

بعد فترة فتح الشاب عينيه في ضوء القمر وظل يحدق فيه لفترة ثم نظر بجانبه فوجد "إزيل" ينظر إلى القمر فقال في نفسه "ظننت أنني سأموت هذه المرة" ثم نظر إلى يده اليسرى بألم وحاول تحريك ما تبقى منها دون أن يقول شيئاً.

انتبه له "إزيل" وقال مبتسماً "كنت حزيناً عندما فقدت عيني اليسرى أيضاً ولكن لا تقلق ستعتاد على الأمر" ثم قال "كنت أشاهد من مسافة قريبة هذه

المرة وكنت متأكد أنك ستموت عندما طعنك بمخالبه في صدرك ولكن أنقذتك تلك القلادة، إنها من "سيارا" أليس كذلك؟ ولكنك لست من هناك بالطبع، كيف حصلت عليها إذن؟".

نظر الشاب إلى القلادة التي أحدث المخلب حفرة فيها وقال في نفسه "هذه هي المرة الثانية التي تنقذ فيها هذه القلادة حياتي" ثم سكت وهو ينظر إلى يده بحزن ثم قال "لم أره هذه المرة أيضاً، لم أكن أتخيل أن يوجد كائن بهذه السرعة، يبدو وكأنه لا يتحرك ولكن ينتقل لحظياً، كيف أقاتل شيئاً كهذا؟"، قال "إزيل" "هناك طريقة"، نظر إليه معجباً فقال "أسلوب قتال يستحيل إتقانه، حاولت أن أتمرن عليه ولكني فشلت ... أكثر من مرة"، سكت لبرهة ثم قال "وما المميز فيه؟".

قال "يجعلك تقاتل دون أن ترى"، سأل مستغرباً "كيف هذا؟".

قال "هذا ما يجعله مستحيلاً، لا أحد يعلم"، قال "لست في مزاج لهذا"، قال "يقال أن معلماً في "نوشاي" فقد عينيه واخترع هذا الأسلوب وقبل أن يموت سأله تلاميذه عن سره فقال "أغلقوا عيونكم وأفتحوا عقولكم وسترون أفضل"".

سكت وهو يفكر ثم قال "كم تبقى على الحرب؟"، قال "26 يوماً"، قال "هل ستساعدني؟"، ابتسم وقال "هذه هي الروح، سيكون هذا ممتعاً".

في صباح اليوم التالي نزل الاثنان من فوق الجبل وخرجا من الحقل وذهبا إلى أرض خضراء واسعة قريبة من هناك، ربط الشاب وشاحاً حول عينيه وأمسك بغصن شجرة وأمسك "إزيل" غصناً آخر ثم قال الشاب "أنا مستعد".

ركض "إزيل" نحوه بسرعة وهو واقف لا يتحرك ثم لوح بالغصن في اتجاه وضربه "إزيل" من الناحية الأخرى على وجهه بقوة فسقط على الأرض وهو يتألم ثم نزع الوشاح وقال بغضب "اللعنة!! هل جننت؟ كدت تكسر عنقي أيها الوغد"، ابتسم "إزيل" وقال "أنا لست مثل "جاس" هذه طريقتي في التدريب".

تنهد ثم وقف وأمسك بالغصن وقال "حسناً" ثم أخذ نفساً عميقاً ووضع الوشاح على عينيه وقال "هيا"، انطلق "إزيل" نحوه بسرعة فتراجع عدة خطوات للوراء وهو يلوح بالغصن في كل اتجاه فالتف "إزيل" حوله وضربه بالغصن فأوقعه على الأرض.

نزع الوشاح بقوة ورماه على الأرض وقال بغضب "هذا لن يجدي"، قال "أخبرتك أنه مستحيل"، قال "سأبد بالفهم إن توقفت عن ضربي بتلك القوة أيها الوغد"، قال مبتسماً "لا يمكنني".

قال "لابد أن تكون هناك طريقة أخرى للتدريب لا تتضمنك فيها، أنت و"إلينار" لا تفرقان بين التدريب والتعذيب، أنا أفتقد المدرب" ثم جلس ليفكر ثم قال "أغلق عيني وأفتح عقلي، ماذا يقصد بهذا؟"، قال "إزيل" وهو يبتعد "هناك شلال صغير ليس بعيداً عن هنا، اجلس أسفله وسيساعدك على التفكير" ثم أشار إلى الشرق وقال "سر في هذا الاتجاه ولكن انتبه فهناك وكر أسود خلف الشلال" ثم سار مبتعداً.

نظر إليه وهو يبتعد ثم وقف ومشى، بعد فترة وجد شلالاً يصب على صخرة فخلع ملابسه وجلس فوقها وأغمض عينيه وبدأ يفكر.....

بعد ساعات فتح عينيه وابتسم وقال "لقد فهمت" ثم وقف وسار خلف الشلال فوجد عشرات الأسود مجتمعين تحت ظل أحد الأشجار فأخذ نفساً عميقاً ووضع الوشاح على عينيه وأخرج سيفه وسار نحوهم.

في اليوم التالي استيقظ "إزيل" ثم نظر حوله وقال مستغرباً "أين هو؟!" ثم وقف وسار إلى الشلال فلم يجده هناك فقال متنهداً "ربما التهمه أحد الأسود، مع أنني حذرته" ثم سار متخطياً الشلال وارتفع حاجباه واتسعت عيناه من الدهشة، وجده واقف في بحر من الدماء مغطى بالدماء وحوله عشرات الجثث من الأسود.

اقترب منه ثم حدق فيه واهتز جسده وهو يضحك بصوت مرتفع وقال "هذا ممتع للغاية!!!"، واستمر جسده في الارتعاش والدموع تجري في عينيه ثم حمله وسار وعيناه تفيضان بالدموع.

بعد يومين أفاق الشاب ونظر حوله فوجد "إزيل" يقوم بشواء الكثير من الحيوانات فنظر إليه متعجباً وقال "ماذا تفعل؟ لمن كل هذا؟"، نظر إليه وابتسم وقال "لك بالطبع"، سكت قليلاً ثم قال "كيف وجدتني؟"، قال "وحشاً لم أرى له مثيل"، فابتسم وقال "كيف عثرت عليَّ؟".

قال "إزيل" "لقد فقدتَ الوعي واقفاً؟!!!"، سكت قليلاً ثم قال "حقاً؟!"، فابتسم وقال "نعم" ثم قال "هل هكذا كان يدربك "جاس"؟ كل شيء أو لا شيء؟"، قال "لا، هكذا قررت أن أعيش".

ابتسم وقال "حسناً، لنأكل ثم نرى لأي مدى تقدمت" ثم وضع مختلف أصناف الطعام أمامه وجلس بجانبه وبدأ الاثنان بالأكل ثم ذهبا إلى الأرض الخضراء التي كانا يتدربان فيها ثم أغلق الشاب عينيه وأمسك سيفه وقال "قاتلني كما كنت تفعل".

قال "إزيل" ممسك سيفاً آخر "ستموت إن فعلت"، قال "أنت لست والدتي لتقلق عليَّ"، ابتسم وقال "كما تريد" ثم انطلق نحوه ملوحاً بالسيف، ركض الشاب نحوه بسرعة والتحم السيفان بقوة، ابتسم "إزيل" وسحب سيفه بسرعة وفي نفس اللحظة أشار الشاب بالسيف نحو عنقه وتوقف قبل أن يخترقها.

رفع "إزيل" حاجبيه وقال "لا يصدق"، فتح الشاب عينيه وقال مبتسماً "انتصرت"، لم يقل "إزيل" شيئاً وهو يحدق فيه ثم بدأ يضحك ويقول "حسناً، كان هذا رائعاً، تعلمت في يوم ما عجز عنه آخرون في سنوات"، قال الشاب وهو يسير "هيا، لم يتبق الكثير على الحرب" ثم نظر إلى السماء وقال "هناك الكثير من الغيوم اليوم، هل ستمطر؟".

قال "إزيل" "ربما"، نظر إليه الشاب ثم قال مستغرباً "ما هذا الوجه؟"، قال بحزن "أنا لم أندم على أي شيء فعلته من قبل إلا الآن"، قال "عن ماذا تتحدث؟"، قال "كسرت أفضل ألعابي"، سكت قليلاً ثم قال بيأس "لماذا أحاول؟"، ثم أكملا طريقهما للكهف.

استلقى "إزيل" في ظل أحد الأشجار وقال "مقعد في الصفوف الأمامية" ثم نظر إلى الشاب وابتسم وقال "إن لم أستمتع بهذا أقسم أنني سأقتلك".

نظر إليه بصمت ثم أكمل طريقه دون أن يقول شيئاً.

جلس لينتظر أن تأتي الفهود بالطعام ثم أخذه وأبعده عن الكهف.

خرج "كاينوا" ونظر إليه فابتسم وأغمض عينيه ورفع سيفه، في لحظة اختفى "كاينوا" وفي نفس اللحظة قفز الشاب للوراء فاصطدمت مخالبه بالأرض ثم نظر إلى الشاب وحدق فيه بصمت.

انطلق الشاب نحوه بسرعة فاختفى "كاينوا" مجدداً وظهر خلفه وضرب بقوة بأحد مخالبه مستهدفاً رأسه فانحنى الشاب بسرعة وفي نفس اللحظة أدار جسده بالكامل وضرب يد "كاينوا" بالسيف ولكنه سحبها بسرعة وتراجع الاثنان للوراء.

ابتسم الشاب وقال "ليس سيئاً" ونظر "كاينوا" إلى يده التي جُرحت وتسيل منها الدماء ثم تغير وجهه واختفى مجدداً وظهر أمام الشاب فتفادى ضربته فظل يحاول أن يضربه بسرعة لا يمكن وصفها ولكن الشاب يتفادى كل ضربة كأنه يعلم من أين ستأتي مُسبقاً و"إزيل" جالس يهتز جسده بأكمله من الإثارة ولا ترمش عيناه.

بعد ساعة من القتال توقف الاثنان وهما يلتقطان أنفاسهما وتسيل الدماء من الجروح التي تملأ جسديهما، قال الشاب وهو يلتقط أنفاسه "ألم تستسلم بعد؟" ثم أحس بقطرات من الماء تسقط على جسده فقال في نفسه "مطر؟!! تباً لقد توقعت هذا، هذا الأسلوب لن يعمل في المطر، عليَّ أن أنهي هذا بسرعة".

فجأة فتح "كاينوا" فمه وأخرج صوتاً عالياً للغاية هز المكان بأكمله، تعجب وهو يسد أذنيه ثم قال مستغرباً "ماذا كان هذا؟!!!"، بدأ الفراء الذي يغطي جسد "كاينوا" يتغير لونه ببطء وعيناه تميلان للحمرة.

تراجع الفهود وهربت الحيوانات وقال "إزيل" متعجباً "ما هذا الشيء؟!" ثم صاح بصوت مرتفع "أهرب" واستدار وركض بسرعة.

تعجب الشاب وقبل أن يصله صوت "إزيل" وقبل أن يفتح عينيه شعر أن هناك شيئاً قادماً ولكن لم يعلم من أي اتجاه فاستدار وركض بأقصى سرعة إلى الوراء وفتح عينيه ولكن لم ينظر خلفه وظل يركض حتى خرج هو و"إزيل" من الحقل.

اشتد هطول المطر ووقف مع "إزيل" خارج الحقل ثم قال "ما الذي حدث؟! تغير الجو فجأة"، قال "إزيل" وهو يُخرج سيفه "تابع الركض سأقوم بتأخيره، جيش بأكمله لن يكفي لهزيمة هذا الوحش".

حدق فيه بصمت ثم نظر إلى الغيوم التي يتساقط منها المطر وقال "لا يمكنني قتاله هكذا"، قال "إزيل" "أعلم، لقد بدأت أفهم كيف يعمل هذا الأسلوب، أنت تحتاج كماً هائلاً من التركيز لتستخدمه وهذا المطر سيعيق تركيزك" ثم قال "اذهب ثم عد عندما يتوقف".

أخرج الشاب سيفه ثم قال "لا يمكنني أن أهرب"، قال "إزيل" "لماذا؟!"، قال بحزم "لم يُربني "إلينار" أو يدربني "جاس" لأكون جباناً، لقد بدأت هذا القتال وسأنهيه".

بدأت الأشجار التي أمامهما تهتز فأخذا وضعية القتال ثم خرج من بينها وحش فراؤه أسود من الليل وعيناه ومخالبه وأنيابه ملونة بالدماء، نظر الاثنان إليه وارتعشت جلودهما وتوقفت أنفاسهما وتجمدت أقدامهما وتسارعت دقات قلبيهما.

توقف "كاينوا" عندما بلغ حدود الحقل وحدق فيهما قليلاً ثم أظهر أنيابه في شكل ابتسامة وأشار إلى الشاب بيده ليأتي إلى الداخل.

سقط الشاب على ركبتيه وهما يرتعشان ولم يبعد عيناه عنه، ظل الاثنان يتبادلان النظرات لفترة ثم استدار "كاينوا" وعاد أدراجه.

سقط "إزيل" على الأرض جالساً ثم قال وجسده يرتعش "هكذا يبدو الشيطان إذن؟!!!"، جلس الشاب وعلى وجهه رسمة عنوانها الخوف ثم قال في نفسه "لم أشعر بهذا الرعب من قبل، هل هذا شكله الحقيقي؟!!" ثم قال "لماذا لم يقتلنا؟"، قال "إزيل" "يبدو أنه لا يمكنه أن يغادر هذا الحقل لسبب ما، حركاته تأكد هذا".

حاول الشاب الوقوف مع ارتعاش قدميه ثم سار مبتعداً، نظر إليه "إزيل" وهو يبتعد ثم أعاد النظر أمامه وقال "وأنا الذي كنت أظن أنني رأيت كل شيء، هذا العالم لا يكف عن مفاجأتي".

جلس الشاب أسفل الشلال وأخذ نفساً عميقاً ثم أغمض عينيه...

بعد فترة فتح عينيه بهدوء ثم وقف وسار باتجاه الحقل، عندما اقترب شاهد "إزيل" يقوم بطهي الكثير من الطعام فابتسم.

عندما اقترب أكثر قال "إزيل" "انتهيت أخيراً؟! لقد بدأت أشعر بالملل"، قال "لماذا؟ لقد مرت عدة ساعات فقط"، قال مستغرباً "ماذا تقصد؟ أنت هناك منذ يومين"، قال "ماذا؟!! حقاً؟!! لهذا السبب أنا جائع بشدة" ثم قال "لم أشعر بمرور الوقت"، قال وهو يناوله قطعة كبيرة من اللحم "لن تصدق"، قال "ماذا؟"، قال "أنهي طعامك وسأريك".

بعدما أنهى طعامه أخذه "إزيل" إلى كهف "كاينوا" وعندما وصل رأى جميع الحيوانات والفهود الذين في الحقل واقفين حول الكهف بصمت.

قال متعجباً "ما هذا؟"، قال "يبدو أنه يدفع الثمن"، قال "أي ثمن؟"، قال "ثمن التحول الذي قام به عندما كنت تقاتله".

سكت قليلاً ثم قال "ما خطبه؟"، قال "لم يتحرك أو يأكل منذ ذلك اليوم"، سكت وهو يفكر ثم سار مُخترقاً جموع الحيوانات ثم أشار إلى "إزيل" بأن يتبعه، قال متنهداً "كنت أعلم أنك ستفعل شيئاً كهذا" ثم سار وراءه.

دخلا الكهف واتجها إلى غرفة "كاينوا" فوجدا وجهه شاهباً وعيناه وأنفه تسيل منهما الدماء، قال "إزيل" "إن حالته أسوء مما تخيلت".

حدق هو والشاب في بعضهما ثم حاول "كاينوا" الوقوف ولكنه لم يستطع، اقترب الشاب ووقف أمام البساط الأبيض ثم وضع قدمه اليمنى عليه فزأر "كاينوا" بصوت يتخلله الألم فقال "اهدأ، لست هنا لإيذائك" ثم اقترب أكثر حتى تلاقت أنفاسهما.

وضع يده على رأسه فزمجر "كاينوا" وهز جسده محاولاً إبعاده فقال "لا أعلم إن كنت تفهم ما أقول أم لا ولكن أشعر أنك تفعل، أعتذر أنني دفعتك إلى هذا الحد، هذا كله خطئي، إن كان هناك شيء يمكنني أن أفعله لأصلح هذا فلن أتردد".

بعد دقيقة من التحديق هدأ "كاينوا" واسترخى جسده ثم رفع ذيله وأشار به لأحد الجدران، نظر الشاب إلى الجدار ثم نظر إلى "إزيل" فقال "حسناً، سأتفقده" ثم سار نحوه وبدأ يتفحصه ثم قال "لا أفهم شيئاً من هذه النقوش"، اقترب الشاب ثم قال "ربما هي نوع من اللغات"، قال "لا، أنا أعلم كل لغات "نوشاي"، هذه ليست لغة إنها نقوش فقط، ربما هناك نوع من التشفير، دعني أفكر".

حدق الشاب في الجدار قليلاً ثم قال مشيراً إلى أحد النقوش "كل النقوش تشير إلى هذا الاتجاه إلا هذا فهو يشير إلى الاتجاه الآخر"، نظر "إزيل" إليه ثم ذهب إلى النقش وضغط عليه فانفتح باب سري بجانبه.

اقترب الشاب منه ثم ابتسم وقال "أحياناً تكون أبسط الأشياء أكثرها خداعاً" ثم دخل من الباب، ابتسم "إزيل" ثم قال "كنت سأكتشف هذا في مرحلة ما" ثم سار وراءه، أشعل أحد المشاعل ونظر إلى الغرفة المليئة بالكتب والمخطوطات القديمة ثم قال مستغرباً "لقد أخبرتني "نورا" أن شعب "نوشاي" لا يقرأ".

قال "إزيل" وهو يتفقد أحد المخطوطات "ليس الكل ولكنه شيء نادر هنا"، قال "هل يمكنك قراءتهم؟"، قال "إنها لغة قديمة بعض الشيء ولكن لا مشكلة"، قال "حسناً، أخبرني إن وجدت شيئاً".

بعد عدة ساعات دخل الشاب الغرفة فوجد "إزيل" مستغرق في القراءة فسأله "هل وجدت شيئاً مهماً؟"، قال "ليس لديك فكرة"، قال "هل وجدت علاجاً له؟"، قال "نعم"، قال بلهفة "ماذا؟"، قال "دماؤك"، قال متعجباً "ماذا؟"، قال "مكتوب أنه لعلاج تلك الحالة يجب عليه أن يشرب من دماء من جعله يدخل فيها".

قال "هل أنت متأكد؟"، قال "أنا أقرأ لك ما هو مكتوب فقط"، سكت لبرهة ثم أمسك كأساً ذهبياً موضوعاً على أحد الرفوف وخرج ووقف أمام "كاينوا" ثم جرح يده وجمع الدماء في الكأس ثم قال "أعلم أنك لا تثق بي ولكن هذا هو العلاج، افتح فمك"، حدق فيه "كاينوا" قليلاً ثم فتح فمه فسكب ما في الكأس في فمه وشربه "كاينوا".

لم يتغير شكله فذهب إلى "إزيل" وقال "لم يعمل"، قال "إنه ليس سحراً، أعطه بعض الوقت" ثم أغلق الكتاب وقال "اجلس، هناك شيء يجب أن تعلمه"، نظر إليه مستغرباً ثم جلس وقال "ماذا؟"، قال "هل تملك اسماً؟"، قال "ما الهدف من هذا السؤال الآن؟".

قال "ما هو؟"، قال "ليس لدي اسم ولا أريد واحداً، أنا سعيد هكذا".

سكت قليلاً ثم قال "هذا غريب ولكن لا بأس، لا يهمني كم عمرك أيضاً، لا يمكنني أن أنظر إليك أنك أقل مني بعد الآن"، سكت وهو يحدق فيه ثم قال "وأنا لا يمكنني أن أنظر إليك كعدو بعد الآن".

عم الصمت قليلاً فقال الشاب "هذا لا يعني أنني سأنسى ما فعلته للمدرب وللملكين ستنال عقابك على هذا"، قال "إزيل" "تذكر عندما كنا نتقاتل أعلى الجدار ... السيف الذي كنت أقاتلك به كان مسموماً وذلك السم لا علاج له" لم يرد الشاب فأكمل "كان يجب أن يقتلك هذا السم منذ أسبوع تقريباً ولكنني كل يوم كنت أطعمك الكثير من الأعشاب التي تأخر مفعوله والكثير من مسكنات الألم لكيلا تشعر به ولكن هذا ليس علاجاً ولن يستمر طويلاً، في أي لحظة يمكن أن ينتصر السم ... وتموت".

سكت قليلاً ثم قال "لماذا تُخبرني بهذا الآن؟"، قال "لم أرد إخبارك من قبل لكيلا أشغل تفكيرك ولكن يجب أن تعلم هذا الآن"، سكت لبرهة ثم قال "أنت لا تكذب؟"، قال "لا"، قال "إذن سأموت؟"، قال "نعم".

سكت لعدة ثوان ثم وقف وقال "لا يمكنني أن أموت الآن، لقد وعدتهما"، قال "إزيل" "لست أنت من يحدد هذا"، قال "ولا أنت".

سكت محدقاً فيه فقال "إن كان قدري أن أموت بهذا السم فهو كذلك وإن لم يكن فلن يقتلني" ثم استدار وقال "في كلتا الحالتين لن أقف وأشاهد" ثم سار خارجاً من الغرفة.

توقف وقال دون أن ينظر وراءه "لست نادماً على شيء فعلته إلا شيئاً واحداً"، قال "إزيل" "ما هو؟".

فنظر إليه ثم ابتسم وقال "أنني لم أستطع مساعدتك".

اتسعت عينا "إزيل" ولمعت في رأسه ابتسامة والدته التي كانت تماماً كابتسامته وتدفقت صورها والذكريات التي عاشها معها ثم قال مندهشاً "أمي!" ثم بدأت الدموع تسيل على خديه.

نظر إليه الشاب مستغرباً ثم ابتسم وقال في نفسه "لقد كنت مخطئاً، إنه يمتلك قلباً ... ولكن تملأه الجراح" ثم سار إلى "كاينوا" الذي نام من التعب ثم وضع يده على رأسه وابتسم وقال "أرجو أن تتحسن بسرعة" ثم التفت وسار مغادراً الكهف و "كاينوا" ينظر إليه.

حل المساء، استلقى الشاب تحت أحد الأشجار القريبة من الكهف ثم نظر إلى السماء التي تلونها النجوم وقال "أريد أن أمنع تلك الحرب بأي ثمن، لا يهمني إن مت بعد ذلك" ثم أغمض عينيه وقال "لم يتبقى إلا 19 يوماً على الحرب، أتمنى أن يكونا قد وصلا إلى هناك".

في اليوم التالي استيقظ الشاب على رائحة الشواء، فتح عينيه فوجد "أزيل" يقوم بطهي بعض الحيوانات وحوله مختلف الأطعمة الأخرى، اقترب منه ثم قال "من علمك الطبخ؟"، نظر إليه وابتسم وقال "الحياة" ثم قال "لقد جمعت كل ما استطعت من الأعشاب التي تقاتل هذا السم وطهوت الطعام بالأعشاب المسكنة كما كنت أفعل لكيلا تشعر بطعمها المر".

سكت قليلاً ثم قال "متى جمعت كل هذا؟"، قال مبتسماً "لم أنم بالأمس"، حدق فيه لبرهة ثم جلس وقال "لا أدري ما أقول"، قال "لا تقل شيئاً، هذا أقل ما يمكنني فعله، لقد ذكرتني بشيء ... مهم".

قال وهو يتناول بعض الأعشاب "والدتك؟! ألم تكن تذكرها؟"، قال "لا، بدأت ذاكرتي في غرفة في أحد الملاجئ"، قال مستغرباً "هل نشأت في ملجأ أيضاً؟"، قال "نعم ويبدو أنك فعلت، أين؟"، قال "الجزيرة".

قال "الأنقاض؟!"، قال "لم نعد نسميها هكذا ولكن نعم"، سكت قليلاً ثم قال "وماذا تسمونها إذن؟!"، قال " "ديسارا" أرض الأحلام".

حدق فيه لثانية ثم بدأ يضحك بصوت مرتفع ثم قال "أنت هو أليس كذلك؟ أنت هو الطفل الذي تتحدث عنه النبوءة"، قال "أخبرني المدرب عنها وكان هذا صادماً بعض الشيء"، قال "أخبرك "جاس" إذن؟! هذا رائع"، قال "ولكن هناك جزء مفقود"، قال "إزيل" مبتسماً "أنا أعلمه"، قال مستغرباً "ماذا؟! كيف؟!"، قال "شاهدته في حلم"، ضحك وقال "حلم؟! لقد تحمست بدون سبب"، قال "لا تستهن بالأحلام يا فتى، أحياناً تكون بوابة على الواقع".

قال "حسناً وماذا رأيت؟"، قال "لن يعجبك"، قال "أخبرني"، قال "صدقني لن تحبه"، قال منزعجاً "أخبرني فقط".

خرج "كاينوا" من الكهف ويبدو أفضل بكثير وعندما شاهده الفهود والحيوانات الأخرى بدؤوا بالرقص وإصدار الأصوات فرحاً بشفائه، نهض الشاب و"إزيل" ثم قال الشاب مبتهجاً "لقد نجح، حمداً لله"، قال "إزيل" "كن حذراً، فنحن لا نعلم"، ركض نحوه متجاهلا كلامه فانتبهت له الفهود ووقفوا أمامه وكشروا عن أنيابهم فتوقف ورفع يديه وقال "لست هنا للقتال".

زمجر "كاينوا" بصوت مرتفع فابتعدت الفهود والحيوانات على جانبي الكهف ثم سار قاصداً الشاب.

أمسك الشاب سيفه ورماه بعيداً ثم قال "كما قلت، لن أقاتلك بعد الآن، إن أردت أن تقتلني فافعل"، وقف "كاينوا" أمامه وتبادلا النظرات الصامتة ثم نزل على ركبتيه وانحنى له، انحنت الفهود تبعاً لقائدهم وانحنت الحيوانات أيضاً وعم الصمت أرجاء المكان.

اقترب "إزيل" منه ثم قال "يبدو أنه اعترف بك، لقد أصبحت سيده، مبارك لك"،

قال "لا أهتم لما تقوله تلك الأسطورة، إياك أن تنحني لي مجدداً" ثم ابتسم وقال "من الآن فصاعداً نحن أصدقاء، اتفقنا".

رفع "كاينوا" رأسه ثم زأر بصوت مرتفع فصاحت الحيوانات تبعاً له واهتز المكان بأكمله، ابتسم الشاب ثم قال "سأعتبر هذا نعم"، وضع "كاينوا" ذيله الضخم أمامه ثم أشار له بأن يصعد عليه فقال مبتسماً "بالطبع"، ثم وضعه على ظهره فجلس الشاب وأمسك بفرائه ثم قال "حسناً يا صديقي أرني سرعتك".

انطلق بسرعة جعلت أوراق الشجر تتساقط والشاب متمسك بصعوبة وهو يقول "سريع للغاية، سأسقط هكذا"، توقف "كاينوا" فجأة فاندفع للأمام بقوة وسقط على الأرض.

أمسك ظهره متألماً ثم قال "أنت لم تعتد أن تحمل أحداً، فهمت هذا" ثم نظر حوله فوجد نفسه خارج الحقل ثم نظر إليه فوجده واقفاً على حدود الحقل فوقف ثم قال "سيدك السابق هو من أمرك بألا تغادر الحقل؟"، فحرك رأسه موافقاً، قال "بصفتي صديقك الجديد، أنا أحررك من هذا الأمر"، حدق فيه قليلاً ثم خطى خطوة مترددة خارج الحقل.

عندما لمست قدمه الأرض ركض بأقصى سرعة يجوب أرجاء المكان، ابتسم الشاب ثم قال في نفسه "ما هذا الوفاء؟!! مع رغبته الشديدة في الخروج إلا أنه احترم رغبة سيده حتى بعد موته".

وقف أمام الشاب بعدما أنهى جولته فقال "أريدك أن توصلني إلى مكان بعيد عن هنا، هل تمانع؟"، فهز رأسه بالرفض فقال مبتسماً "شكراً يا صديقي، سأتركك لتستريح اليوم وسنرحل غداً".

في اليوم التالي وقف الشاب أمام الكهف مستعداً للرحيل وبيده سرج كبير، وقف "كاينوا" أمام الفهود وقال لهم أشياء يُفهم منها أنه يريدهم أن يحموا

الحقل في غيابه فانحوا له ثم اتجه إليه ووضع ذيله أمامه فصعد عليه ثم وضع السرج وربطه حول ظهره ثم جلس وقال "يمكنك السير كما تشاء الآن، هكذا لن أسقط" ثم قال "أين هو؟ ماذا يفعل كل هذا؟".

بعد قليل لاحظ دخاناً يرتفع من جانب الجبل المطل على الحقل، ركض "كاينوا" مسرعاً إلى هناك ثم وقف أمام كومة الكتب التي تتآكلها النيران و"إزيل" واقف أمامها، تغير وجهه وكان على وشك أن يهجم عليه ولكن الشاب قفز بسرعة من على ظهره وأوقفه ثم نظر إلى "إزيل" بغضب وقال "لماذا أيها الوغد؟".

قال "أنفذ وصية من كتبها"، قال "ماذا؟! هل أمر كاتبها بإحراقها؟"، قال "نعم" ثم نظر إلى "كاينوا" وقال مبتسماً "لهذا أمرك بأن تبقى أليس كذلك؟ لتحمي هذا "الشيء"، أنت حر الآن".

نظر "كاينوا" إليه بغضب ثم استدار وأشار للشاب بأن يصعد، قال "أمهلني دقيقة" ثم نظر إلى "إزيل" ولم يقل شيئاً، قال "إزيل" مبتسماً "ألم تقرر بعد؟"، قال "لا يمكنني أن أدعك تذهب ولا يمكنني إيذاؤك بعد كل ما فعلته لي وأيضاً لا يمكنني اصطحابك معي لمكان الحرب لأنهم سيقتلونك، لا أدري ما أفعل".

قال مبتسماً "يمكنك قتلي الآن إن كان هذا سيحل المشكلة، بعد أن تموت أنت سأقتل نفسي على كل حال"، سكت وهو يحدق فيه ثم تنهد وقال "أنت تضعني في موقف سيء" ثم قال "كم يوماً تظن أنه بقي لي؟"، قال "إن التزمت بالتعليمات التي أخبرتك بها وتناولت الأعشاب التي أعطيتك أيها بانتظام فسأقول ثالثة أسابيع كحد أقصى".

قال "وكم بقي على الحرب؟"، قال "17 يوماً"، قال "إن سار ثلاثتنا الآن هل سنصل في الوقت المناسب؟"، قال "ثلاثتنا؟!"، قال "نعم، سترافقني إلى أن أموت ... وعندما أموت سآخذك معي"، حدق فيه ولم يقل شيئاً فلتفت وقال "هيا، لنذهب ونوقف تلك الحرب التي بدأتها"...

في الوقت الحاضر، أخبرهما الشاب بالقصة دون ذكر السم الذي سممه "إزيل" به ".....وذلك ما حدث".

عم الصمت قليلاً ثم قال "قاي" "وأين هو الآن؟"، قال "اختفى قبل أن نصل"، قال "ذلك الرجل ... إنه حقاً ... لا أدري ما أقول"، قالت "نورا" "ليس هناك شيء لقوله، لا يهم من كان ولا كيف كان يفكر، لقد أنقذنا "ياو" وانتهت الحرب وهذا كل ما يهم"، قال "قاي" "لكن ذلك الوحش مازال حياً، من يدري ماذا سيفعل؟"، قال الشاب "هذا ليس مهماً، لم يعد يشكل خطراً بعد الآن، حياة شخص مذنب واحد لا تقارن بحياة آلاف الأبرياء"، فابتسما وقالا "صدقت".

انحنى الشاب وبدى وكأنه يتألم فسأله "قاي" "هل أنت بخير؟"، فابتسم وقال "نعم، لا تقلق"، سكت لبرهة وهو يحدق فيه ثم قال "لقد أخضعت "كاينوا" وأصلحت "الأنقاض" وأوقفت الحرب وأنقذت العالم، ماذا تخطط لأن تفعل بعد هذا؟"، ابتسم ثم قال "أخطط لأن أتقاعد وأذهب لأزور أخي ... فقد افتقدته".

ابتسم "قاي" ثم نظر لأحد الحراس وقال له "اجمع لي الناس وأخبرهم أنني سأعلن شيئاً".

مع شروق شمس اليوم التالي أقيمت منصة في المكان الذي كان ساحة القتال واجتمع سكان المملكتين حولها، صعد "قاي" و "نورا" على المنصة وبدأ "قاي" خطابه.

"يوم أمس كان يوماً مؤلماً سيكون من الصعب أن ننساه وبعضنا لن يستطيع أن ينساه وآخرون سيعانون منه لفترة طويلة، مع أننا عالجنا الجرحى ودفنا الموتى وعاقبنا المذنبين إلا أن الألم الذي نشعر به لن يختفي بتلك البساطة، لن أقول لكم أن تنسوا هذا الألم، يمكننا أن نتألم، يمكننا أن نندم، يمكننا أن نبكي قدر ما نشاء ولكننا لن نجعل هذا يحطمنا، الناس تخطئ، وإن لم نخطئ فلن نتعلم ومهما فعلنا فلن يمكننا تغيير ما حدث لكننا سنقف ونواجه أخطاءنا وسنكون

شيئاً أفضل لأنه من الآن فصاعداً سيتغير كل شيء ... لن يعود كل منا لمملكته كأن شيئاً لم يكن لأنه مهما أنكرنا فإننا حاولنا أن نقتل بعضنا في يوم من الأيام، كيف يمكننا أن ننظر في وجوه بعضنا بعدما فعلنا؟ ... لن يعود كل منا لمملكته لأنه لن تكون هناك مملكتان تحكمان العالم بعد الآن" ثم نظر إلى "نورا" وقال "هل تتزوجينني؟".

فاحمر وجهها ثم قالت بخجل "نعم ... بالطبع".

"من الآن فصاعداً ستكون "سيارا" و "نوشاي" مملكة واحدة".

ملأت الصيحات المكان، عانق الناس بعضهم، الجميع يبكون، والجميع يضحكون، والجميع لا يصدقون، ليس هناك داع للحرب بعد الآن.

أتحدت "سيارا" و "نوشاي".

بعد أن أنهى "قاي" خطابة سأل عن الشاب فقال له أحد الحراس أنه رحل وقال "قل للملكين أنني استمتعت برفقتهما وقل لهما أننا سنتقابل مجدداً في يوم من الأيام"، قال "ماذا؟ منذ متى؟"، قال "منذ قليل"، فقال "من أي طريق ذهب؟"، فأشار إلى الطريق فركض "قاي" وقال الحارس "لا جلالتك أنت مصاب".

ركض بسرعة رغم إصابته التي تقطر دماً وهو يقول "ذلك الأحمق، أنا لم أشكره حتى"، بعد فترة قصيرة أدركه ونادى عليه فنظر الشاب خلفه وقال مستغرباً "قاي؟! ماذا تفعل هنا؟"، التقط أنفاسه ثم قال "أيها الوغد، أين تظن أنك ذاهب؟ يجب أن يعرف الناس من أنقذهم"، قال مبتسماً "أعتمد عليك في هذا، كان خطاباً جميلاً"، قال "لماذا تريد أن تذهب؟ يمكنك أن تبقى معنا قليلاً".

قال "لا، أريد أن أرى المدرب، مع أنني لا أدري ما أقول له فقد وعدته أنني سأقتل "إزيل" ولكن" فقاطعه "قاي" قائلاً "قل له أنك أنقذت العالم، يكفي هذا"، فابتسم وقال "نعم أعتقد ذلك".

قال "قاي" "أرجوك ابق معنا لفترة قصيرة فقط"، قال مبتسماً "سآتي لأزورك مجدداً"، قال "لا أنا من سيأتي ليزورك في أرض الأحلام التي بنيتها وأعدك أنني سأجعلها جزءاً من المملكة الجديدة، والقرى التي في الصحراء أيضاً"، فابتسم وقال "شكراً".

وضع "قاي" رأسه على الأرض وقال "شكراً لك على كل شيء"، فنظر إليه وابتسم ثم قال "توقف عن فعل هذا، أنت تحرج نفسك" ثم سكت قليلاً ثم أخرج ورقة من ردائه ورماها إليه فأمسكها وقال "ما هذا؟"، قال "الجزء الناقص من النبوءة، أخبرني "إزيل" بها ... لم أكن أريدك أن تراها ولكن غيرت رأيي".

فتحها "قاي" ثم قرأها وحدق فيها ثم نظر إليه فقال "بعد أن أخبرني بها تذكرت، منذ بضعة أشهر وأنا نائم في الجزيرة سمعت هذه الكلمات وعندما استيقظت ونظرت حولي لم أجد أحداً ... ما تمسكه الآن هو الحقيقة".

حدق فيه قليلاً ثم أعاد النظر إلى الورقة وقال "ماذا نفعل؟".

قال "يقول المدرب أن القدر لا يمكن تغييره لذا إن تحقق الجزء الأول سيتحقق هذا أيضاً ولكني لا أتفق معه، أرى أننا نمتلك مصيرنا" ثم أمسك رأسه وقال "لهذا لم أرد أن أريها لك لكيلا أشغل بالك".

قال "لماذا غيرت رأيك إذن؟"، قال "لا أعلم، ظننت أنك يجب أن تعلم"، سكت قليلاً ثم مزَّق الورقة لقطع صغيرة ورماها على الأرض ثم قال "أنا أتفق معك، سأفعل كل ما أستطيع لأمنع هذا من أن يحدث".

ابتسم ثم استدار وقال "سأذهب الآن، وداعاً أيها الملك وأبلغ سلامي لزوجتك" ثم غادر...

بعد فترة من الزمن.....

أصبح هناك مملكة جديدة تسمى "نوسارا"، مملكة تحكم العالم كله.

تم هدم الجدار الفاصل بين المملكتين السابقتين وبدأ الناس يختلطون، شعب "سيارا" بالعلم وشعب "نوشاي" بالعمل، ووجدوا طريقة للتعايش مع بعضهم، الغريب في الأمر أن اختلاف ثقافتهم لم يكن عائقاً، بالعكس لقد جعلهم يعجبون ببعضهم أكثر، كانت تنقصهم الإرادة فقط.

مازالوا يحتفلون بيوم العهد لكن تحت مسمى جديد هو "البداية الجديدة"، تزوج "قاي" "نورا" وأصبحا يحكمان المملكتين بالحكمة مع قليل من القوة وكثير من الحب وعاش الجميع بسعادة وسلام إلى أن يُعزف لحن التغيير من جديد....

في أحد حقول "نوشاي" السابقة....

جلس "إزيل" أمام قبر والدته وفي يده باقة من الزهور الزرقاء ثم قال "لم أندم على شيء في حياتي أكثر من اكتشافي لهذه الزهرة" ثم ابتسم وقال "لقد كانت رحلة طويلة ... أنا قادم إليك الآن" ثم وضع الزهور على القبر وأمسك واحدة منها وقال "هكذا بدأ كل شيء وهكذا سينتهي" ثم أكلها واستلقى على الأرض.

في صحراء الضياع هناك طريق من الدم وفي نهايته جثة إنسان.

إنسان بدون اسم.

إنسان غير كل شيء.

النهاية.

الآن السؤال الذي بدأنا به، كيف يمكنك أن تغير حياتك للأفضل؟ وأريدك أن تعلم أنه لا يوجد شيء في العالم بأكمله يمنعك من أن تفعل هذا، لا شيء إطلاقاً، قف الآن وطارد حُلمك لأن الله سبحانه وتعالى سخَّر الكون كله لك، نعم لك أنت، يمكنك أن تفعل أي شيء، يمكنك أن تغير أي شيء، يمكنك أن تصبح ما تريد، كل ما عليك فعله هو إشعال تلك الإرادة والسير في ذلك الطريق ...

شكراً على القراءة...